

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ)
الرحلة والرحالة
مع تحقيق قسمي مكة والقدس

د. خالد سقاط

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ)

الرحلة والرحالة

مع تحقيق قسمي مكة والقدس

د. خالد سقاط

منشورات: المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية
والخليجية / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / ظهر المهرار / فاس

* رقم الإيداع القانوني: 2016MO4592

* ردمك: 8-893-38-9954-978

* جميع حقوق الطبع محفوظة

* طبع وتصميم: مطبعة أنفو - برانت، 12 شارع القادسية - الليدو - فاس

* الهاتف: 05.35.64.17.26 / 06.61.20.16.41 / الفاكس

05.35.65.72.47

* البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أ. العمل وأهميته:

من الملاحظ أن الاهتمام في مجال البحث الأدبي منصب على جوانب أدبية دون أخرى، وشخصيات علمية معينة قد تقل أهمية وخطورة عن الشخصيات والمؤلفات المغمورة، بالرغم أنها جميعها حاولت تصوير واقع الأدب المغربي في حقبة معينة من أطوار صفحات سجل تاريخ المغرب؛ والتي عكست ما كان يجري في الساحة من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية، كان لها نصيب وافر في تعاقب الدول والزعامات والاتجاهات، وبالتالي كان لها تأثير في العلوم والثقافات عامة والأدب بصورة خاصة.

فإن قيل إن الشعر المغربي ظل عبر العصور هو أصدق صورة— وأحيانا الوحيد— للتفريج عن الذات وإبراز كوامنها وخباياها المتفاعلة مع الواقع المعيش وأحداث الحقب أمنا واضطرابا، فإن مقارنة فن أدب الرحلات المغربية العديدة والمتنوعة، والخوض في حقله المعرفية الغنية والخصبة، يجعلنا نعيد الاعتبار لهذا الفن ورجاله وتقديمتهم في صورة لائقة ومحترمة. بحكم أن هذا الفن يمنح مجالا أوسع للتعبير— نثرا أو شعرا — عن هموم الرحالة وانشغالاته في تطوافه وترحاله واستقراره وعلاقاته.

من هذا المنطلق يبرز عملي لمحاولة إمطة اللثام عن رحلة رحالة عالم فقيه أديب ومشارك في علوم عديدة، اعتُبر موسوعة عصره، وخير ناهج لسبيل شيخ الرحالين وقدوتهم ابن رشيد السبتي، كما اعتُبر خاتمة مبدعي هذا الفن. رحلة هي في الأصل سفرٌ توخي صاحبها من ورائها الحج والاطلاع على الآفاق الجديدة وتسجيل أهم ما يتعلق بالمناطق التي يمر بها الركب. مما أكسب عمله هذا صبغة الوثيقة التاريخية والجغرافية والعلمية والأدبية والفهرسية.

فَلَمْ تأخر تحقيق الرحلة العياشية إلى وقتنا الراهن؟ وَلَمْ لَمْ تتل من الاهتمام بعض ما نالته غيرها؟ وَلَمْ تخطاها المحققون والباحثون إلى أخريات قبلها وبعدها، وكأنها غير موجودة، رغم استفادة من جاء بعدها من معلوماتها وتحقيقاتها؟

أبسبب طولها؟ أم بسبب صعوبة رسم مخطوطاتها؟ أم بسبب شخصية صاحبها المتصوف الذي ملأ رحلته بأخبار الصوفية والأوراد والتمائم والعزائم والغرائب والطرائف واللطائف ومؤلفات الصوفية والزهاد؟ أم بسبب الاستطرادات الموضوعية المتنوعة التي حشا بها مؤلفه والتي قد تصيب القارئ بالملل؟ أم بسبب اقتناع الباحثين بما اتهم به المرحوم محمد الفاسي الرحالة أبا سالم بقوله (إنه كان سببا في انحطاط فن الرحلة بابتعاده عن التقاليد التي أسسها الرحالون الأوائل)¹.

هذه تساؤلات وأخرى لم أكن أعرف للجواب عنها سبيلا حتى قرأت الرحلة ولمرات متعددة، وأجهدت نفسي- مستخيرا الله تعالى- لفتح مغالقها وفك رموز موضوعاتها المتنوعة. وقد استغرق مني ذلك مدة زمنية ليست بالهينة، حاولت خلالها التوصل إلى التعليل الوجيه أو المقبول الذي دفع غيري إلى العزوف عن محاولة تحقيق هذه الرحلة المَعْلَمة الطويلة. فبدا لي الأمر وكأنه شبه اتفاق، أو كما يقال: وقوع الحافر على الحافر في الإعراض عن هذا العمل، وتوثيق أوثق حجة- في نظري- على تصديق دعوى موسوعية الرحالة المغربي في القرن الحادي عشر الهجري، وإسهاماته الفعالة والجلية في كل الفنون الأدبية، وأحيانا العلمية المحضة.

وبالرجوع إلى عدد من الباحثين الذين حاولوا ملامسة جوانب هذه الرحلة، بالدرس تارة والتعليق تارة أخرى، أو تناول جانب من جوانب ما حوته من علوم ومعارف، أو تسليط الضوء على شخصية صاحبها، بالرجوع إلى أعمال كل هؤلاء نلاحظ أن لا أحد منهم حاول المجازفة ليخوض غمارها تحقيقا ودراسة، بل إن الإعراض عن ذلك أو ربما النفور منه تلميحا لا تصریحا كان من أبرز الصفات. ولعل ذلك يرجع

¹- مقال بمجلة دعوة الحق - ع 4 - السنة 2 - 1952م، ولعله في مقاله هذا يقصد نوعا معينا من الرحلات التي قاس عليها رحلة العياشي وإلا فلا مجال ولا اتفاق للمقارنة!!

بالأساس لطول نفس الرحلة وزخم معارفها وتشعب مواضيعها كما سبق الذكر، إن لم نقل إن موسوعية صاحبها كانت سببا في ذلك الإعراض!

إن محاولة تحقيق هذا النص المهم يُبرز بصدق أن أبا سالم كان رجل عصره بدون مدافع، ومريد شيوخ متصوّفي المرحلة بدون منازع، وشيخ مريديه بدون جدال، استطاع جلب اهتمامي وجذب انشغالي لإظهار مسودته الخاصة في رحلته الحجازية، ومقاربتها إلى النسخ المنتشرة في المكتبات الخاصة والعامة.

لقد كانت رحلته حجازية علمية فهرسية قائمة بذاتها، متخصصة في مجالها، سافر صاحبها بالقارئ من خلالها عبر الصحاري والنجود والمدن والقرى والمداشير، ليعرفهم على كل مظاهر الحياة بها بدون استثناء، لاغيا بذلك الحدود، وطاويا المسافات الصعبة والوعرة، ومقربا بين العقليات، ومباعدة بين الفتن والعصبية والاتجاهات والفرق، (إن الرحالة لم يقتصروا على أخذ العلم لفترة زمنية معينة، ومن ثم العودة إلى بلادهم، بل أضحي العطاء أكثر، حيث تجلّى بالتركيز على دراسة أوضاع المدن والمناطق التي حلوا بها من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية تقريبا، وبالتالي تسجيلها بشكل دقيق ومفصل....)¹.

لقد برز أبو سالم عالما جغرافيا ومؤرخا، وناثرا وشاعرا، وساردا وقاصا، وعروضا ونحويا، وناقدا وعالما اجتماعيا، وطالبا وشيخا ومجيزا ومستجيزا، وفقها ومحدثا، ومرافقا ومجاورا.

من هذا المنطلق تبرز محاولتي لإبراز إنتاج عمل رحالة اجتمعت فيه ما تفرق عند غيره من الصفات السابقة الذكر، وأخرى عديدة جدية بأن تجعلنا نحترمه ونقدّره ونهتم بإنتاجه وتحقيقه وتقديمه ودراسته.

ب - جهود السابقين:

إن أوضح وأبرز مجهود في مشروع رحلة أبي سالم هو طبعها في جزأين؛ المرة الأولى على الحجر والمرة الثانية مصورة بالأوفسيط عن الحجرية. فكان لها فضل إظهار النص والاستفادة منه على قدر المستطاع، بالكيفية المقدمة من طرف الناشر الذي لا يمكن جحد فضله، رغم إغفاله ذكر النسخة أو النسخ المعتمدة في عملية النشر أولا، ورغم

¹ - الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام (ص 262).

أنه لم يحاول ثانية فك معميات كثيرة في نصوص الرحلة واكتفى برسمها كما وجدها.

- طبعها بالأوفسيط عن الحجرية ووضع فهارس أولية لها من قبل باحث كبير هو الأستاذ محمد حجي.

- تحقيق جزء صغير منها لا يتعدى (57) لوحة، خاص بإقامة أبي سالم بالمدينة المنورة من قبل الأستاذ محمد أمحزون.

- نشر جزء من الرحلة لا يتعدى (80) لوحة، خاص بالذهاب والإياب عبر ليبيا - برقة وطرابلس إلى الإسكندرية.

- الدراسات الجزئية والتتويرات عن موضوع الرحلة العياشية من قبل أساتذة نذكر منهم:

◆ المرحوم محمد الفاسي في مقالات عدة بمجلة دعوة الحق.
◆ الأستاذ محمد المنوني الذي فصل الحديث عن محتويات الخزانة الحمزية.

◆ الأستاذ عبد القادر زمامة في مقالاته بمجلة دعوة الحق.
◆ الدكتور عبد الله العلوي بنصر في رسالته الجامعية حول أبي سالم شاعرا، حيث فصل القول في الأغراض والموضوعات الشعرية الموزعة في مؤلفات أبي سالم وبعض مؤلفات أفراد أسرته؛ فكان عمله رائدا في مجاله، أغنى اللاحقين عن تكرار التنقيب في أشعار أبي سالم.

◆ الدكتور عبد الله المرابط الترغي في رسالته الجامعية عن فهارس علماء المغرب، ومقالاته بمجلة دعوة الحق حول مراكز الدرس والتكوين بالمغرب على عهد السلطان المولى إسماعيل.

◆ الأستاذة نفيسة الذهبي في تحقيق ودراسة فهرست أبي سالم العياشي "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر".

هؤلاء الباحثون أفردوا مجهودات متفرقة في قراءة نص الرحلة والاستفادة منه بحسب شواغلهم واهتمامهم، فكانوا قريبين من الرحلة في جانب وبعيدين عنها كلا في جوانب أخرى.

ورغم ذلك بقي مشروع تحقيق النص بأكمله أو محاولة مقاربة تحقيقه أمرا ضروريا لاستكمال رؤية كاملة عن الرحلة والرحالة وآفاق

معارفه وعلومه التي تعكس ثقافة عصره، وهو العمل الذي حاولت التصدي له ومواجهته بمجهودي الفردي، على ما يمكن أن يعتريه من نواقص ويصيبه من أخطاء على قدر النقص البشري. وكما يقال: وإن لم يجز فريضة فتنفلا.

ج - عملي في التحقيق:

لا أدعي ابتكارا واختراعا، ولا أزعم تجديدا وانفرادا؛ فقد اتبعت في مجمل عملي الطريقة المعهودة في التحقيق والفهرسة للمخطوطات وللرحلة بصفة خاصة، حيث اعتمدت على النسخة الأم للرحلة باعتبارها مدبجة بيراغ أبي سالم العياشي، بعدما تحققت من نسبتها إليه في كتب الفهارس والمراجع الخاصة بالمخطوطات، وكذلك من ملاحظة الهالة التي يحيط بها أصحاب الزاوية النسخة من محافظة عليها وحرص على عدم عرضها للعموم والخصوص، لتأكدهم من صلتها الوثيقة بصاحبها، وباعتبارها الإرث الشرعي للزاوية، إلى جانب بعض ما أبقى عليه الدهر من حاجات جدهم أبي سالم كالملابس والفانوس والطرايبش والبلغات.

كما عملت - قدر المستطاع - على تخريج الآيات القرآنية الصريحة والمضمنة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصريحة والمضمنة من مصادرها في أمهات كتب الحديث والصحاح والأسانيد وكتب الغريب، مع الإشارة إلى الفروق بين الأحاديث ما أمكن. وكذلك تخريج الأشعار اعتمادا على الدواوين والمجموعات الشعرية وكتب الاختيارات الأدبية وكتب اللغة والأدب عامة. وكذلك تخريج الأمثال والأعلام التاريخية والجغرافية.

وبالنسبة للفهارس ونظرا لقيمتها العالية في الكتب المحققة حيث تسهل على الدارس الانتقال والانتقاء من بين الموضوعات، فقد خصصت لها جانبا مهما في الأخير، وكانت كالتالي: فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام التاريخية والجغرافية والقبائل والمياه والقبور والمزارات والأشعار والعلوم والفنون والأدعية والغزوات.

كما عملت على ترقيم أجزاء الرحلة بحسب اللوحات التي تضمنتها والتي يصل عددها إلى (647) لوحة.

فإن أصبت فيما قصدت إليه وتوخيته فما توفيقى إلا بالله ورضى الوالدين. علما أنني لا أدعي التمام لهذا العمل والإحاطة بكماله، وإنما هو جهد المقل. وإن أخطأت عن غير قصد فلي أجز المجتهد، إذ يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق. ومنكم أساتذتي الأجلاء – أعضاء لجنة المناقشة الموقرة – الإغضاء والنصح والتصويب؛ فببراسكم أستتير وبخطاكم أقتدي وبتوجيهاتكم أهتدي، وأنتم أكرم من أن تضايقوا ضعيفا.

وأعتذر بالتوضيح أنني أنشر اليوم جزءاً من التحقيق الكامل الذي كنت نلت به شهادة دكتوراه الدولة في الأدب المغربي سنة 2000 بكلية الآداب ظهر المهرارز – فاس، وهو الجزء الخاص بالرحلة والرحالة، وكذلك بإقامة أبي سالم العياشي بمكة والقدس. أسأل الله جل جلاله أن يلهمني السداد والتوفيق، ويعصمني من الخطأ والخلل، والزيغ والزلل في القول والعمل. به أستعين وعليه أتوكل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)



د. خالد سقاط

مدخل

فن الرحلة الحجازية

يقول ابن خلدون (ولعل الذي ساعد على تنمية هذا الاهتمام ورعى هذه الرغبة في الرحلة عند المغاربة هو الموقع الجغرافي للمغرب، يبعده عن الشرق والحجاز من جهة، وإطلاعه على القارة الأوربية من جهة ثانية، ولهذا انتظمت رحلات المغاربة للأقطار المختلفة شرقا وغربا، بلاداً إسلامية وغير إسلامية، وإن كنا وجدنا أن الحجاز يستقطب أكثر المغاربة ويستهوهم ويجذبهم نحوه... وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلوم...) ¹.

من هذا المنطلق يمكننا القول إن هذا النوع من الرحلات نابع بالأساس – بكل عناصره الدينية والأدبية والعلمية – من شعور المغاربة بالبعد المكاني عن المناطق المقدسة (مرورا عبر شمال إفريقيا ثم مصر وانتهاء بالحرمين الشريفين، وكانت هذه المناطق تمثل الخط الذي يسير فيه ركب الحجيج المغربي من أيام بني مرين حتى منتصف القرن 13هـ) ².

ولم يكتف معظم الرحالة – والمغاربة عامة – بقضاء مناسك الحج مرة واحدة بل بمجرد رجوعهم إلى بلدهم (يسرعون إلى العودة من جديد... ولشدة التعلق بالحجاز... كان يطيل مقامه هناك، فيستقر لفترة طويلة بمكة أو المدينة أو بهما معا، حتى يشبع رغبته ويروي ظمأه...) ³.

وقد سهّل أمر الرحلة إلى الحج على ما كان عليه وتدللت بعض صعابه ومشاكله باستحداث ركب الحاج المغربي وتعيين أربابه وأمرائه وحراسه، فعُرف الركب الفاسي والمراكشي والسجلماسي، هذا الأخير والذي ذهب ضمنه أبو سالم (كان يخرج من سجلماسة ويذهب فيه أهل تافيلالت ومن انضاف لهم وهو ركب قديم...، وقد عمر هذا الركب طويلا، وكان يسير تحت إمرة رئيس يختاره أهل الركب من أمثل القوم،

¹ - مقدمة ابن خلدون (ص805).

² - الرحلات المغربية الحجازية، مقال للأستاذ محمد المنوني. مجلة المنهل ع 518 – م 56 – سنة 1994. (ص160).

³ - أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني لحسن الشاهدي (ج1 ص49).

وتذهب فيه خلائق، ولا يخلو من أعلام كبار)¹. (إن الدافع ديني قبل كل شيء، وإن الرغبة الملحة التي كانت تساور النفوس هي مغادرة الأوطان تأدية لفريضة الحج... لا يطمئن له بال، ولا يخلص له ضمير إلا إذا أدى هذا الواجب... فلا السياحة إذن ولا التجارة ولا المغامرة كانت غاية لهذه الرحلات... نعم قد تظهر أغراض أخرى في محتوى هذه الرحلات، لكنها قد تأتي عفوية...)².

ويقول ذ. محمد الفاسي عن أسباب كثرة الرحلات المغربية ودوافعها: (يرجع ذلك لعوامل مختلفة، أهمها بعد الديار المغربية عن الشرق والحجاز مهد الحضارة العربية ومهبط الوحي؛ فكان جل من يقصد البلاد الحجازية من الأدباء والعلماء لأداء فريضة الحج يشعر بوجود إطلاع مواطنيه على أخبار تلك البقاع الشريفة البعيدة التي يحن إليها كل مغربي...)³.

ورغم ذلك لا يمكننا أن نسلم بأحدية الدافع إلى الرحلة وتجاهل الدوافع الأخرى التي كانت كتابة الرحلة كنص فني أدبي نتيجة لها، وعلى رأسها الدافع العلمي الذي له ارتباط وثيق بالدافع الأول، على اعتبار أن الإسلام يحث على طلب العلم ويثيب الراغب فيه، والمجاهد من أجله والراجل في سبيله. عن طريق الاتصال بالعلماء والشيوخ وكبار المحدثين والفقهاء لتحقيق الروايات وأخذ الأسانيد والإجازات والاطلاع على المؤلفات ومناقشة أمور الدين والحياة. (...). وينتهد الراحل فرصة هذا السفر الطويل فيقف بكل عواصم العلم التي يمر بها في طريقه ويصفها أيضا ويذكر مساجدها ومآثرها وعلماءها وأدباءها؛ فنفتت بذلك سوق هذا النوع الأدبي وأقبل عليه المغاربة...)⁴.

فلا اعتراض إذن بين الدافعين (إذ العلوم التي كان يقصدها الرحالة المغربي تكاد لا تتجاوز ميدان الشريعة الإسلامية، من فقه وحديث وتفسير وقراءات. فليس هناك إذن فرق ما دامت الغاية ترمي إلى التبحر في العلوم الدينية)⁵.

1- من حديث الركب لمحمد المنوني (ص 33).
2- مظاهر الثقافة المغربية لمحمد بن أحمد بن شقرون (ص 171).
3- مقال: الرحالة المغاربة وآثارها. دعوة الحق ع 2 - 1958 (ص 8).
4- مقال: الرحالة المغاربة وآثارها. دعوة الحق ع 2 - 1958 (ص 9).
5- مظاهر الثقافة المغربية (ص 172).

إلا أن المسألة التي تطرح نفسها هو هل الرحالة المغاربة من خلال تتبع خطوات بحثهم المستمر والدائم ولهفتهم القصوى وتنافسهم على لقاء شيوخ المشرق وأخذ الإجازات والعلوم، يمكن أن نصفهم أنهم كانوا على شعور دائم بنقصان قيمة ثقافتهم وتقلص حكم اطلاعهم وتهافت مؤلفاتهم وإنتاج علمائهم وشيوخهم؟

إن القارئ لأية رحلة حجازية علمية وخاصة الفهرسية منها، يتأكد من تطواف الرحالة على مراكز العلم بالمشرق لملاقاة كبار المشايخ وأقطاب الصوفية طلباً لأعالي السند وصحيح الروايات، منطلقين من النظرية التي كانت سائدة وما تزال عند البعض والتي تؤكد على إيجابيات أخذ العلوم من أفواه الرجال وتجنب الاكتفاء بمطالعة الكتب والمؤلفات. وكان ابن خلدون قد أكد على ذلك، يقول: (إن للرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم والفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال)¹. فأحتل الحديث عن علماء المشرق ومروياتهم وشيوخهم ومؤلفاتهم ومزاجهم ومعاملتهم مع الطلبة في المجالس وآرائهم وفتاويهم وحكمهم ومواقفهم مساحة مهمة في الرحلة.

إلا أن هذا لم يكن أبداً ليحيط من قيمة الرحالة- الفقيه وينقص من قدراته، بقدر ما يُنظر إليه أنه يبحث عن الكمال واستكمال أوامر ثقافته، باكتساب أدوات البحث والمعرفة التي يسعى إلى اعتناقها من أصولها وأصحابها، فيقطع الصحاري والجبال والنجود ويتحمل الصعاب والمهاول من أجل إجازة شيخ أو دعوة قطب. حتى إذا عاد إلى بلده (فكأنه قد تخرج من مؤسسة علمية ممتازة لا بد وأن يكون رأيه صائباً وعلمه واسعاً... وهكذا يصير لأراء الرحالة وعلمه وزنٌ وقيمة واعتبارٌ عند الناس، فيقبلون عليه للاستفادة والاسترشاد. فكثير من العلماء لم يشتغلوا بالتدريس ولم يتولوا المناصب الراقية إلا بعد الرحلة...)².

وموازاة مع ما سبق، فإن معظم الرحالة المغاربة كانوا محط عناية وإعجاب واحترام من طرف كبار علماء المشرق، نظراً للمستوى الرفيع

¹- مقدمة ابن خلدون (ص 476).

²- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني (ج 1 ص 97).

الذي ظهر به أثناء مناقشاته ومناظراته وعرض محفوظه، واستشهاده من القرآن والحديث وآراء كبار الفقهاء والمؤلفين في المواضيع المتنوعة، لأن معظم الرحالة المغاربة (لم يرحلوا إلى الشرق إلا بعد اكتمال ثقافتهم وإمامهم بفنون مختلفة من العلوم... ومن هنا لا غرابة إذا وجدنا أن المشاركة يتسابقون إلى الحصول على الإجازة من المغاربة... مما جعل البعض يفضل الإقامة هناك مدة طويلة، أو يقضي بها ما بقي من عمره، وقد أسندت إليه أعلى المناصب آنذاك في القضاء والتدريس...) ¹.

كما توخت الرحلة جلب أكبر عدد من نواذر المؤلفات والكتب العلمية ونقل الأشعار والأخبار، تركيزا وتثبيتا لتلاقح الثقافات وتبادل المعلومات والآراء بين المشرق والمغرب.

فكم من مؤلفٍ مشرقي كان خامل الذكر مجهول القدر لقي صدى واشتهارا واسعا بسبب رحالة مغربي أدخله معه إلى بلده، أو أرسله إلى أهله وذويه أو أصدقائه، فتدارسته الشيوخ والطلبة وعمدوا إلى شرحه والرد عليه أو اختصاره ووضع الحواشي عليه أو تخميس قصائده ومعارضتها. وكم من عالم مغمور ظهر أمره وكشف عن آرائه وطار صيته بسبب نشر الرحالة لأفكاره ومؤلفاته.

لقد تعددت الرحلات وتنوعت وخلفت دواوين ومجلدات (وكان من أهم الأسباب في تدوين هذه الرحلات حاجة الدولة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل أقاليمها. وهذه الحاجة السياسية اقترنت بها حاجة دينية... وعلى طول الطريق في الشرق والغرب تقيم الدولة ويقيم أهل الخير الحبوس والربط معونة للحاج...) ².

إن تنافس الرحالة المغاربة على جعل رحلاتهم موسوعة عصرها جعلهم يضمنونها فنونا أخرى قد لا تقل أهمية عن سابقتها، ونقصد بذلك المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية للمناطق التي يمر بها الركب وخاصة مناطق استقراره ومجاوراته، عن طريق المعاينة والاتصال المباشر مع الطبيعة والناس والحياة؛ فكان الرحالة بعمله هذا يخدم مجالات علمية متعددة ويقدمها مقطوفة من

¹ - أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني (ج 1 ص 86-88).

² - الرحلات لشوقي ضيف (ص 8 - 9).

أصولها وينابعها على طبق من ذهب للعالم الجغرافي والمؤرخ والاقتصادي والاجتماعي وغيره، كلٌ بحسب مرماه وتخصصه. بحيث (إذا قلنا إن فناً من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى أخرى من نواحي الحياة فإننا نقول إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد...) ¹.

إنه نمط أدبي خاص قائم الذات، تجتمع فيه فنون عدة وموضوعات جمة، مما يجعل ضبط معاييرهِ وتعيين مقاييسه أمراً صعباً. وخاصة إذا علمنا أن الرحلة تمتاز بغلبة العنصر الذاتي. (أساس هذا النوع هو الشخص المؤلف وأنيته وما يعرض له في سفره، وذكر الإحساسات التي يشعر بها أمام المناظر التي يمر بها، مع إطلاعنا على أحوال البلاد التي يزورها وعلى عوائد أهلها وأخلاقهم وأفكارهم. وهو في كل هذا يعبر عن نفسه وعن عواطفه وعن وجهة نظره الخاص في كل مسألة) ².

بمعنى أن الرحالة نفسه هو محور الانطلاق وعبرَ عدسة مخيلته يصور لنا ما يريد نقله، ويغض الطرف عما سواه؛ فعن آرائه وملاحظاته وأوصافه ومشاهداته وتحقيقاته يُصدر الأحكام؛ فهو الذي يقرر ما يأخذ وعمن يأخذه، وهو الذي يختار لنا المادة المعروضة ويفرضها على القارئ ويحاول إقناعه بأنه ينقل الحقيقة، بحكم سلطة استطاعته وقدرته على تحمل المشاق والصعاب من أجل أن ينوب عن القارئ في الوصول إلى مصادر الأخبار والنقول (إنها شخصية الرحالة بطبيعته ومزاجه وبوجدانه وبفكره، بحالاته النفسية المتقلبة، بعاداته الذهنية والمجتمعية، بعواطفه الخاصة، بميوله الفطرية والمكتسبة... إن ما نجده في هذه الرحلات من أوصاف وحكايات وأخبار ومشاهدات للدُّور والبيئات لا يتعدى في غالب الأحيان العنصر الذاتي إلى العنصر الموضوعي. إن للخيال أثره، وللعاطفة والثقافة الشخصية دورها فيما يُحكي وما يُوصف وما يُستقبح وما يُستملح...) ³.

إن نظرة الرحالة المغربي قبل انطلاق رحلته كانت نظرة تقديس لكل ما هو مشرق، بحكم اعتقاده أن في المشرق من مؤهلات الكمال والقمة والسمو الشيء الكثير. فكان أثناء رحلته كثيراً ما يصطدم بواقع

1- أدب الرحلة عند العرب (ص6).

2- مقال: الرحالة المغاربة وآثارهم. دعوة الحق ع 2 - 1958. (ص8).

3- مظاهر الثقافة المغربية (ص175).

مخيب لظنه يجعله يطلق عنان قلمه للنقد والتجريح والسخرية والعنف أحيانا، للتعبير عن الإحباط الذي مُنيَ به وهو يقوم أحيانا بالمقارنات بين أحوال بلده وأحوال البلاد التي يزورها. فكان بعضهم يخل بالموضوعية ويحرف الأحكام والأوصاف عن حقيقتها بواسطة التعميم والحكم على الكل بأوصاف البعض وسلوك الأفراد، نتيجة التسرع رغم قصر مدة المعاشرة والمخالطة.

وبالمقابل نجد بعض الرحالة نزيها في أحكامه ونقولاته، يمدح من يراه مستحقا لذلك ويغض الطرف عن التجريح والنقد اللاذع.

ومن أجل تحقيق الإمتاع الفني والطرافة الأدبية التي هي من الشروط الجوهرية لكل عمل فني اختلفت أساليب الرحلات، وتنوعت حتى داخل الرحلة الواحدة، حيث استخدمت لغة ووسائل وأدوات معينة بغية التواصل مع القارئ نثرا وشعرا، كالوصف الذي يقوم على استغلال الحس والعيان المباشر والتعبير عنه بلفظ دقيق مقرر هادف لنقل المعلومات الخاصة بالجغرافية والتاريخية والاجتماعية.

كما اعتمدت الرحلة أسلوب الحكاية لنقل الأحداث والوقائع وأخبار الشيوخ والعلماء وتقديم مؤلفاتهم، عن طريق تشويق القارئ إلى معرفة التسلسل للأحداث والحبكة والنهاية، (ولا نبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة. ومن غير شك أن من يتهمونه هذه التهمة لم يقرأوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص...) ¹.

وحتى تصل الرحلة إلى تحقيق أهدافها لم يركب الرحالة دائما أسلوب الزخرفة والتصنيع والمحسنات البديعية واللفظية بل راعى التوازن في ذلك، بتوظيف أسلوب المُحدِّثين وطرقهم التعبيرية ومصطلحاتهم عند الفهرسة والبرامج وتقديم الأشخاص والعلوم. كما استخدم البساطة والعفوية في التعبير وتجنب قيود الصنعة والسجع، لأن المراد هو توصيل الأفكار وتأدية المعاني وتقرير ما هو واقع ومحسوس ومتفق عليه، كما هو الشأن عند وصف المشاهد وتقديم الطرق الصوفية وأربابها والأبحاث الفقهية ومناقشة القضايا العلمية، وقد تستخدم لذلك

¹ - الأدب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي (ص408).

الألفاظ العامية والدخيلة والتعبير الشعبي المتداول. إلا أن أسلوب الصنعة والزخرف يبقى سمة بارزة في الرحلات، وخاصة العلمية منها، بتوظيف تقنية الأسجاع والتوازن والترادف.

وتبقى الرحلة دائما مصدرا ثرا لكثير من النصوص الأدبية والرسائل الفقهية والدواوين الخاصة والأشعار المروية، بل مصدرا لمؤلفات أكملها حرص الرحالة على تضمينها في مؤلفه لأهميتها أو لغرابتها في بلده. كما ضمنت الرحلة شهرة وامتدادا للعديد من العلماء والطرق الصوفية، وذلك بالتعريف والترجمة.

على أن ما جاء في متن جل الرحلات المغربية الحجازية لم يكن يشفي غليل الباحث ويثير اهتمامه فيما يخص الأخبار المحلية والداخلية للبلد الذي انطلقت منه الرحلة إلا نادرا (وكم كنا نود أن تتناول هذه الرحلات المجتمع المغربي فتصفه ماديا واجتماعيا كما فعلت بالنسبة للمجتمعات الأخرى، لكنها لم تنصب إلا على خارج المغرب...).¹ باستثناء بعض الرحالة الذي أشاروا في مقدمة رحلاتهم إلى بعض الأحداث المتزامنة مع خروجهم للرحلة كأبي سالم العياشي. ومنهم أيضا (ما كتبه الإسحافي في رحلته رفقة الأميرة خناتة، فقدم لمحة عن مدينة تازة تاريخيا ومعماريا وثقافيا. ولنفس الرحالة وصف شيق لاحتفال مدينة فاس بيوم خروج الركب المغربي لهذه المدينة).²

¹ - مظاهر الثقافة المغربية (ص181).

² - مقال: الرحلات المغربية الحجازية، محمد المنوني (ص160). انظر تفاصيل هذه المسألة وملاحظات هامة حول زهد الرحالة المغاربة عن تسجيل ما يشاهدونه بالمغرب وتعريفهم بعلمائهم في: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني (ج2 ص135 وبعدها). (والأميرة خناتة هي بنت بكار زوج المولى إسماعيل العلوي وأم ولده عبد الله التي كانت سافرت للحج سنة 1131هـ). مقال محمد الفاسي: الرحالة المغاربة وآثارهم. دعوة الحق. سنة 1959م - ع 4 (ص 23-24).

القسم الأول: الدراسة

الفصل الأول: البيئة والرحالة أبو سالم

1- وصف لأهم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية بالمغرب على عهد أبي سالم

بالرغم من خلو معظم الرحلات المغربية من وصف لمناطق المغرب وأحواله السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية إلا لمأماً، فإن التطرق لوصف أهم الجوانب البارزة في هذه المجالات في البلد الذي انطلقت منه الرحلة له أهمية قصوى في الكشف عن المؤثرات الحقيقية التي انطلق منها المؤلف - الرحالة، وجعلت نتاجه يخضع لهذه المعايير أو تلك، على أساس أن المؤلف المفكر ابن بيئته ومحيطه.

لقد عاصر أبو سالم ببلده المغرب ظروف انتقال الحكم من الملوك السعديين (من 915 إلى 1074) إلى ملوك العلويين؛ ففي نهاية القرن العاشر وبداية الحادي عشر الهجريين عاش المغرب سلسلة أحداث ووقائع تحكمت في أفول نجم دول وقيام أخرى، كما أبرزت زعامات دينية واجتماعية- زوايا وطوائف- كان لها نصيب وافر في تخطيط مصير البلاد وانشغال السلطة الحاكمة بالحروب وتهدة الفتن. كما كان لها دور مهم في تدهور الاقتصاد وانتشار المجاعة والوباء وانعدام الأمن والأمان، وظهور الأطماع الخارجية خاصة على السواحل المغربية. مما انعكس آثاره سلباً وإيجاباً على الساحة الفكرية والثقافية التي كانت عرفت تمركزاً علمياً في الزوايا والمؤسسات التقليدية¹.

كانت الدولة السعدية أيام حكم المنصور الذهبي (986-1012هـ) قد عملت على استقرار نسبي للأوضاع بالمغرب وإخماد الفتن الداخلية المتمركزة بين فاس ومراكش، فوصفت بالدولة العظمى التي داع صيتها بالخارج، والتي وصل غزوها إلى بلاد السودان وإلى منطقة توات وتيكورارن² لتأمين حاجيات الدولة عسكرياً واجتماعياً. لقد احتفظت كتب التاريخ بالحديث عن إنجازات الملوك السعديين في جميع

¹- مقال: مراكز الدرس والتكوين وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل لعبد الله المرابط الترغي (ص117 وبعدها).

²- مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي (ص73-117). الاستقصا للناصري (ج5 ص98 وبعدها).

المجالات، والتي كانت تحمل في طياتها أسباب تفككها وتدهورها، نتيجة استبداد رجال السلطة القائم على النسب الشريف والأحقية في الاستمرارية، فأقمعت أصوات أرباب الزوايا، وقسمت ولايات المغرب على أبناء المنصور الأكفاء والضعفاء، وبدا الغلاء المفرط في المواد الغذائية نتيجة ارتفاع القيمة الضريبية على السكان الذين أثقل كاهلهم. بالإضافة إلى الوباء الذي اجتاح المغرب من سنة 1007هـ إلى سنة 1016هـ. كما كان ظهور نزاعات بين الأبناء والحفدة على السلطة بعد وفاة أحمد المنصور سنة 1012هـ سببا رئيسيا عجل بسقوط الدولة السعدية.

ظهرت الانقسامات في الحواضر والبوادي، وظهرت أطماع بعض الأتراك على الحدود المغربية الشرقية، وأخرى أوروبية على الثغور الشمالية. كما ظهرت بالداخل قوى تنازعت على استقطاب الأنصار لتحويل المغرب إلى إمارات مستقلة، حتى شبهت الحالة بالمغرب آنذاك بوضع ملوك الطوائف بالأندلس.

وكانت تلك الانقسامات قد ظهرت على شكل زعامة أرباب الزوايا والحركات الجهادية المتعددة، الثائرة على السلطة التي آل المغرب بسببها إلى حالة انعدام الأمن والقلق الاجتماعي الذي ساد المدن والقرى على السواء، ووقع السطو والنهب للأملأك الخاصة؛ حتى كان الرجل يرجع إلى بستانه فيجد من يحتله ويأخذه بإذن من السلطان¹.

يقول المختار السوسي (كان المغرب منذ استتب الأمر للسعديين محوطا بسياج متين من قوة هذه الدولة الفتية... وقد خلفه من شنتوا الأمر وبعثروا القوة من الحكومة، وجروؤا الأمة على الاستهانة بهم، بتهالكهم على العرش، حتى تفرق المغرب أوزاعا، وصارت نواحيه طرائق قديدا، وفشا الخوف ونهب المتاع وقطعت السبل...)².

(ولقد كانت وضعية المغرب قبيل قيام الدولة العلوية أشبه ما تكون بها قبل قيام نظام السعديين: انشطار البلاد إلى رقع نفوذ عديدة تخضع للمد والجزر، وتدهور اقتصادي يذكيه انعدام الأمن والاستقرار، وقلق

¹- نزهة الحادي (ص107).

²- إيليج قديماً وحديثاً لمحمد المختار السوسي (ص30-31).

اجتماعي يسود المدن والأرياف ويعرقل نشاط السكان في مختلف مجالات الحياة¹.

ونسجل هنا الانقسامات التي عرفها المغرب بعد سقوط السعديين وقبيل قيام الحكم العلوي كما لخصها الدكتور العلوي بنصر².

1 - الدلائيون في المنطقة الوسطى من المغرب (974 - 1099 هـ)، بالإضافة إلى الدور الديني والصوفي الذي لعبته الزاوية الدلائية فقد استولى زعيمهم محمد الحاج الدلائي على مدينة فاس ومكناس وما جاورهما سنة 1074 هـ³. وبعد اغتيال أبي عبد الله العياشي المجاهد سنة 1051 هـ، امتد نفوذه إلى مدينة سلا.

2 - العياشي في السهول الشمالية على المحيط الأطلسي (1023-1051) وكان قد استنجد به أهل المناطق الساحلية المغربية المهددة بالهجوم الإسباني والبرتغالي، فحقق انتصارات واشتهر أمره.

3 - السملاليون في إقليم سوس والصحراء المغربية ومنطقة درعة (1022-1081 هـ) بزعامة السوسي أبي حسون السملالي المعروف ببودميعة.

4 - الخضر غيلان الذي خلف المجاهد العياشي، وكان مقره قصر كتامة (القصر الكبير).

5 - ابن أبي محلي (سنة 1019 هـ) وأسرّة الشبانات (سنة 1069 هـ) بمراكش.

6 - سبّة ومليلية والجزر والبريجة (الجديدة) تحت الاحتلال البرتغالي.

7 - العلويون في سجلماسة 1050 هـ⁴.

لقد حاولت هذه الزعامات قيادة مناطق نفوذها إلى بر الأمان، وذلك إما بالاعتماد على رابطة الشرف أو بنهج طريق التصوف والجهاد،

1- المغرب عبر التاريخ لابراهيم حركات (ج3 ص14).

2- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب لعبد الله بنصر العلوي (ج1 ص10).

3- نشر المثاني لمحمد الطيب القادري (ج2 ص143).

4- بسط الدكتور بنصر في رسالته الحديث عن ملامح هذه الزعامات مستقيا معلوماته من أهم المصادر المؤرخة لتلك المرحلة، انظرها في محلها من الرسالة (ج1 ص8-20).

محاولة من الطرفين إلى إرجاع البلاد إلى سابق عهدها القوي المستقر. ولكن ذلك دون جدوى، باستثناء النفوذ العلوي الذي انطلق من سجلماسة بزعامة أحد أعقاب مولاي علي الشريف الأول مولاي علي الثاني، والذي من أحفاده المباشرين مولاي علي الشريف الثالث دفين مراكش وجد الملوك العلويين. هذا الأخير الذي خَلَفَ حكام المغرب العلويين الأوائل مولاي محمد الشريف (1069-1050هـ)، ومولاي رشيد (1075-1082هـ) والمولى إسماعيل (1139-1082هـ).

لقد كانت مناطق الأحداث الحساسة بالمغرب والمتمثلة في سجلماسة ودرعة وفاس ومكناس ومراكش وسوس هي المناطق والمراكز الثقافية العلمية نفسها التي اعتمدها مفكري المرحلة، وارتادها معظمهم إما للسكنى أو للطلب. (تطابق فترة (962هـ إلى 1074هـ) من الناحية السياسية العصر السعدي الذي تميز بنهضة شاملة في العلوم لعاملين أساسيين هما تشجيع العلماء من طرف الملوك السعديين ونشاط الزاوية الدلائية...)¹.

لقد تفاعلت أحداث سياسية كبرى بالمغرب قبل أن تستقر الأحوال في عهد المولى إسماعيل سنة 1082هـ. فمُنذ أن بُويع الشريف بسجلماسة والأحوال الغير مستقرة في تصاعد واصطدام، فقد كانت سجلماسة آنذاك خاضعة لأبي حسون أمير سوس، وكان سكانها يعانون الظلم والاستبداد وفرض الضرائب من طرف ولايتها، فكانت عدة خصومات بين الشريف وأهل تبوعصامت من حصون سجلماسة، أودت إلى مواجهات مسلحة، استتجد خلالها الشريف بأهل سوس، وأهل تبوعصامت بالدلائيين الذين كانوا تقربوا من أبي حسون ضد الشريف. هذا الأخير الذي هُزمت قواته سنة 1047هـ واعتُقل من طرف أبي حسون². وبعد ابتعاد الشريف وزهده في السلطة (ووفاته بعد ذلك سنة 1069هـ) بُويع ابنه المولى محمد الشريف سنة 1050هـ الذي تصدى لمواجهة قوات أبي حسون بسجلماسة واستولى على درعة وأعمالها³ وقصد فاس للقضاء على الدلائيين، فكانت وقعة القاعة سنة 1056هـ. فلم يتم له أمر بها فانصرف راجعا إلى بلده بعد الاتفاق على أخذه المناطق الصحراوية إلى

1- الحياة الأدبية في المغرب (ص 56).

2- الاستقصا (ج 7 ص 13). المغرب عبر التاريخ (ج 3 ص 19 وبعدها)

3- الاستقصا (ج 7 ص 16).

جبل بني عياش وما دونه إلى ناحية الغرب للدلائيين¹. وبقي بها مستوليا على ما بيده إلى أن توفي في حرب له مع أخيه الرشيد سنة 1075هـ². هذا الأخير الذي عمل على استخلاص فاس ومكناس من السيطرة الدلائية سنة 1076هـ، ثم أنقذ مدينة تطوان من قبضة أسرة النقيس، وبعث بهم إلى سجون فاس³. وبعد ذلك أخضع لحكمه منطقة الغرب التي كانت تحت سيطرة الخضر غيلان ودخل القصر⁴. وقصد مراكش وقضى على إمارة الشبانات⁵. وفي سنة 1079هـ خرج لفتح الزاوية الدلائية، فاستنزل رئيسها وأهلها وهدمها⁶، وعمل على نفي أسرة محمد الحاج إلى فاس وبعدها إلى خارج المغرب، حيث استقرت بتلمسان حتى عهد المولى إسماعيل الذي سمح لهم بالعودة إلى المغرب، حيث حظيت الأسرة الدلائية منه بالرعاية والتكريم⁷.

وقد رثى أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي في رائيته الزاوية الدلائية وبكى أيامها ومطلعها:

(أكف جفن العين أن ينثر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها خمرا

... ولم يصرح فيها بأسمائهم مراعاة لجانب السلطان، وذلك هو الواجب والمناسب. فرحم الله الشيخ اليوسي، ما كان أعرفه بمقتضيات الأحوال)⁸.

أما عن الزاوية العياشية فقد كاد أن يصيبها نفس مصير الدلائية بسبب علاقتها بها وبشيوخها، رغم ابتعادها النسبي عن السياسة— كما سنذكر— فقد ذكر القادري أن المولى الرشيد خرج سنة 1079هـ في يوم

1- الاستقصا (ج7 ص17).

2- نشر المثاني (ج2 ص145). الاستقصا (ج7 ص31). المغرب عبر التاريخ (ج3 ص23).

3- الاستقصا (ج7 ص34).

4- نشر المثاني (ج2 ص159).

5- والقصيدة طويلة. الدور الضاوية لأبي الربيع سليمان الحوات (من ص 350 إلى 358).

الاستقصا (ج7 ص38).

6- نشر المثاني (ج2 ص180). الاستقصا (ج7 ص36).

7- المغرب عبر التاريخ (ج3 ص28).

8- الاستقصا (ج7 ص38).

السبت سابع ذي الحجة لحركة آيت عياش فغزاهم، ورجعوا عن الخروج عليه، فسامحهم، فرجع إلى فاس¹.

إلى جل هذه الأحداث التي ذكرت مختصرة وأخرى عديدة يشير أبو سالم بقوله في مقدمة الرحلة (ودبت عقارب الفتن وهاجت بين الخاصة والعامة مضمرات الإحن وانقطعت السبل أو كادت، وماجت الأرض بأهلها ومادت)².

وهي المرحلة كذلك الحرجة التي أشار إليها أبو سالم أثناء الرحلة³ وطالب شيوخه بالمشرق بالدعاء والتوسل إلى الله لتخليص البلاد والعباد من الظلم والقهر والفتن، يقول أبو سالم:

يا رب إن ملوك الأرض بعضهم يعلو على البعض بالتشريد
أنت مملكتهم وأنت مالكتهم فهم مع الملك في رق وملك

وهي المرحلة التي وصفها شيخ أبي سالم عبد القادر الفاسي بالسنة الشهباء التي أكثرت في القرى هدمًا وفي الأقوات نهبا⁴.

ويمكن القول (بأن من أبرز ملامح عصر العياشي التدهور الشامل سياسيا لعدم وجود قوة متماسكة تعنى بشؤون البلاد؛ فقد كان المغرب يعيش مرحلة انتقالية، وهي أواخر حكم السعديين وأوائل حكم العلويين، مما عرضه لأطماع الدول والأفراد. ومن ملامحه أيضا أن الاتجاه الصوفي أثر في الحياة السياسية. وطراً في تلك الفترة انعزال تام عن مجريات الأحداث العلمية في أوربا)⁵. (وكنتيجة لهذا الميل نحو التصوف كثرت الطرق الصوفية وتعددت الزوايا، إلا أن أهميتها اختلفت باختلاف شخصية رؤسائها، حيث كان فيهم أميون وعلماء وسنيون ومبتدعون. فكانت هنالك زوايا إصلاحية أسهمت إسهاماً قوياً في إخراج المجتمع المغربي مما كان يتخبط فيه بفضل العلماء الذين

1- نشر المثنائي (ج2 ص182). الاستقصا (ج7 ص39). وعن مصير الزاوية العياشية وأهم الأحداث بها ينظر محلها من هذا التقديم.

2- الرحلة (ج1 ص7).

3- لوحة رقم 631- ملحقة ضمن نسخة الخزانة الحمزية.

4- مقدمة الرحلة (ج1 ص11).

5- المدينة المنورة في رحلة العياشي لمحمد أمحزون. المقدمة (ص26).

كونتهم والدعاة الذين جندتهم... كالزاوية الدلائية والعايشية والناصرية والفاسية والقادرية...¹.

وموازاة مع تدهور الأحداث السياسية المذكورة لم تكن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في معزل عن الساحة المضطربة، يقول أبو سالم عن أحداث سنة 1072 هـ (أضرمت الجوع في سائر الأرجاء ناره، فتولد منه من الفتك والخرابة ما أعلى تفريق الكلمة مناره، وتطايير في كل أفق شراًؤه، وأهان خيار كل قطر شراًؤه، واتخذت البدعة شعاراً، والزندقة دثاراً، وفر الساكن من بلده والوالد من ولده...)².

ويمكن أن نتصور أن هذه العبارات كانت لسان حال كل المغاربة المتضررين من حالة التسبب وفقدان الأمن والأمان اللذين كان المغرب عاشهما أيام حكم أحمد المنصور الذهبي أواخر القرن 10 هـ، والذي بعد وفاته تعددت المحن وتدهورت القيم وعمت الفوضى والغلاء وحالات البؤس والمجاعة والحروب للسيطرة على السلطة من طرف البناء والأحفاد. يقول الناصري: (إن المغرب عرف غلاء عظيمًا في هذه الحقبة حتى بيع القمح بأوقيتين وربع مد في مدينة فاس، وبلغ صاع البر في مدينة سلا مثقالاً. وانتشرت المجاعة لقلة المؤن حتى أكل الناس الجيف وكثر الموتى... وفي أواخر سنة ثلاث وسبعين ألف مع السنة التي بعدها حدثت مجاعة عظيمة بالمغرب، لا سيما فاس وأعمالها، أكل الناس فيها الجيف والدواب والأدمي، وخلت الدور وعطلت المساجد...)³.

ويقول القادري عن أحداث 1063 هـ بفاس (... كانت مجاعة كبيرة وأكلت الجيف... وأكل الأدمي بوسط الصغارين جهراً وخلت حومات...)⁴.

ويقول كذلك عن أحداث 1073 هـ (ارتفع السعر في هذا العام بفاس، فبلغ الصاع الشرعي من القمح خمسة دراهم شرعية، وأكلت فيه الجيف، وكثر الموت، وكان عدد من دفن من الأموات من المارستان

1- الفقيه البيوسي لعبد الكبير المدغري العلوي (ص 47).

2- مقدمة الرحلة (ج 1 ص 6).

3- الاستقصا (ج 7 ص 13). نقلاً عن النقاط الدرر (ص 155).

4- نشر المثاني (ج 2 ص 67).

دون دون ما دفن من الأزقة أربعة وثمانين ألفا فيما قيل... وأكل
الآدمي¹.

ويقول المختار السوسي تعقيبا على الأحداث المتدهورة بمنطقة
سوس (وإن أردنا أن نبني هذا الحكم على أساس متين فلنُصنع لمن كان
حيا إذ ذاك يصف سوس بعد المنصور الذهبي (يقصد به القاضي
التامانارتي) نقلا عن الفوائد الجمة يقول: ... فزلزلت الأرض زلزالها
ونالها من الفتن والفساد ما نالها؛ فطاش الوقور وعاش المحقور ووضع
النفيس ورفع الخسيس...)².

كما تشير كتب التاريخ إلى الجفاف الذي كان اكتسح المغرب
سنوات 1022هـ و1044هـ و1063هـ و1072هـ. وكذلك انتشار المصابين
بوباء الطاعون سنوات 1008هـ و1072هـ و1089هـ³.

كل هذه المصائب عملت مجتمعة على تقويض التوازنات
الاقتصادية للمجتمع المغربي البسيط آنذاك، والذي تضرر من جراء
ذلك كثيرا وتفككت أواصره وعراه وعم النهب والسطو والفساد. وكان
فقهاء العصر وبعض المتقنين قد حمّلوا مسؤولية تلك الأحداث
والأوضاع المتردية إلى الحكام وحاشيهم، يقول أبو علي اليوسي مخاطبا
السلطان المولى إسماعيل: (أما الأمر الأول... فليُنظر سيدنا، فإن جباة
مملكته قد جردوا ذبول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم وشربوا الدم
وامتشوا العظم وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنياً؛ أما الدنيا
فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه. وهذا شيء شهدناه لا شيء
ظنناه. ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم. فعلى
السلطان أن يتفقد الجباة، ويكف أيديهم عن الظلم، ولا يغتر بكل من
يزين له الوقت، فإن كثيرا من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله
تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب... وأن يتفقد المصالح
ويسيطر يد الفضل على خواص الناس من أهل الفضل والدين والخير،
ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا¹

1- النقاط الدرر (ص 155).

2- إيليج قديما وحديثا لمحمد المختار السوسي (ص 30-31).

3- النقاط الدرر لمحمد الطيب القادري (ص 66-106-112-155).

وأمام تفاعل كل الأحداث السابقة لم تقف الزوايا مكتوفة الأيدي بل حاولت بعضها إبراز دورها المتمثل في تهدئة النفوس وتسكينها، وربط العلاقات الاجتماعية اعتماداً على الوازع الديني والروحي، فنضمت مواسم للاستقساء وأخرى للتضرع والتوسل بالأنبياء والعباد والزهاد والصالحين وإنشاء الأوراد وقصائد المديح النبوي، ورحلة أبي سالم متوفرة على أنماط عدة مما قلناه، نتيجة التأثير البالغ الذي كان يحز في نفس أبي سالم والذي جعله يحبذ مجالس الذكر والأوراد، ويبحث عن الطرق والزوايا ويشارك الصوفيين في طقوسهم. وهو الذي جعله يرحل ويجاور بالمدينة المنورة لينفع بما سيجنيه من فوائد وتमार بلاده وأهله وذويه، كما يقول في قصيدته:²

أحبة قلبي لا ضرار ولا ضرر ولكننا نرضى بما ساقه القدر

سأنفعمكم في غيبتني بالدعاء في مواقف حجي حيث أصفو من
٢١١

وبعد أن اتهم بالفرار والاستسلام والهروب من مسؤولية الدفاع عن الوطن والأهل يقول أبو سالم:³

وقالوا فررت وليس الفرار لمثلك في القوم من فعله

فقلت فررت إلى المصطفى ومثلي يفر إلى مثله

أما عن المجال الفكري والأدبي في عصر أبي سالم وقبله بقليل فإنه كان للأحداث السابقة الذكر انعكاسات بينة في هذا المجال إيجابية في كثير من الأحيان، حيث لم تعرف الحركة الفكرية نكوصاً، بل نفقت سوقها أشد النفاق، بسبب إدراك المثقفين للمسؤولية الملقاة على عاتقهم في المساهمة بالتوعية والإرشاد ومحاولة طمأنة النفوس واسترجاع الأمل. هذا بالإضافة إلى ما اشتهر عن جل الملوك السعديين والعلويين

1- عبقرية اليوسي لعباس الجراري (ص 95-96).

2- مقدمة الرحلة (ج 1 ص 10).

3- نفسه (ج 1 ص 10).

من ولوع بفنون الأدب وتشبيد المكتبات والمساجد والمراكز الثقافية وتعيين أوقاف لذلك.

فهذا أحمد المنصور الذهبي على سبيل المثال كان مشاركاً في معارف عصره وله شعر، كما كان له اهتمام بالحديث والفقه والنحو واللغة وغير ذلك¹، وكان ينظم حلقات الدرس بالقصر وطلب الإجازة من علماء².

كما أن المولى الرشيد أعطى الأديب الشهير شاعر المعرب والملحون أبا عثمان سعيد التلمساني صاحب القصيدة العيقية وغيرها نحو من خمسة وعشرين رطلاً من خالص الذهب، جائزة له على بعض أمداحه فيه، وحكاياته في هذا المعنى كثيرة³. كما كان المولى الرشيد يحضر مجالس الشيخ اليوسي بالقرويين⁴. (وكان رحمه الله جواداً سخياً، رحل الناس إليه من المشرق فما دونه، وقصده بعض طلبة ثغر الجزائر فامتدحه ببيتين، وهما:

فاض بحر الفرات من قطر من ندى راحتك عذبا فراتا
غرق الناس فيه والتمس الفقـر خلاصا فلم يجده فماتا

فوصله بألفين وخمسين دينارا)⁵.

ومن الدارسين من أكد على استمرار الرواج العلمي ونفاق سوقه وتفوقه أحيانا عما كان بالمشرق، رغم الظروف الحرجة التي عاشها المغرب في أواخر حكم السعديين وبداية العلويين. (كان المغرب في القرن 11هـ - ينعم - خصوصا على عهد المولى رشيد والمولى إسماعيل - بنهضة علمية لم تتوفر مثلها بالشرق، بل إن البلاد بقيت محافظة على نشاط فكري وثقافي ذي بال حتى في تلك الفترة المظلمة التي فصلت بين موت المنصور الذهبي سنة 1012هـ، والتمكين لدولة مولاي رشيد سنة

1- مناهل الصفا لعبد العزيز الفشتالي (ص265).

2- الاستقصا (ج6 ص110).

3- الاستقصا (ج7 ص31).

4- نشر المثنائي (ج2 ص194).

5- الاستقصا (ج7 ص44).

1079هـ. والفضل في ذلك يرجع إلى وجود عدد من الزوايا التي كانت تجمع بين نشر العلم وبين الزاوية¹.

كما أن فاس ومراكش وتطوان وسلا وإيليغ وتارودانت وتازروالت وغيرها كانت مقام عدد كبير من الأدباء والشعراء والعلماء والشيوخ الذين نبغوا في هذا العصر، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- أبا عبد الله محمد بن ناصر دفين درعة (ت 1089هـ).
- أبا محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفهري الفاسي (ت 1091هـ).
- أبا عبد الله محمد بن سليمان الروداني السوسي الفلكي (ت 1095هـ).
- أبا زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفهري الفاسي (ت 1096هـ).

- أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102هـ).
 - أبا عبد الله بن أحمد المسناوي الدلائي الفاسي (ت 1136هـ).²
- أما عن الكتب المؤلفة في هذه المرحلة فإنها عديدة ومتنوعة من تفسير وحديث وفقه وتصوف ومنطق وأصول وعلم الكلام ونحو وبلاغة وبيان وكتب تراجم وأنساب ودواوين شعرية³.

إلا أن الظاهرة البارزة في هذا العصر هو نشاط الزوايا التي لم تكن بالمشاركة السياسية بل كان لبعضها اهتمام سياسي ديني علمي، تمثل في التنافس على إغناء المكتبات بالكتب والمؤلفات، وعيا منها بأسباب نشر الوعي الديني والصوفي والثقافي. وذلك بعد أن ساد العزوف عن الدنيا والهروب من الشعور بالقهر والظلم، وانتشرت

¹- الفقيه اليوسي (ص73).

²- انظر تراجمهم في النبوغ المغربي (ج1 ص293 وبعدها). واللائحة طويلة كما يقول عبد الله كنون (لا يتسع لنا المجال للإتيان على تراجم أعيان علماء هذا العصر كلهم، لأن عددهم كبير... معللين بأن بين أيدينا مجالا فسيحا في كتاب: ذكريات مشاهير رجال المغرب وكتاب: شخصيات مغربية).

³- انظر لوائح جل المؤلفات في هذا العصر في النبوغ المغربي (ج1 ص310 وبعدها).

الدعوة إلى الاعتكاف والاشتغال بالتعبد والتوسل والتأليف في مناهج الطرق الصوفية ونظم المولديات والتكثير من الأمداح النبوية.

ومن أشهر زوايا ذلك العصر الزاوية الدلائية التي عرفت إلى جانب النشاط السياسي عناية بالغة بالتصوف وأهله ومريديه ومشاركات في العلوم الأدبية واللغوية¹. وكذلك الزاوية الفاسية والناصرية بتمكروت والسملالية، والعياشية التي سنفصل فيها القول فيما بعد.

لقد اعتمدت الزوايا على الانتماء القبلي والفكري للحفاظ على مصالح طائفتها، والاطلاع بالدور الفعال في نشر العلم الصوفي والاعتكاف إلى العلوم ومناقشة القضايا الفكرية المطروحة في الساحة²، فكانت الزوايا بذلك في المغرب محورا للاتجاه الصوفي السني المستمد أصوله من طريقة الجنيد، التي انتشرت في البلاد بفضل القطب المغربي عبد السلام بن مشيش صاحب الصلاة المشيشية (ت 622هـ)، والذي أثر سلوكه في تلميذه أبي الحسن علي الشاذلي (ت 656هـ) صاحب الأذكار والأحزاب. فتعدد المريدون والتلاميذ، وعرفت الطريقة الشاذلية صدى واسعا في أوساط الزوايا المغربية. واشتهر منهم محمد بن سليمان الجزولي (ت 810هـ) والشيخ أحمد زروق (ت 899هـ)... وفي القرن الحادي عشر تعددت الطرق والطوائف نظرا للاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتدخل الأجنبي الذي ساء العباد في ملذات الحياة ونفر منها، وألجأهم إلى الانزواء والخلود إلى الزوايا والاطمئنان إلى أربابها وأدعيائها حراس الشريعة، للدفاع عن مصالحهم الدينية في غياب سلطة مركزية قادرة على تهدئة الأوضاع وفرض الأمن والاستقرار.

وحتى بعدما أوقع المولى الرشيد بالزاوية الدلائية الواقعة سنة 1079هـ، فقد استمر مريدوها وشيوخها المنفيون في مختلف مدن المغرب وخاصة بفاس ينشرون تعاليم الدين والفقه والأدب. (فإنه لما استقر الملك العلوي على يد المولى الرشيد وقضى على الزاوية الدلائية

1- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي لمحمد حاجي (ص20 وبعدها). الحياة الأدبية في المغرب (ص70).

2- مثل قضية شرب القهوة والدخان ولبس الصوف المتنوف وصلاة المالكي خلف الحنفي...

لم يرد أن يقضي على النابيين بها، بل أحسن معاملاتهم ونقلهم إلى معاهد المغرب، ليستأنفوا فيها نشاطهم العلمي والأدبي¹.

وعن دور هذه الزاوية يقول عبد الله كنون متأسفاً عن المصير الذي حل بها (فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلوم والآداب الذي كاد أن يضيع، فقامت عليه خير قيام. وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزاً مهماً لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب ومأرزاً حصيناً للعلوم الإسلامية بالبلاد. وقد تخرج فيها عدد لا يحصى من العلماء الفطاحل والأدباء الأمثال، يكفي أن نذكر منهم علامة المغرب في هذا العصر أبا علي اليوسي. والواقع أنه لو لم يقض عليها مولاي الرشيد ذلك القضاء المبرم لكان للمعارف اليوم بالمغرب وخصوصاً القبائل شأن غير هذا الشأن. ولكن ما يشفع لمولاي رشيد هو أنه بعد تخريب الزاوية نقل أهل العلم من رجالها مكرمين إلى فاس، حيث عكفوا على التعليم والتذكير من غير خوف ولا نكير...) ².

وكان أبو علي الحسن اليوسي أبرز شخصية تخرجت من الزاوية الدلائية التي كان ألقى بها عصا التسيار، بعدما طاف المغرب وأخذ عن جل شيوخه. وعندما نفي إلى فاس بعد الإغارة على الزاوية اشتغل بالتدريس بالقرويين. وكانت له صلة وثيقة مع أبي سالم (صلة علم وطريقة مما جعله يرفعه إلى أعلى المناصب التي كان عليها كبار العلماء والمتصوفة في الإسلام فقال فيه قوله المأثور:

فمن فاته الحسن البصري يدركه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه)

3

كما خلف العصر إنتاجاً أدبياً - علمياً يعكس شخصية الأديب الفقيه المشارك المهتم بواقعه والمتسم بالموسوعية الراكنة إلى الواقع المحلي الذي كان يفرض التبعية للمشرق في العديد من القضايا؛ فكانت حركة التأليف (قد انطلقت من قاعدة محددة المناهج في التأليف والتدريس، فطبعت نمطية تفكيرها بمحدودية في الرؤية الفكرية بسبب أحداث العصر، التي صرفت الهم عن الإبداع والاجتهاد، فكانت ذات نهج

1- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن تاووت (ج 3 ص 775).

2- النبوغ المغربي (ج 1 ص 284).

3- الوافي بالأدب العربي بالمغرب (ج 1 ص 761).

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

اتباعي. وهذا ما جعل منهج التدريس يعتمد على طريقة الإلقاء والتلقين التي قامت على أساس المختصرات¹.

¹- أبو سالم العياشي المتصوف الأدبي (ج 1 ص 42).

د. خالد سقاط

2- الرحالة أبو سالم العياشي

أ - ترجمته:

إن البحث في ترجمة علم من الأعلام التاريخية له من الأهمية ما يفيد في الربط بين المفكر المترجم به وإنتاجه، وتعيين المؤثرات الكبرى التي تحكمت في إبداعه، سواء منها السياسي أو الاجتماعي أو ما له علاقة بالجانب الفني الإبداعي بالدرجة الأولى، والمتمثل في ذكر سلسلة شيوخه ومؤلفاتهم وما أخذه عنهم.

لقد تطرقت العديد من المصادر والمراجع للحديث عن ترجمة أبي سالم أثناء الحديث عن بعض آثاره العلمية، ولعل عددها يفوق الستين، بين مختصرة ومطولة وأخرى باللغة الأجنبية.

أبو سالم لم يدون ترجمة ذاتية، باستثناء ما جاء في بعض مؤلفاته عن أسرته وبعض أعلامها وما يستنبط منها عن ثقافته وإشاراته إلى الزاوية العياشية.

هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي، نسبة لآل عياش أو أيت عياش، قبيلة من البربر، تتاخم بلادهم الصحراء من أحواز سجماسة. ويقال للواحد منهم بلغتهم فلان أعياش¹.

اشتهر بكنية أبي سالم²، وهو في الأصل أبي محمد³ على عادة من كان اسمه (عبد الله). وكان يلقب بعفيف الدين، المالكي، المغربي الإدريسي⁴.

ولد سنة 1037هـ/1628م بآيت أعياش بالقرب من قرية تازروفت - على بعض أودية أحد روافد نهر زيز - التي كان انتقل إليها أجداده من قصر ولتدغير من فجيج¹.

1- نشر المثاني (ج2 ص254). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بن عبد الله (ج4 ص81).

2- قال أبو سالم في اقتفاء الأثر عند ذكر شيخ أبي اللطف الوفاي (... ألبسني الخرقة وكناني بأبي سالم، وقال لي: سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة...) (ص156). الثغر الباسم (ص3).

3- نص إجازة عبد القادر الفاسي لأبي سالم، حيث كناه بأبي محمد. نشر المثاني (ج2 ص258-259).

4- لقبه بها شيخه إبراهيم الكوراني. الرحلة (ج2 ص283).

ومما ينبه إليه في هذا الصدد هو عدم الخلط بين الرحالة أبي محمد عبد الله (أبي سالم) وبين سميّه اسما ولقبا ابن المجاهد العياشي الذي كانت وفاته سنة 1073هـ². يقول القادري (والعياشي هذا- بياء النسبة في آخره- هو المراد هنا. وأما الشيخ سيدي عبد الله أعياش- بهمزة في أوله وتشديد في آخره - فهو من قبيلة بربرية معروفة في المغرب بأيت عياش، وهو صاحب الرحلة والفهرسة والأنظام...)³.

إلا أنه يمكن تصور علاقة بين القبيلة العربية العياشية التي منها أبو عبد الله محمد العياشي المجاهد السلوي (ت 1050هـ) وابنه- سمي أبي سالم- أبو محمد عبد الله العياشي (ت 1073هـ)، وبين القبيلة البربرية أيت عياش التي منها رحالتنا أبو سالم. (وهذا ولو أن الزاوية كانت تحمل وقتئذ اسم (زاوية أيت عياش) الذي تحول فيما بعد إلى زاوية حمزة بن أبي سالم عبد الله العياشي (ت 1030هـ) الأمر الذي يعني وجود صلة نسب ما بين العياشيين من آل المجاهد السلوي أبو عبد الله محمد: المرابط الرئيس وبين أيت عياش أو العياشين آل رحالتنا الذين كان لهم رباطهم أو زاويتهم في منطقة تافاللت، سجلماسة القديمة)⁴.

وقد كان لحركة العياشي المجاهد السلوي حضور بارز على الساحة السياسية والاقتصادية بالمغرب حيث كانت له مقاومة بالثغور المغربية ضد النصارى ومفاوضات مع الأنجليز والهولنديين⁵.

تلقى أبو سالم تعليمه الأول بالزاوية العياشية، على يد والده المرابط المعروف بالصلاح والاستقامة محمد بن أبي بكر⁶ (ت 1067هـ). يقول أبو سالم: (...قرأت عليه القرآن العظيم غير ما مرة، وسمعت عليه وظيفة الشيخ زروق من لفظه، ولقنني الذكر، ولقنني دعاء التوبة

1- تفاصيل تنقلات أجداد أبي سالم واستقرارهم مفصلة في كتاب الإحياء والانتعاش (لو 4 وبعدها).

2- نشر المثاني (ج 2 ص 133).

3- نشر المثاني (ج 2 ص 133).

4- مقدمة (ماء الموائد، العياشي، الرحلة - ليبيا طرابلس وبرقة) (ص 22).

5- الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17هـ لعبد اللطيف الشاذلي (ص 10 وبعدها).

6- ترجم له أبو سالم في الاقتفاء (ص 103) وهامش الصفحة وصاحب الإحياء (لوحة 16 إلى لوحة 42)، والثغر الباسم (لوحة 4). والقادري في نشر المثاني (ج 2 ص 83).

للساذلي. ولم يزل يتعاهدني بوصاياه النافعة ومواعظه البالغة. وكتب لي من ذلك ما أرجو البركة وحصول البغية في التمسك به إن شاء الله¹.

وفي سنة (1053هـ) انتقل إلى الزاوية الناصرية ببلاد درعة حيث أخذ على بعض علمائها، منهم مؤسس الزاوية الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي² (ت1085هـ) يقول أبو سالم: (... حضرت مجالسه في كثير من العلوم فقها وتفسيراً ونحواً وحديثاً وتصوفاً...)³.

وبعدها رحل إلى فاس حيث أخذ على أشهر شيوخ القرويين، منهم الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي⁴ (ت1091هـ)، وشيخ الجماعة الشيخ أحمد ابن موسى الأبار المدعو حمدون⁵ (ت1071هـ)، والشيخ محمد بن أحمد ميارة⁶ الفاسي (ت1072هـ)، كما أخذ عن عالم مراكش وفقيهها الشيخ أبي بكر بن يوسف السكتاتي⁷ (ت1063هـ) أثناء عودته من رحلته الأولى سنة (1059هـ). وقد اكتفى أبو سالم بذكر هؤلاء المشايخ الستة في اقتفاء الأثر، يقول: (ولنقتصر على هؤلاء المشايخ الستة من مشايخ المغرب إيثارا للاختصار لضيق الوقت. وفي نفسي إن يسر الله جمع الرواية بأجمعها، فيكون مرجعاً لمن أراد ذلك)⁸.

كما كانت لأبي سالم علاقات ودية ومراسلات علمية وإخوانية مع شيوخ مغاربة آخرين، (ولم تتح له الظروف التي عرفها المغرب أواسط القرن الحادي عشر الهجري أن يرحل إلى الدلاء ولا إلى مراكش، فاستغنى عن زيارة الأولى بالعلاقات الودية والمراسلات العلمية والأدبية التي كانت بينه وبين بعض علماء الزاوية الدلائية، كأبي علي الحسن ابن مسعود اليوسي والطيب بن محمد المسناوي ومحمد المرباط الدلائي ومحمد بن محمد بن أبي بكر الصغير الدلائي. كما لم يزر الثانية

1- اقتفاء الأثر (ص103) لأبي سالم العياشي، تحقيق: نفسية الذهبي.

2- اقتفاء الأثر (ص116) والهامش رقم 90 من نفس الصفحة.

3- اقتفاء الأثر (ص117)

4- اقتفاء الأثر (ص110) والهامش رقم 54 من نفس الصفحة، أخذ عنه سنة 1063هـ.

5- اقتفاء الأثر (ص113) والهامش رقم 70 من نفس الصفحة.

6- اقتفاء الأثر (ص114) والهامش رقم 80 من نفس الصفحة.

7- اقتفاء الأثر (ص115) والهامش رقم 86 من نفس الصفحة.

8- نشر المثاني (ص118) إن ذكر هؤلاء الشيوخ عدا والده وشيخ الزاوية الناصرية والشيخ السجستاني الذي أخذ عنه عندما صحبه في العودة من الرحلة الأولى في معرض الحديث عن دراسته الأولية هو افتراض شخصي لأنه قد يكون اتصاله بهم بعد عودته من الرحلة وبالضبط عند إقامته الجبرية مع أسرته بفاس.

مكتفيا بصحبة أشهر علمائها أبي بكر ابن يوسف السكتاتي وهو في طريق العودة من المشرق في رحلته الأولى...¹.

ونظرا لما كانت تعرفه الساحة المغربية من اضطرابات على جميع المستويات، ولما كان أبو سالم قد اتصل بأشهر من تمكن له الأخذ عنهم من علماء المغرب رحل إلى المشرق رغبة في إتمام طلبه ومطمحه المتزايد إلى اعتناق كل المعارف وأصول.

يقول أبو سالم: (وكننت في أول معاناتي للطلب، وتشبتي بأذيال الأدب، كلفا بالرواية، ومستروحا إليها من أثقال الدراية. فأخذت عن الأعلام الذين أدركتم بالمغرب قليلا، فلم يشف ما لديهم مما أجد غليلا، ولا أبرأ غليلا، لأنهم اقتصروا من الكتب على ما اشتهر، واستغنوا عما غاب بما ظهر، دون المسلسلات والأجزاء الصغار وعوالي الإسناد، وغرائب الأخبار. فلما من الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية أولا وثانيا، ولعان العزم نحو الرواية ثانيا، تنبعت ذلك في مظانه وعند أربابه، ورميت والحمد لله بسهم مصيب مع أصحابه. فشكرت الله على ما أولى مع اعترافي بأن الاشتغال بالدراية أولى)².

وهكذا كانت لأبي سالم ثلاث رحلات حجازية إلى المشرق في فترات عمره المختلفة:

- الأولى سنة 1059هـ/1649م ← وكان عمره 23 سنة.
- الثانية سنة 1064هـ/1653م ← وكان عمره 27 سنة.
- الثالثة سنة 1072هـ/1661م ← وكان عمره 35 سنة.

ورحلة "ماء الموائد" وإن كان الظاهر أنها كانت نتيجة للرحلة الثالثة والتي استغرقت سنتين، جاور خلالها بالمدينة المنورة لمدة تسعة أشهر، وأدى فيها حجتين وعدة عمرات، إلا أنها في الحقيقة صادرة عن تجارب ولقاءات واجتهادات ودراسات أبي سالم خلال الرحلات الثلاث. ويؤيد ذلك ذكره أثناء الرحلة لعدة أحداث ولقاءات ووقائع عايشها خلال رحلاته السابقة. فكانت رحلته الثالثة بهذه الصورة التي تولدت عنها تعتبر في رأي العديد من الدارسين بحق سجلا للعلاقات الفكرية

¹- أبو سالم العياشي المتصوف الأدبي (ج1 ص83).

²- اقتفاء الأثر (ص100-101).

والاجتماعية بين المغرب والمشرق¹. كما أنها وثيقة رسمية لصاحبها لاكتساب الإجازات وتبادل الأخذ والعطاء والجلوس للتدريس كما فعل بالمدينة المنورة ومراكز عدة.

وبعد رجوع أبي سالم من رحلته سنة 1074هـ، نجده يتفرغ للتدريس بالزاوية العياشية حتى سنة نفيه مع أسرته إلى فاس سنة 1082هـ— كما سنفصل القول في ذلك حيث سنذكر اختلاف الروايات في سبب النفي وفي سنة النفي، بين قائل إنها كانت بسبب رفضه لمنصب القضاء الذي كان عرضه عليه المولى الرشيد سنة 1063هـ، وقائل إنها كانت بسبب وشاية كاذبة حول طمع العياشيين في الحكم وسيرهم على نهج الدلائيين— حيث اشتغل بالتدريس بفاس، وأجاز العديد من الطلبة والشيوخ. وفي عهد المولى إسماعيل صدر العفو على الأسرة العياشية، وسُمح لها بالعودة إلى الزاوية أواخر محرم 1083هـ، حيث يتفرغ أبو سالم مرة أخرى للتدريس وتربية المريدين ويسير على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم...². وتذكر المصادر بعض الذين أخذوا عنه في هذه المرحلة منهم خاصة ابنه حمزة (ت1130هـ)، والشيخ عثمان اليوسي الذي كانت طالت إقامته بالزاوية حتى عُد من أبنائها، ومحمد بن يوسف العياشي (ت1111هـ)، ومحمد بن عبد الرحمان العياشي (ت1100هـ)، ومحمد بن محمد بن عبد الجبار (ت1090هـ).

ب - شيوخ أبي سالم ومجيزوه:

يمثل منهج أبي سالم ظاهرة علمية فريدة في عصره، بسبب الهاجس العلمي والنهم الفكري الذي كان يملكه، والذي جعله في بحث وجهد مستمرين ودائمين للاتصال بالعلماء والشيوخ وأرباب الزوايا وسالكي الطرق الصوفية، على اختلاف مشاربها ومعتقداتها، ويكفيه أن يسمع بأحدهم حتى يسرع إليه ويركب الصعب والدلول ليصل إليه في أي مكان، ليسمع منه ويأخذ عنه ويستجيزه ويروي عنه ويسأله ويستفسره ويناقشه، ويلبس عنه الخرق أو الخرق المتعددة. إلا أنه كان يؤكد ذلك على الإجازة لما لها من أهمية. (فالوصول إذن إلى روايته بالإجازة فيه نفع عظيم، ورغد جسيم، إذ المقصود إحكام السنن المروية

¹- أطوار العلاقات المغربية العثمانية إبراهيم شحاتة حسن (ص307 وبعدها). تاريخ العلاقات المغربية المصرية لمحمد مزين (ص71 وبعدها).

²- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. لمحمد حجي (ص65).

في الأحكام الشرعية وإحياء الآثار على أتم الإيثار، سواء كان بالسماع أو القراءة أو المناولة أو الإجازة¹. لذلك كانت سلسلة شيوخه² وأسماء من اتصل به طويلة ومتشعبة ذكر بعضها في فهرسته "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر"، والقسط الأوفر منهم مذكور في رحلته "ماء الموائد". وسنحاول تتبع خطوات دراسته أو أخذه أو مصاحبته مع جلهم، مع رصد ما تلقاه عنهم من علوم متباينة إن أمكن ذلك.

• **ففي المغرب:** كان أبو سالم كثير الإقبال على حلقات العلم، أخذًا عن الأعلام المشهورين في عصر، سواء قبل رحلاته أو بينها أو بعدها، إما بالوصول إلى مقر تحلقهم أو عن طريق مراسلتهم وطلب إجازتهم³.

- **بالزاوية العياشية:** أخذ عن والده محمد بن أبي بكر (ت 1067هـ)، وأخيه الأكبر عبد الكريم⁴.

- **بدرعة:** لازم الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي (ت 1085هـ) مؤسس الطريقة الناصرية الشاذلية السنية. حضر مجالسه في كثير من العلوم: الفقه، التفسير، النحو، الحديث والتصوف. يقول أبو سالم: (...) تلقت منه الذكر وأجاز لي سائر مروياته، وكتب لي ذلك بخط يده المباركة⁵.

- **بمراكش:** أخذ عن الشيخ أبي بكر بن يوسف السكتاتي أو السجتاني (ت 1063هـ)، عندما رافقه في العودة من رحلته من مصر. يقول أبو سالم: (لقيته بمصر سنة تسع وخمسين، وصحبته إلى المغرب في الرجوع، وسمعت عليه بعض الشمائل، ولقنني الذكر بظاهر بسكرة، وأجاز لي مروياته في العلمين الظاهر والباطن عن جميع أشياخه، وكتب لي ذلك بخطه⁶).

1- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لأبي طاهر السلفي (ص 54).
2- قدم الدكتور بنصر في رسالته لائحة شيوخ أبي سالم مقسمة إلى شيوخ علوم الشريعة (52 شيوخاً)، وإلى شيوخ علوم الحقيقة (22 شيخاً) (ج 1 ص 87 وبعدها).
3- اعتماداً على الرحلة، واقتفاء الأثر، ونشر المثاني، والإحياء والانتعاش، والثغر الباسم، والنقاط الدرر، والحركة الفكرية، والحياة الأدبية.
4- عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمان الجبراتي (ج 1 ص 168).
5- اقتفاء الأثر (ص 118) (ص 149).
6- اقتفاء الأثر (ص 116) (ص 148).

- **بفاس:** أخذ عن الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت1091هـ) علوما جمة، وسمع عليه تأليف كثيرة في سائر الفنون (كألفقه والحديث والتفسير والنحو والبيان والأصلين والتصوف، منها بقراءتي ومنها بقراءة غيري، وأجازني سائر مروياته عن سائر أشياخه وكتب لي ذلك بخطه)¹.

- الشيخ أحمد بن موسى الأبار الملقب بحمدون (ت1071هـ): (قرأت عليه المختصر كله وفرائضه بالعمل مرتين، وشيئا من القلصادي. وسمعت عليه جملة من صحيح البخاري والفاخرة بمد مالك من رواية شمهروش قاضي الجن ... وأجاز لي شيخنا الأبار جميع مروياته عن جميع أشياخه وكتب لي ذلك بخطه)².

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة (ت 1072هـ): (سمعت عليه جملة من كتب الفقه، وسمعت من لفظه شرحه الصغير على "المرشد المعين" بأجمعه وكثيرا من شرحه على "لامية الزقاق" وغير ذلك من مروياته. وأجاز لي سائر مروياته وكتب لي ذلك بخطه)³.

وقد أخذ أبو سالم عن غير هؤلاء العلماء الثلاثة بفاس لم يرد ذكرهم في الفهرس وفي الرحلة. يقول أبو سالم: (فلنقتصر على هؤلاء الثلاثة من أهل فاس، وإن كنت قد رويت عن غيرهم، لأنهم أعلى من يسند عنه في تلك البلدة الطيبة)⁴.

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم بالمغرب أو كانت له بهم اتصالات أو مراسلات:

- أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1096هـ)، قرأ عليه الروضة وقصيدته في الأسطرلاب وأجازه إجازة عامة⁵. قال

1- اقتفاء الأثر (ص110). النبوغ المغربي (ج1 ص293).

2- اقتفاء الأثر (ص113-114).

3- اقتفاء الأثر (ص114-115). الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي (ج2 ص289). النبوغ المغربي (ج1 ص259).

4- اقتفاء الأثر (ص115).

5- الثغر الباسم لمحمد بن حمزة العياشي (ص9-10). الإحياء والانتعاش لعبد الله بن عمر العياشي (ص54). إلقاط الدرر (ص230). النبوغ المغربي (ج1 ص295). الحياة الأدبية (ص114).

القادري: (وأرسل أبو سالم إلى صاحب الترجمة برسائل وحلاه بشيخنا فيها)¹.

- القاضي محمد بن محمد بن أبي القاسم بن سودة الغرناطي المري² (ت 1076هـ)، سمع منه جملة من الفقه المالكي، وأجازته إجازة عامة³.

- الشيخ عبد السلام ابن المُناصر الأديب اللغوي النحوي⁴ (ت 1056هـ).

- الشيخ أبو الحسن علي الزرهوني، توفي بشفشاون سنة 1072هـ، كان محققا في النحو والصرف والعروض⁵.

- الشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن محمد المرابط التلمساني الأصل الفاسي الدار والمولد (ت 1079هـ)، عارف بالنحو والفقه⁶.

- الشيخ حمدون بن محمد المزوار من مدينة أزجن قرب وزان (ت 1084هـ)، كان قاضيا بفاس، له باع في علوم البيان والمعاني والتفسير⁷.

- محمد بن أبي القاسم الدادسي، أخذ عنه نظمه المسمى باليواقيت⁸.
- ميمون الرتبي⁹.

- أحمد بن جلال، قرأ عليه مراصد المعتمد¹⁰.

في طرابلس¹¹:

- الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل (ت 1074هـ)، أخذ عنه في رحلة (1064هـ).

- الشيخ شعبان بن مساهل (ابن عم شيخه السابق)، أفاده بمعرفة نواذر في التاريخ.

1- نشر المثنائي (ج 2 ص 328).

2- نشر المثنائي (ج 2 ص 150).

3- الإحياء والانتعاش (ص 53).

4- الثغر الباسم (ص 10). نشر المثنائي (ج 2 ص 33).

5- الثغر الباسم (ص 10). إنقاط الدرر (ص 153). نشر المثنائي (ج 2 ص 121).

6- الثغر الباسم (ص 10). نشر المثنائي (ج 2 ص 179).

7- الثغر الباسم (ص 10). نشر المثنائي (ج 2 ص 205).

8- الإحياء والانتعاش (لو 55).

9- الإحياء والانتعاش (لو 55).

10- الإحياء والانتعاش (لو 55).

11- للإشارة فإن جل الأعلام والشيوخ الآتية أسمائهم لهم تراجم وحديث عن الفنون التي تخصصوا فيها وما أخذهم عنهم أبو سالم في محلهم من قسم التحقيق ونكتفي بالإشارة إلى الذين ذكرهم في كتابه اقتفاء الأثر، أو كتاب الإحياء والانتعاش.

- ربط علاقة مع الشيخ محمد المكني الذي ولي الفتوى بعد عزل شيخه محمد بن مساehl¹.
- عاشور القسطيني، أجازته إجازة عامة².
- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسطيني³.

● في مصر:

- أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي (ت1080هـ)⁴.
- أبو الحسن علي بن محمد الأجهوري (ت1066هـ)⁵.
- أحمد بن محمد الخفاجي أفندي (ت1069هـ)⁶.
- إبراهيم بن محمد الميموني (ت1080هـ)⁷.

- شهاب الدين القيلوبي (ت1069هـ)⁸.
- عبد الجواد بن إبراهيم الطريني (ت1072هـ)⁹.
- عبد القادر بن جلال الدين المحلي الصديقي¹⁰.
- علي الشموركسي.
- محمد بن علاء الدين البابلي.
- زين العابدين محمد البكري (ت1090هـ)¹¹.
- محمد الطحطائي المالكي¹².
- عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (ت1076هـ).
- محمد بن عبد الله الخراشي (ت1102هـ).
- أبو اللطف الوفائي¹³.
- أحمد البشبيشي.

1- الإحياء والانتعاش (لو 94).

2- الإحياء والانتعاش (لو 94).

3- الإحياء والانتعاش (لو 95).

4- اقتفاء الأثر (ص 131).

5- اقتفاء الأثر (ص 119).

6- اقتفاء الأثر (ص 126).

7- اقتفاء الأثر (ص 123).

8- اقتفاء الأثر (ص 130).

9- اقتفاء الأثر (ص 129).

10- اقتفاء الأثر (ص 127).

11- اقتفاء الأثر (ص 161).

12- اقتفاء الأثر (ص 156).

13- اقتفاء الأثر (ص 133). الإحياء والانتعاش (لو 62).

- موسى القليبي.
- عبد الله بن محمد الديري.
- أبو الحسن علي الشبراملسي¹.
- عبد النور الشافعي².
- الشيخ السلطان بن أحمد المزاحي (ت 1085هـ).
- بدر الدين بن محمد القادري (ت 1069هـ)³.

● بالحرمين:

- تاج الدين بن أحمد المالكي الأنصاري (ت 1063هـ).
- أبو الحسن علي بن عبد القادر الحسني الطبري (ت 1070هـ).
- محمد با علوي اليمني (ت 1071هـ).
- أبو العباس محمد القشاشي (ت 1071هـ).
- عبد الكريم الفكوني القسطيني (ت 1073هـ).
- أبو الحسن علي بن محمد الدبيع الشيباني اليمني الزبيدي (ت 1076هـ).
- محمد بن علاء الدين البابلي المصري (ت 1076هـ)⁴.
- أبو مهدي عيسى الثعالبي (ت 1080هـ).
- شهاب الدين أحمد بن التاج (ت 1081هـ).
- أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري (ت 1083هـ).
- عبد الرحمان بن محمد المكناسي (ت 1085هـ).
- جمال الدين النقشبندي (ت 1086هـ).
- إبراهيم بن حسن الكوراني (ت 1101هـ).
- ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي.
- أبو الحسن علي بن أحمد اليمني الشافعي المدعو بآحاج.
- حسن البري.
- بدر الدين الهندي.
- محمد بن سليمان الروداني.
- محمد الفزاري⁵.

1- اقتفاء الأثر (ص 130).

2- الإحياء والانتعاش (لو 61).

3- اقتفاء الأثر (ص 155).

4- اقتفاء الأثر (ص 135). الإحياء والانتعاش (لو 68).

5- الثغر الباسم (لو 13).

● بفلسطين: (غزة، الخليل، الرملة)

- خير الدين أحمد الأيوبي الرملي (ت 1081 هـ)¹.
- عبد القادر ابن الغصين الغزي (ت 1087 هـ).
- عمر بن عبد الصمد العلمي (ت 1073 هـ)².
- عمر بن عبد القادر المشرقي (ت 1074 هـ).
- يوسف القاسمي الجنيدي³.
- شيوخ مشاركة كان له بهم اتصال وصحبة ولم يأخذ عنهم:
- محمد النفاتي التونسي المغربي⁴.
- محمد السالحي⁵.
- أحمد بن محمد بن علي بن عبد القادر المالكي⁶.
- إبراهيم بن شهاب الدين المروي⁷.
- علي الصوفي⁸.
- محمد بن أبي الوفا الأشعري الحسيني⁹.
- عثمان النحراوي¹⁰.
- يحيى بن الباشا الأحسائي¹¹.
- أحمد البري¹².
- موسى الرجوي.
- محمد بن السيرافي الوفائي.
- أحمد بن محمد بومجيب (ت 1074 هـ).
- الحسن بن علي العجيمي.
- يوسف بن حجازي القاسمي.

- 1- الإحياء والانتعاش (لو 89).
- 2- الإحياء والانتعاش (لو 91).
- 3- الإحياء والانتعاش (لو 92).
- 4- الإحياء والانتعاش (لو 90).
- 5- الإحياء والانتعاش (لو 92).
- 6- الإحياء والانتعاش (لو 79). الثغر الباسم (لو 13).
- 7- الإحياء والانتعاش (لو 92).
- 8- الإحياء والانتعاش (لو 63).
- 9- الإحياء والانتعاش (لو 90).
- 10- الإحياء والانتعاش (لو 63).
- 11- الإحياء والانتعاش (لو 82). الثغر الباسم (لو 13).
- 12- الإحياء والانتعاش (لو 84).

- محمد بن محمد الجليلي.

ووعيا بقيمة الإجازة وفوائدها فقد حرص أبو سالم على طلبها لنفسه ولأفراد أسرته وأصدقائه (ومن فوائد الإجازة أيضا أن ليس كل طالب وباغ للعلم فيه راغب يقدر على سفر ورحلة، وبالخصوص إذا كان مرفوعا إلى علة أو قلة أو يكون الشيخ الذي يرحل إليه بعيدا، وفي الوصول إليه يلقي تعباً شديداً، فالكتابة حينئذ أرفق، وفي حقه أوفق. ويعد ذلك من أنهج السنن وأبهج السنن، فيكتب من بأقصى المغرب إلى من بأقصى المشرق، فيأذن له في رواية ما يصح لديه من حديثه عنه فيكون ذلك المروي حجة)¹.

• الذين أجازوه وأجازوا من يروي عنه فأسمائهم عديدة نذكر منهم حسب ما جاء في الرحلة:

- عبد القادر بن علي الفاسي.	- أحمد بن تاج الدين المالكي.
- شهاب الدين الخفاجي.	- عبد القادر بن جلال الدين المحلي.
- إبراهيم الميموني.	- الملا محمد شريف.
- أبو بكر السجستاني.	- عاشور القسطيني.
- أبو مهدي عيسى الثعالبي.	- عبد القادر بن الغصين.
- أبو بكر بن سالم الشيخان.	- خير الدين الرملي.
- شهاب الدين القليوبي.	- أبو حفص عمر العلمي.
- محمد الشريف الصديقي.	- يوسف القاسمي الجنيني.
- أبو زيد عبد الرحمان المكناسي.	- عمر بن عبد القادر المشرقي.
- عبد الجواد الطريني.	- عبد الله بن محمد الديري.
- الشيخ سلطان.	- علي الشبراملسي.
- الشيخ البابلي.	- علي بن محمد الأجهوري.
- زين العابدين الطبري.	- أبو الحسن علي الطبري.
- محمد بن علاء الدين البابلي.	- إبراهيم بن عبد الرحمان الخياري.

• بعض مرويات أبي سالم عن الشيوخ الذين أجازوه نقلا عن "الرحلة" و"اقتفاء الأثر" و"الإحياء والانتعاش":

- الموطأ.	- مسند أبي حنيفة.
- صحيح البخاري.	- مسند أحمد.

¹- الوجيز في ذكر المجاز والمجيز لأبي طاهر السلفي (ص 65).

- الشفا للقاضي عياض.	- صحيح مسلم.
- الأربعون النووية وسائر مصنفاته.	- سنن أبي داود.
- مختصر الشيخ خليل وسائر مصنفاته.	- سنن الترمذي.
- كتاب سيويه.	- سنن النسائي.
- تأليف ابن الحاجب.	- سنن ابن ماجة.
- ديوان ابن الفارض.	- مسند الإمام الشافعي.
- الجرومية.	- تأليف ابن مالك.
- تلخيص المفتاح للقزويني.	- تأليف ابن هشام.
- بردة البصري.	- تأليف القرافي.
- تأليف البسطامي.	- جمع الجوامع للسبكي.
- مصنفات البيضاوي.	- تصانيف سعد الدين التفتازاني.
- مصنفات النسفي.	- تصانيف السيد الجرجاني.
- مصنفات ابن الأثير.	- مصنفات الفيروز أبادي.
- تصانيف ابن الجوزي.	- الشاطبية.
- عوارف المعارف للسهمودي.	- تصانيف ابن الدقيق العيد.
- تصانيف الزمخشري.	- سيرة ابن سيد الناس اليعمري.
- تصانيف الجويني.	- تأليف الفخر الرازي.
- تصانيف الغزالي.	- تفسير بن عطية.
- التعرف لمذهب أهل التصوف للكلابادي.	- مصنفات ابن عطاء الله.
- شرح التعرف للقونوي.	- تصانيف محيي الدين بن عربي.
- مورد الظمان لأبي عبد الله الخراز وسائر مصنفاته.	- تصانيف عز الدين بن عبد السلام.
- تأليف الشيخ السنوسي.	- تصانيف المنذري.
- تأليف ابن زكري.	- تصانيف الرضي الصاغاني.
- فهرست جلال الدين السيوطي.	- تصانيف أبي العباس القرطبي.
- فهرست ابن فهد المكي.	- تصانيف بهرام.
- فهرست الشيخ زكرياء.	- مصنفات عبد القادر الجيلاني.
- فهرست أحمد بن حجر.	- القوت لأبي طالب المكي.
- فهرست ابن الزبير الغرناطي.	- مصنفات القشيري.
- مرويات الخطيب ابن مرزوق.	- مرويات زين الدين العراقي.
- مرويات عبد الرحمان الثعالبي.	- أسانيد محمد الغيطي.
- فهرست ابن بشكوال.	- فهرست ابن غازي.
- روض الأس للمقري.	- فهرست القصار.
	- مرويات ابن مرزوق الحفيد.
	- مرويات الشيخ زروق.

- فهرست السلفي.	
- أسانيد إبراهيم اللقاني.	

إن أبا سالم يروي كل هذه المؤلفات المغربية والمشرقية إجازة عن شيوخه الذين رووها عن شيوخهم إلى أن يتصل السند بالمؤلف. ومن المؤكد أن أبا سالم لم يرو كل هذا الحجم الهائل من المصنفات قراءة وسماعة وتصحيحاً خلال رحلاته، بل إن إجازة هؤلاء الشيوخ له كانت عامة إما بقراءة جزء والإذن برواية التتمة أو بدون قراءة أصلاً فيجيزه الشيخ بروايته عنه عامة ما يرويه عن شيوخه.

ج- تلاميذ أبي سالم ومستجيزوه:

من الطبيعي أن يكون لأبي سالم تلاميذ وشيوخ أخذوا عنه، سواء في رحلاته أو عندما اشتغل بالتدريس والتعلق بالزاوية العياشية أو بفاس أو بالمدينة المنورة. إلا أن المصادر والمراجع لا تثبت إلا القليل، نذكر منهم:

- ابنه حمزة (ت 1130هـ) الذي خلف والده في العناية بالزاوية وشراء الكتب واستنساخها¹.

- ابنه أحمد بن أبي سالم.
- محمد بن يوسف العياشي (ت 1111هـ).
- محمد بن عبد الرحمان العياشي (ت 1100هـ).
- محمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي (ت 1090هـ).
- محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1134هـ).
- إبراهيم بن علي الدرعي الشهير بالسباعي (ت 1155هـ).
- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي² (ت 1129هـ).
- أبو الحسن بن محمد بن ناصر الدرعي.
- عبد الله بن محمد بن ناصر الدرعي.
- أبو سعيد عثمان بن علي اليوسي (ت 1084هـ).

¹ - الإحياء والانتعاش (لو 173 إلى 194).
² - أبناء محمد بن ناصر الدرعي الثلاثة أجازهم أبو سالم إجازة عامة. انظر نص الإجازة (ص 219) من فهرسته اقتفاء الأثر.

- أحمد بن سعيد المجيلدي (ت 1094هـ) هو الذي كتب باسمه مؤلفه "التعريف والإيجار ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز" كتبه له سنة (1068هـ) عن رحلته الثانية.
- محمد الصغير بن عبد الرحمان الفاسي (ت 1134هـ).
- محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت 1120هـ).
- محمد المعمورني (أخذ عنه في منطقة حاسي السلطان).
- أبو زيد عبد الرحمان ابن الحسن (كان معه في الركب)
- ومن اللذين أجازهم أبو سالم في المغرب والمشرق نذكر منهم:
 - ابنه حمزة.
 - محمد بن عبد الجبار العياشي.
 - عثمان بن علي اليوسي، أجازة بفهرسه اقتفاء الأثر.
 - أحمد بن سعيد المجيلدي.
 - محمد بن الصغير بن عبد الرحمان الفاسي.
 - أحمد بن محمد أخزي الهشتوكي (ت 1127هـ).
 - أبناء الشيخ محمد بن ناصر الدرعي الثلاثة.
- ومن المشاركة نذكر منهم حسب ما جاء في الرحلة:
 - أبو مهدي عيسى الثعالبي.
 - أحمد بن علي باقشير.
 - الملا محمد شريف.
 - إبراهيم بن شهاب الدين المرواني.
 - عيسى بن علي العبدى الدكالي المغربي (قاضي قابس).
 - إبراهيم بن حسن الكوراني.
 - محمد بن رسول الشهرزوري.
 - الشيخ حسن البري.
 - الشيخ حسن بن علي العجيمي.
- د- علاقة أبي سالم بالزاوية العياشية وأهم الأحداث التي حلت بها وبأهلها.

كانت الزوايا بالمغرب في نهاية القرن 10هـ وبداية القرن 11هـ قد بلغت شأوا خطيرا في تفاعل الأحداث وتعدد السياسات الرؤى. ويرجع ذلك أولا إلى انتشار شعاعها في المناطق البدوية علاوة على مدينة

فاس¹، وذلك لانتقال اهتمام أغلبها من الدور الديني والعلمي والاجتماعي الذي أسست من أجله لرعايته وتربيته في نفوس المريدين إلى الدور السياسي، بالمشاركة في حركات جهادية وعسكرية، سواء ضد السلطة المحلية أو ضد التدخل الأجنبي الذي كان يستهدف الثغور المغربية.

(وقد ارتبط مفهوم الزوايا في المغرب والشمال الإفريقي عامة بالحركة الصوفية، وما كان ينشأ عنها من طرق وطوائف. مما جعلها تعني المكان الذي يجتمع فيه شيخ مع أتباعه ومريديه وتلاميذه، ومكانا يتخذ للعبادة والتعليم، كما يتخذ للإطعام والإيواء، وقد يتخذ للتعبئة والجهاد حين يقتضي الأمر ذلك. وهو مفهوم يعبر عنه في المشرق مصطلح الخانقاه أو التكية أو التكة)².

وأبرز تلك الزوايا التي نشطت سياسيا نذكر الزاوية الدلائية³ التي امتدت سلطتها إلى مدينتي فاس ومكناس ومناطق تادلا وتافلات ودرعة وأقاليم صحراوية في عهد محمد الحاج الذي بويع سلطانا على المغرب في سنة 1061هـ. وكانت له مواجهة عدة مع السعديين ومع المجاهد العياشي ومع العلويين، وخاصة مع المولى الرشيد الذي هزمه في معركة بطن الرمان قرب الزاوية الدلائية أوائل عام 1079هـ⁴، حيث كانت نهاية للدور السياسي للزاوية⁵ واستمرارا للدور الصوفي والتعليمي، (حتى بعد تخريبها حين تصدر عشرات العلماء الدلائيين وفيهم المحدثون والمتكلمون والفقهاء والنحاة والأدباء كراسي التدريس في فاس ومكناس وغيرها)⁶.

أما الزاوية العياشية فقد تحدثت المصادر والمراجع عن موقعها ومؤسستها وأعلامها وطريققتها ونكبتها، ولا بأس من الإشارة المقتضبة لهذه المسائل ليستكمل البحث وتوضح الصورة.

1- عدد عبد الجواد السقاط أربعين زاوية في بداية القرن الحادي عشر الهجري. الشعر الدلائي (المقدمة ص37).

- المحاضرات لليوسي (الفصل الخاص بالزوايا والرباط) (ص 130).

2- الشعر الدلائي، تقديم الدكتور عباس الجراري (ص 6).

3- الزاوية الدلائية (ص 21 وبعدها).

4- البدور الضاوية (لوحه 345). الزاوية الدلائية (ص 231).

5- الزاوية الدلائية (ص 226-240).

6- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (ص 67-68).

انتسبت الزاوية للقبيلة العياشية، كما أضيفت لأشهر رجالها؛ فسميت بزاوية مؤسسها سيدي محمد بن أبي بكر وزاوية ابنه أبي سالم ثم زاوية سيدي حمزة، إلا أن الأغلب هو النسبة للقبيلة.

تقع الزاوية جنوب مدينة ميدلت، وتبعد عنها بستين كلم، سفح الجنوب الشرقي لجبل العياشي. وقد فصل القول فيها أحد أبناء الزاوية عبد الله بن عمر ابن عبد الكريم العياشي (ت1137هـ) في مؤلفه "الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش" عن تراجم ساداتها الأوائل ونسبهم وأماكن استقرار أجدادهم، حتى انتهى بهم الاستقرار بالمكان الذي به اليوم الزاوية¹، والذي كان اتخذ في بداية الأمر مقرا اتفقت قبائل تزروفت على إقامة صلاة الجمعة فيه وجمع شمل كلمة القبائل المحيطة بالمنطقة، بقيادة الشيخ يوسف العياشي أحد أجداد أبي سالم. وفي منتصف القرن 11هـ برزت الزاوية بشكلها الرسمي على يد محمد بن أبي بكر العياشي (ت1067هـ) الذي كان أسس بالمنطقة مسكنه ومسجدا سنة 1044هـ، بإشارة من شيخه أبي بكر الدلائي لإطعام الطعام للمحتاجين وإعطاء الأوراد للمريدين². (ولما رجع من الحرمين كثر عليه الواردون واتسع الخير وزادت العمارة، والموضع لا يسع ذلك، فانتقل إلى موضع أسلافه وأجداده في تزروفت فأسس مسكنه هذا على التقوى... وهو الموضع السابع... إلا اتخذ فيه دورا ومسجدا وجيرانا. وقد صح عن شيخه أنه قال له: لا بد لك من سبعة مواضع وسبع نساء. وكان تأسيسه في عام 1044هـ، وأقام فيه على الاستقامة والمجاهدة والإنابة. وأقبلت عليه الدنيا وجاءت تسعى إليه، وهو رضي يفرقها يمينا وشمالا ولا يبالي بمن أخذها من يده من غني أو فقير، والوفود تأتي إليه من كل فج عميق يتبركون به ويدلهم على الطريق. ومنح الله لجميع أولاده وأولاد أخيه ومن رغب في جوارهم المجاهدة في الدين بحيث لا ترى منهم إلا تاليا لكتاب الله أو ذاكرة لله أو مصليا على رسول الله معلما لعباد الله... فقصدته الوفود للزيارة، حيث كانت تأتي إليه من كل فج عميق يتبركون به ويدلهم على الطريق)³.

1- الإحياء والانتعاش (لوحة 4 وبعدها). جهد المقل (لوحة 10).

2- الثغر الباسم (لوحة 4). الزاوية الدلائية (ص 64).

3- الإحياء والانتعاش (لو 24).

فكانت بذلك الزاوية العياشية على شاکلة وأهداف الزاوية الدلائية في بداية أمرها، من تعليم وإرشاد وتلقين للمبادئ الأولية في الفقه والنحو، برزت من خلالها صلاحية وولاية محمد بن أبي بكر للقيام بتلقين الطريقة الشاذلية بأورادها المعروفة، (إننا لا نشك في أنها كانت قريبة مما يتلقاه المريدون في زاوية الدلاء؛ فشيوخ ابن أبي بكر العياشي كلهم شاذليون، وأكثر إقامته كانت في الزاوية الدلائية، أخذ فيها أولاً عن الشيخ أبي بكر الدلائي ثم عن ابنه محمد من بعده. وقد تكاثر الواردون على الزاوية العياشية حتى ضاق مسجدها بالمصلين يوم الجمعة فوسعوه وجددوا بناءه عام 1066هـ)¹.

وقد كانت عدة طوائف تعمر الزاوية في عهدها الأول، وخص صاحب "الإحياء" الطائفة الرابعة بقوله: (الرابعة أهل الهمم العالية والخلائق الزكية، بأيديهم دواوين العلوم وأزمة كل منطوق ومفهوم، رغبتهم الاطلاع على الأمور الغامضة الخفية، ليكون على بصيرة فيما حملوا من حفظ الشريعة البيضاء النقية، تساس بأقلامهم الأقاليم، ويخضع لرؤيتهم كل عالم وحاكم. هم شيوخ مشايخ الإسلام وأعلام علماء الأعلام، قد عقدوا مجلساً لتعليم الأصاغر والأكابر، وتشرح لدوي أصواتهم النفوس والخواطر. ليس لهم حرفة إلا تعمير أسواق العلم لأهل المحابر والطرους...) ².

لقد كانت موارد ومداخل الزاوية في عهد مؤسسها تعتمد على الهبات والهدايا المتنوعة، وكذلك على مساعدة المريدين والوافدين عليها، يقول عبد الله ابن عمر العياشي: (كانت تجبى إليهم ثمرات كل شيء على يد القبائل من الرجال والنساء) ³. ثم تولى أمر إدارة الزاوية في كل أمورها بعد محمد بن أبي بكر ابن عبد الجبار العياشي (ت 1082هـ) (الذي سار على نهج سابقه فأكرم الضيوف والوفود والزوار، فأتسعت زاوية العلم والزاوية وأقبل طلابه إليها من كل زاوية) ⁴.

ثم في عهد أبي سالم وابنه حمزة ستعرف الزاوية أوج عطائها ومشاركتها العلمية والأدبية، (ولما آل أمر الزاوية العياشية إلى أبي سالم

1- الزاوية الدلائية (ص 65).

2- الإحياء والانتعاش (لو 25).

3- الإحياء والانتعاش (لو 24).

4- مقال: مراكز الدرس والتكوين (ص 121).

العياشي أخذ يشتغل فيها بتدريس العلم، وسار على نهج والده في الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم. وله معهم مساجلات أدبية شعرية ونثرية ومراسلات علمية، أهمها الأسئلة التي وجهها إلى مفتي الزاوية البكرية الطيب بن المسناوي الدلائي وتلقى عنها أجوبة ضافية. وإلى حمزة تنسب الزاوية العياشية لأن عنايته بها كانت بالغة؛ فعمل على تنشيط الحركة العلمية فيها، وبذل كل ثروته في اقتناء الكتب واستنساخها¹. وستعرف على يد حمزة مكتبة الزاوية توسعا وتعميرا (ويمكن أن يقال إن أكثر الباقي من كتب هذه المكتبة عليه ملك حمزة هذا ومما نسخه أو استنسخه)².

لقد عاشت الزاوية العياشية نكبة وكبوة زمن السلطان مولى الرشيد، وذلك بنفي أربابها وأهلها إلى مدينة فاس على شكل إقامة إجبارية بالأخصاص خارج باب الفتوح، ستعاني منها الأسرة تدهورا ماديا خطيرا وضيقا في العيش، إلى حين عهد المولى إسماعيل الذي أصدر العفو عنهم ليرجعوا مكرمين إلى الزاوية ويستمروا في نشر رسالتهم ونشاطهم العلمي والصوفي.

ويبقى التساؤل مطروحا عن سبب أو أسباب النفي والإبعاد الجماعي، وخاصة إذا علمنا أن دور الزاوية كان دائما تعليميا ودينيا- علميا، ولم يتعداه إلى الدور السياسي إلا لماما، على شكل تأييد أو تعاطف مع الزاوية الدلائية التي خربت وانتهى أمرها سنة 1079هـ على يد المولى الرشيد؛ حيث كانت علاقات وصدقات بالمشيخة والزيارات وتبادل الطلبة والوفود بين الزاويتين، حتى عدت الزاوية العياشية امتدادا لإشعاع الزاوية الدلائية السياسي والعلمي والصوفي، (وكادت الزاوية العياشية تلقى نفس المصير الذي لقيته أختها بالدلاء، فغرب السلطان الرشيد أهلها عنها إلى فاس وتركها قاعا صفصفا كزاوية الدلاء. وظل يصم أذنيه عن توسلات العياشين في الرجوع إلى ديارهم، بعد أن استوخموا حاضرة المولى إدريس... لقلة ذات يدهم وعدم تعودهم على عيش المدن. وقد رجع آل عياش إلى زاويتهم بإذن السلطان المولى إسماعيل بعد تولية الملك في أوائل 1083هـ)³.

1- الزاوية الدلائية (ص 65).

2- مقال: مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها (ص 90).

3- الزاوية الدلائية (ص 65).

أما عن موقف الزاوية العياشية من أحداث العصر والإحن التي شهدتها المغرب في النصف الثاني من القرن 11هـ فقد اتجهت (إلى محاربة الشعوذة والبدع والدعوة إلى القضاء على القهر والفتن والكف عن الإذابة وهدر الدماء. وليس هذا الموقف مهادنة للأطراف المتصارعة وإنما هو احتراس في نظر الصوفي في مجابهة الواقع حتى لا يعاضد قاتلا ليتقوى على أخيه، وبذلك تتفاقم الفرقة ويتردى الوضع إلى أسوأ حال)¹.

لقد تباينت آراء الدارسين حول نكبة الزاوية العياشية؛ فمنهم من رأى أن النفي كان سنة 1063هـ ويذكر سبب ذلك: (حين أجلى العياشي مع عشيرته إلى فاس وأقام هناك سنة كاملة سنحت له الفرصة للقراءة على أشهر أساتذة عصره في المغرب أمثال الشيخ عبد القادر الفاسي...) ².

ومن الدارسين من جعلها سنة 1083هـ دون ذكر الأسباب³.

أما الأستاذ محمد الأخضر فقد جعل النفي مرتين، سنة 1063هـ حين عرض عليه السلطان محمد الشيخ السعدي قضاء مراكش فرفض أبو سالم ذلك، فنفاه السلطان مع أسرته إلى فاس⁴.

والنفي الثاني وقع سنة 1083هـ حين رفض أبو سالم منصب القضاء الذي كان عرضه عليه سلطان الوقت المولى الرشيد؛ فتسبب رفضه في نفيه مع أهله إلى مدينة فاس مرة ثانية⁵.

وقد رد عليه الدكتور بنصر⁶ وفضل أن تكون المسألة كالتالي (وتمثل هذه المرحلة إدراك أبي سالم للواقع السياسي وما يعانيه الوطن من الجور والفرقة، فيرفض خطة القضاء بمراكش التي عرضها عليه المولى الرشيد، ويحاول إقناع العربي بن أحمد بردلة بواقع المهنة التي سيتحمل مسؤوليتها. لأنه يخشى على نفسه وعلى صديقه أمرين: حكم ما

1- أبو سالم العياشي المتصوف الأدبي (ج 1 ص 68).

2- المدينة المنورة في رحلة العياشي (المقدمة ص 52).

3- مقال الدكتور الترغي: مراكز الدرس والتكوين... (ص 120).

4- مقال الأستاذ محمد الأخضر: أعلام الرحالة المغاربة، العياشي أبو سالم، مجلة الثقافة المغربية ع 2-3 سنة 1970 ص 202.

5- الحياة الأدبية (ص 93)..

6- أبو سالم المتصوف الأدبي هامش رقم 4 (ج 1 ص 85).

لا يرضى عنه الله ورسوله، والتبرم من مشاكل الناس، وفي ذلك حرمان من ثواب الرضى من الله تعالى. ويستغل بعض الوشاة ذلك الرفض والإقناع فيوغرون صدر الرشيد على أبي سالم وزاويته، وكان يروم الحد من نشاطها حتى لا تنهج نهج الزاوية الدلائية فتنتطع إلى السلطة...¹.

أما الأستاذ شوقي ضيف فقد ربط عملية النفي بتصوف أبي سالم وإعراضه عن المناصب الدنيوية: (...دفعه إلى الاستخفاف بمتاع الدنيا والإعراض عن منصب القضاء في مراكش حين عرضه عليه سلطان الوقت، وقد تسبب له ذلك الرفض أن حمل مع أهله إلى فاس، ليجبر على الإقامة فيها طول عام 1083هـ)².

إن تباين الرؤى هذه ناتجة عما ورد في بعض مصادر أفراد الزاوية نفسها؛ فصاحب "الثغر الباسم" يؤكد أن سبب النفي هو رفض أبي سالم قضاء مراكش أيام المولى الرشيد: (وأخبرني غير واحد من أصحابه الفاسيين ممن حضر استدعاء سلطان ذلك الوقت منه أن يلي خطة القضاء بمراكش، في خبر طويل، أن سبب ذلك وشاية من جلالة المتفقهة، لما رأوا من إقبال السلطان عليه بكايته، وحذارا مما عساه أن يقع من النقص في مراتبهم، لقبولهم ما يسمح لهم به من العطاء الجزى، وإبائته هو رضى الله عنه قبل ذلك، فعصمه الله بالورع من كل سوء يتوقع... ولما أبرم الواشي من ذلك العقد ما شاء، وحله الذي يفعل بملكه ما يشاء، وجد الأمير حينئذ عليه مودة، إلا أنها مضمرة وإن كانت بعد مظهرة لسبب آخر من غيره مباشرة بإذن من هو على ما يشاء قدير، فأجله حينئذ مع عشيرته إلى الناس، فقاس من الشدة ما قاس. وتلك سنة الله... ورجعوا إلى وطنهم بعد استقرارهم هناك عاما كاملا في الجمعة الأخيرة من شهر الله المحرم فاتح ثلاث وثمانين وألف)³.

أما صاحب "الإحياء والانتعاش"⁴ فيرد سبب النفي إلى الوشاية التي بلغت المولى الرشيد سنة 1079هـ عن أن مراد الزاوية كان الطمع في الملك والسلطة، وأن جميع قبائل المنطقة تحت طاعته. فخرج إليهم

1- أبو سالم المتصوف الأدبي (ج1 ص85).

2- الرحلات (ص90).

3- الثغر الباسم (لـ17-18).

4- لوحة (29).

وكاد أن يفتك بهم فتكه بالدلاء، لولا تدخل أكابر دولته. يقول القادري: (وفي ظهر يوم السبت سابع ذي الحجة (1079هـ) خرج مولانا الرشيد لحركة آيت عياش، فغزاهم، ورجعوا عن الخروج عليه، فسامحهم ورجع إلى فاس)¹.

والصواب ما أكدته الدكتور بنصر اعتمادا على إشارات في الثغر والإحياء من أن النفي والتغريب كان مرة واحدة أول محرم عام 1082هـ، حيث لم يطب لأفراد الأسرة عيش، وعانوا شدة وعسرا وقلة ذات اليد. يقول أبو سالم:

أمولاي إني موقن بك مسلم ببابك داع مشتاك متظلم
مهان وهل إلا بك النصر ارتجى ذليل وما بك إلا العز يعلم
وما خذل قومي فأخضع للعدى ولكن إذا أدعوهم فهم هم²

حتى كان عهد المولى إسماعيل الذي أذن لهم بالعودة إلى الزاوية أواخر محرم عام 1083هـ، بعدما أظهروا ولاءهم التام ومكنوه من منطقتهم التي تعتبر ممرا تجاريا مهما للقوافل، بالإضافة إلى انخراطهم في جيشه. فاسترجعت بذلك الزاوية العياشية سواء أيام ولاية أبي سالم أو أيام ابنه حمزة دورها الصوفي والثقافي والعلمي، واستمر إشعاعها ساطعا، بوفود العديد من العلماء وإقامة المجالس العلمية والأدبية التي تفوق بعض المراكز الحاضرة. (على أن ميزة الزاوية العياشية - باستثناء لحظة التأسيس - أنها لم تكن زاوية تتبنى طريقا صوفيا كبقية الزوايا المعاصرة لها، ولم يكن لها زعيم روحي في مستوى الناصرية أو الشرقاوية ينسب إليه الوافدون عليه... وإنما كانت زاوية علمية، يقتصر شيوخها على العلم وإقامة حلقات الدرس. فكانت علاقة شيوخها بالوافدين عليهم من الطلبة والأساتذة علمية صرفة يجمعهم الدرس... بل كانوا أنفسهم أتباعا لغيرهم ينتسبون إلى هذا الشيخ أو ذاك)³.

1- نشر المثاني (ج2 ص182). الاستقصا (ج7 ص39).

2- الإحياء والانتعاش (لو 30-31-32).

3- مقال: مراكز الدرس والتكوين... (ص120).

وقد تعاقب على التحليق والتدريس بالزاوية أجيال من الآباء والأبناء والأحفاد، نذكر منهم بالإضافة إلى أبي سالم وابنه حمزة:

- محمد بن محمد بن عبد الجبار (ت 1090هـ).
- محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي بكر (ت 1100هـ).
- محمد بن يوسف (ت 1111هـ).
- عمر بن عبد الكريم (ت 1122هـ).
- عبد العالي بن أحمد بن محمد بن عبد الجبار (ت 1126هـ).
- محمد بن حمزة بن أبي سالم (ت 1135هـ).
- عمر بن محمد بن أبي بكر (ت 1138هـ).
- عبد الله بن محمد بن حمزة (ت 1154هـ).
- عبد الله بن حمزة (ت 1163هـ).

لقد عايش أبو سالم كل الأحداث السابقة الذكر، والتي ظهرت آثارها بالغة في مؤلفاته وخاصة في رحلته، حيث أبان عن حبه وتعلقه المتزايد بالزاوية وأهلها ومريدها؛ فينصح لهم، ويبدل جهده في إنقاذها وإظهار دورها الفعال على الساحة الثقافية والعلمية.

كانت الزاوية العياشية بالنسبة لأبي سالم حصنه وملاذه؛ ففيها ترعرع وحفظ القرآن والأوراد والمتون والوظائف، ومنها كان ينتقل بين الزاوية الناصرية وبلاد درعة وبين جامع القرويين، ومنها كان يرسل علماء مراكش وشيوخ الزاوية الدلائية، ومن الزاوية كانت استعداداته وانطلاقاته ووداعه لرحلاته الحجازية الثلاث، وإليها كانت مراسلاته ونصائحه وتوجيهاته لأبنائه وأفراد أسرته خلال رحلته. وأخيرا كانت الزاوية المحطة الأخيرة لأبي سالم التي رجع إليها ليضع بها مولوده الفكري وجهده العلمي الذي طال تكوينه وثقل عليه حمله في رحلاته، والذي استفاد منه الطلاب والشيوخ على السواء حين تفرغ للتدريس والتأليف؛ فأجاز العديد وأفاد من علمه الغزير النفر الكثير. وعمل على إنماء الخزانة بما جلب وجمع من الكتب والنوادر وما نسخ من المؤلفات.

فقد كان أبو سالم منذ رحلته الأولى سنة 1065 هـ يجلب إليها الكتب والمؤلفات المتنوعة¹. وفي رحلته الثالثة عمل على البحث وشراء الكتب وجلبها إلى المكتبة وكان عددها يفوق الخمسين، يقول: (وكننت طول نهاري ذاهبا جائيا في قضاء الأوطار وتهيئة أسباب الأسفار وشراء الكتب، وقد يسر الله منها جملة اشتريتها نحو الخمسين...) ².

وقد كان قبله وجاء بعده من أعطى لمكتبة الزاوية عناية خاصة مثل أبيه محمد بن أبي بكر وعمه عبد الجبار، اللذين أوقفا جميع كتبهما على بنيهما الذكور³، كما عرفت المكتبة توسعا واعتناءا بليغا ومحافظة قسوى من طرف حمزة وأبنائه وحفدته. كما كانت النساخة عنصرا مهما في إنماء مكونات المكتبة. وقد ذكر الأستاذ المنوني ثلة من أفراد الأسرة العياشية، وآخرين من خارجها وجد أسماءهم مقرونة ببعض منتسختهم من كتب الخزانة⁴.

هذه الخزانة القيمة (التي اجتذبت اهتمام إدارة الجامعة وإدارة الخزانة العامة، فأوفدتا لزاوية سيدي حمزة بعثتين اثنتين، الأولى توجهت سنة 1961م... وقف أفراد البعثة على مخطوطات الزاوية وتم ترقيم 250 مخطوطا... أما البعثة الثانية فقد توجهت للمكتبة سنة 1962م... وقد تم في هذه المرة تسجيل كتب أخرى وترقيم 334 مخطوطا، وبهذا ارتفع عدد المخطوطات المنظمة من 250 إلى 584، وهي تعادل 864 مجلدا وضعت في خمس خزائن بالمكتبة)⁵.

وقد بلغ العدد الإجمالي للمخطوطات بالخزانة الحمزية إلى 1202 تقريبا⁶.

¹- توجد بخزانة الزاوية ضمن ملف (رقم 253) لائحة للكتب التي اشتراها من المشرق في رحلاته.

²- الرحلة (ج 4 ص 252).

³- انظر نص وثيقة الوقف في مقال: مكتبة الزاوية الحمزية للأستاذ المنوني (ص 98).

⁴- مقال: مكتبة الزاوية الحمزية (ص 100-101).

⁵- مقال: مكتبة الزاوية الحمزية (ص 107-108).

⁶- المصادر العربية لتاريخ المغرب - الفترة المعاصرة. لمحمد المنوني (ص 304).

3- شخصية أبي سالم العلمية والأدبية

1- أبو سالم العالم المشارك:

لعل أول ما يجدر بالقارئ أن يحلي به صاحب الرحلة هو أن يصفه بالعالم المشارك الذي اجتمعت فيه عناصر تفرقت في غيره، حيث يظهر من خلال رحلته أن نسيج ثقافته محكم الصنعة، متنوع المعارف والألوان، متشعب الاطلاع، أكسب صاحبه صفة العالم الموسوعي الأخذ من كل فن نصيبا وافرا؛ فجعله ذا رصيد ثقافي أهله ليشارك ويناقش القضايا الكبرى والمعقدة التي كانت تطرح في زمانه بالمشرق في مجالس علماء متخصصين، كمسألة رؤية النائم للرب سبحانه وللنبي ع وأوامره للرأي، ومسألة القهوة والدخان، والمسائل المشهورة التي اختلف فيها الأئمة والتي كان يحاول أبو سالم التوفيق فيها لنبد الفرقة واتباع البدعة.

وفق أبو سالم في مناقشة هذه القضايا، وإن أطال فيها فهي مفيدة في مجالها، لأنه أورد لها على شكل مناظرات علمية اكتسبت صبغة فقهية، نقب فيها عن آراء العلماء، سواء في مؤلفاتهم أو عندما كان في بحث مستمر عنهم في جل البلاد التي مر بها أو نزل فيها.

لقد اعتز أبو سالم واعتد بمنهجه قصد الإفادة والاستفادة، كما كان منصفا لشيوخه من خلال إيراد رأيه الصائب فيهم إن أصابوا، مشيرا إلى المقصر منهم، بازا ومفحما بعضهم بآرائه ومداخلاته في مجالس العلم.

هذا بالإضافة إلى ما سيرد من تجزيئ وتفكيك لشخصية أبي سالم المتصوف والفقيه والجغرافي والمؤرخ والشاعر....

فقط أشير إلى أن أبا سالم ظهر في ثنايا رحلته مطلعا على جل الرحلات السابقة، عارفا بالشروط الأولية لنجاح الرحالة في تسجيل وتدوين رحلته، والتي تركز أساسا على المعرفة الدقيقة بالأحداث التاريخية والمقاييس الجغرافية والبيئية، وما يحتاجه في الطريق والرفقة والنزول والسفر؛ فكان نعم العارف بشروط العمران وأسباب الخراب

وتبدل الدول الزعامات، عارفاً بالمنازل والدرج وتحديد البرود والمسافات ووصف الجو والتربة والنباتات. ملتزماً بتحديد أسماء مواضيع النزول وأسبابه، وأماكن المياه وكميتها وطبيعتها، وكذلك أسماء المدن والقرى والمداشر وأسماء القبائل وزعمائها. وأحياناً يذكر خصومهم وحلفاءهم. وقد يصلح وينتقد عند الوصف والمعاينة ما كان شائعاً من الأخطاء عن علم جغرافي أو تاريخي، مستشهداً في كل ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الشعرية والنثرية.

وأبو سالم كسابقه من الرحالين أطلق عنان قلمه السيل وجماح علمه التاريخي والجغرافي وثروته الشعرية في الجزء الخاص بأماكن شعائر الحج والعمرة، حيث حددها ووصفها ونسبها وردّها إلى أصولها، سواء في عهد النبي ﷺ أو الصحابة. ووقف طويلاً عند الروضة الشريفة والمشاهد العظام والآبار المباركة التي ورد أن النبي ﷺ تفل فيها فاكتمت خاصية الشفاء. كما ذكر المساجد واستنطق ذاكرتها الدينية والتاريخية؛ فكانت مادتها خصة ثرة مفيدة مستندة إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة النبوية.

كما برز أبو سالم في رحلته على اطلاع بين على قواعد النحو العربي والكتابة السليمة حيث ناقش قضايا لغوية مشهورة واستشهد لها بالشواهد القرآنية والشعرية في المصادر النحوية المتخصصة القديمة.

كما برز أبو سالم عارفاً بعلم الفلك وأوضاع النجوم ومنازلها وعلم الأوافق وما قيل فيه وما يعتقد من توقعات وقراءة للمستقبل والحدثان. كما كان على علم بعلم المعميات والألغاز وعلم حساب الجُمَّل.

هذا بعض من كل التخصصات التي برز فيها أبو سالم من خلال رحلته، والتي سيرد الحديث عن بعض آخر منها في النقط الآتية، والتي جعلت شيوخه وأقرانه المشاركة يعترفون له بطول باعه ويضعون في تحليلتهم له أجل الصفات العلمية والأدبية، تنم عن نضجه المعرفي وثقافته الواسعة وتكوينه الأولي في بلده وموطنه الأصلي ما جعل اسمه يقرن مع أساطين عصره وقبله.

2- المتصوف:

لم يكن لأبي سالم أن يحيد عن الطريقة التي تعلم منهاها وأذكارها وأورادها، منذ بداية حياته التعليمية الأولى على يد والده بالزاوية، والشيخ عبد القادر الفاسي الذي صحبه ولقنه أذكار الشاذلية ووظيفة زروق ودليل الخيرات للجزولي.... والتصوف الذي كان يحمله أبو سالم معه دائما اعتقادا ومنهجاً وطريقة هو التصوف السني الذي ينتسب أصلاً للقطب الجنيد، الذي نشر مبادئه وطريقة القطب عبد السلام بن مشيش (ت 622هـ)، وبعده تلميذه أبي الحسن علي الشاذلي (ت 656هـ).

وكانت طريقة الجنيد ومن بعده تعتمد على أسس منها:

- الرضا عن الله تعالى في القليل والكثير.
- الرجوع إلى الله في السراء والضراء.
- تقوى الله واتباع السنة في الأقوال والأفعال.

إلا أن أبا سالم خلال رحلاته حرص على الانتماء إلى عدة طرق صوفية أخرى كانت سائدة في عصره في المشرق، والتي تفوق الأربعين طريقة، أجازها فيها الشيخ أبو بكر بن سالم شيخان. (والظاهر أن الدخول في الطرق الصوفية كان مسألة شكلية، عليها كثير من الواجبات أكثر من الأخوة في الله، حسب الأصول المتبعة في كل طريقة)¹.

لقد كان اتصال أبي سالم بأسانيد الطرق الصوفية المتعددة بقصد استكمال ثقافته الصوفية التي كانت مقتصرة على تعاليم الشاذلية المنبثقة عن الجيلانية القادرية البغدادية. وكذلك بقصد تعريف المغاربة بهذه الطرق التي كانت غريبة عليهم، وخاصة الطريقة النقشبندية التي ركز عليها أبو سالم اهتمامه بالمشرق؛ فاتصل مباشرة بشيوخها أمثال جمال الدين النقشبندي وإبراهيم الكوراني وبدر الدين الهندي وأبو مهدي عيسى الثعالبي، هذا الأخير الذي ألهمه الخرق الثمانية وأجازها فيها.

يقول أبو سالم عن النقشبندية (... قلما توجد بأرض المغرب، بل لا يعرفها أهلها حتى بالاسم، لبعد بلاد مشايخها؛ فلم تصل تأليفهم إليها، ولا دخل هذه البلاد أحد من أهلها فيما نعلم)². كما قام بالمقارنة بين

¹- ماء الموائد، العياشي - الرحلة - ليبيا طرابلس وبرقة تحقيق سعد زغلول عبد المجيد (ص 51).

²- الرحلة (ج 2 ص 80).

الطريقتين لما لاحظته من توحيد بين أصولهما وأورادهما، (ولعمري وما عمري على بهين ما طريق سادتها النقشبندية منها ببعيد، وما أصولها إلا كأصولها عند كل موفق سعيد. ومن تأمل رشحات النقشبندية وحكم الشاذلية لم يجد بينهما اختلافا إلا في بعض الاصطلاحات الراجعة إلى الأعمال الظاهرة، وأما الأعمال القلبية والمنازلات العرفانية فلا فرق أصلا)¹.

لقد كان بحث أبي سالم الدائم عن الحقيقة دافعا قويا للاتصال بشيوخ كل الطرق الصوفية، لأخذ الإجازة والتبرك والدعاء ولبس الخرق وتلقين الذكر؛ فقد أجازته كثير من الأقطاب بكيفيات معينة، كالجلوس على السجادة والمشابكة باليد وشد المنزر ورواية المسلسلات، وخاصة الحديث المسلسل بالأولية والمسلسل بالمصافحة والتشبيك والمسلسل بالضيافة بالتمر والماء، والمسلسل بمناولة السبحة والمسلسل بقوله: أشهد بالله وأشهد الله، والمسلسل بقوله: ويده على كتفه، والمسلسل بقوله: إني أحب فُقُل، والمسلسل بقراءة سورة الصف، والمسلسل بالسؤال عن الاسم وتوابعه.

وقد خص أبو سالم بالذكر شيوخا لم يأخذ عنهم إلا طريق التصوف، نذكر منهم:

- الشيخ بدر الدين بن محمد القادري.
- الشيخ أبو اللطف الوفائي.
- الشيخ محمد بَاعْلُوِي الحضرمي اليمني.
- الشيخ عبد الرحمان المكناسي.
- الشيخ أحمد بن عبد النبي القشاشي.
- الشيخ زين العابدين محمد البكري.
- الشيخ عبد الكريم الفكوني القسطيني.

إن إعجاب أبي سالم بالطريقة النقشبندية لم يمنعه من التذكير باعتقاده واعتقاد المغاربة في الشاذلية، (ويدرك أبو سالم تشبث المغرب بالشاذلية، فيستدرك قائلا: مع اكتفاء أهل المغرب عنها وعن غيرها من الطرق بالطريق التي بان رشدتها واتضح أمرها وأمنت غائلتها، واستقامت أصولها وجرت مع ظواهر الكتاب والسنة فصولها، طريق

¹- الرحلة (ج 2 ص 10).

القطب الجامع وشمس المحافل والمجامع أبي الحسن الشاذلي وأتباعه أئمة الهدى والحق وأصحاب الإخلاص والصدق¹.

لقد عاين أبو سالم العديد من طرق التصوف عن كثب، وخالط الدراويش والفقراء، شيوخا ومريدين، وألبس الخرق وشد له المنزر والفوطة... فكان خير من حدد أسباب ذبوع هذه الطرق وشيوعها، والخبير في تحديد أصولها وطقوسها.

هذا بالإضافة إلى أن أبا سالم عابدٌ قانت متمسك بأداء الفرائض، معتدل في تطبيقها، حريص على محاربة النفس الضعيفة في مواجهة الملذات، عن طريق ذكر الله والزهد ومطالعة كتب التصوف، والمطالبة بالقناعة بالقليل². كما أنه في درنة يفطر لأنه على سفر³، وبالإسكندرية حيث كان الوباء نجده يتوسل بأبي العباس المرسي برسائل شفوية وقصائد شعرية طالب بالصاقها بجدار القبلة على يمين المحراب⁴.

إلا أن ما يؤخذ عن تصوف أبي سالم أنه كان يميل إلى التسليم للمتصوفة بكل ما يعتقدونه، رغم عدم تأكده واقتناعه، لذلك وُصف أبو سالم بالتطرف والتناقض في الرأي أحيانا. (كان العياشي صوفيا متطرفا في صوفيته، وما ورد في رحلته يبين أنه كان يغالي في رفع شأن أئمة الصوفيين حتى كان ينزههم عن الخطأ...، فرغم معارضته لمعتقد الروافض في تنزيه الإمام الثاني عشر عن الموت إلا أنه نقل أن بعض الصوفية يتفوقون معهم في هذه الاعتماد. ثم استطرد يقول: (فإن صح عن هؤلاء الأئمة أنهم قالوا ذلك فنحن ممن يعتقدهم ويجزم بصدقهم فيما يقولون لأنهم خيار الأمة)⁵. ثم يسوق الدارس عدة دلائل على اتهام أبي سالم بالتطرف والتناقض في الرأي.

إلا أن الغالب عن تصوف أبي سالم اتباعه للسنة النبوية، والتعاليم الإسلامية بصفة عامة، من الإكثار من تلاوة كتاب الله، حيث كان يختم كل ليلة ختمة إلى جانب الحزب الراتب⁶، والتوسل إلى الله بقصائد

1- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب (ج 1 ص 101). نقلا عن الرحلة (ج 2 ص 80).
2- انظر الرسالة التي وجهها لتلميذه عثمان بن علي اليوسي. الرحلة (ج 1 ص 104-405).
3- الرحلة (ج 1 ص 138).
4- الرحلة (ج 1 ص 146).
5- المدينة المنورة في رحلة العياشي (ص 60-61).
6- الرحلة (ج 1 ص 107).

مدحية في الرسول^ع، والانتساب إلى أهل الطرق السليمة والاعتداء بزهدهم وتعبدهم... (يمتاز أبو سالم بتصوفه الذي كان له أكبر الأثر على الزاوية الحمزاوية، وهوايته للكتب النفيسة التي ساهمت في إغناء مكتبة هذه الزاوية... واصطبغت كل أقوال أبي سالم وأفعاله ومؤلفاته بالصيغة الصوفية المبنية على الورع الذي تساوي أعلى درجاته أخط درجات الزهد...)¹.

وقد كانت لمحة التصوف والبحث عن أربابه وأوليائه جلية في كل جوانب الرحلة، (ويبصر من مضمونه أن المؤلف وجه عنايته في المكانة الأولى بالطبع إلى الكلام عن الأولياء والعلماء وأهل التصوف... فهو قد صرف اهتمامه قبل كل شيء إلى فحص مناهج العلوم الإسلامية في البلاد التي زارها بحيث يمثل كتابه إلى حد ما دائرة معارف فريدة من نوعها في العلم والتصوف...)².

3 - الفقيه والمحدث المهتم باتصال السند وتنوعه:

اتسمت شخصية أبي سالم بالانصراف البين للمعارف الدينية والشرعية، وتمثل ذلك في دراسته للمتون والمسانيد والصحاح وكتب الفقه والحديث ومختلف رواياته ورواته، مما أكسبه ملكة وقدرة بالغة على مناقشة القضايا الفقهية التي كانت بارزة في الساحة العلمية، والنوازل الشرعية وإيراد الشواهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء الفقهاء والعلماء منقولة من مصادرها، ومناقشتها وتحليلها. فكان محل تقدير واحترام من طرف شيوخه بالمغرب وفي مختلف الأقطار التي مر بها أو حل في بقاعها في رحلته، أو الذين كانت له معهم مراسلات واتصالات علمية.

كان أبو سالم بحكم انتمائه للمذهب المالكي عقيدة وفقها يحاور فقهاء المذاهب الأخرى بنوع من الحذر والانتباه، وأحيانا بنوع من التعصب عن طريق تأويل الأحاديث تأويلا يتناسب مع آراء مالك، مثل قوله في مسألة القبض في الصلاة، ومسألة الصفات عند المعتزلة، وقضية الكسب وعدة قضايا أخرى.

¹ - الرحلات لشوقي ضيف (ص90-93).

² - تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي (ص809).

كما أنه عند تطرقه لمسألة رؤية الله، وهل تكون في اليقظة أم في المنام، وكذلك رؤية الرسول ﷺ في المنام وأوامره للرأي، جرد قلمه لعرض أقوال العلماء والفقهاء في المسألة، أمثال الحافظ ابن حجر والقاضي عياض والقرافي والنووي وأبي إسحاق الإسفراييني، مستشهدا بالأحاديث النبوية الصحيحة المتصلة بالسند، وبالنصوص من مؤلفاتهم المشهورة، ومناقشا للفروقات بينهم، مستخلصا في الأخير إلى رأي لا يتناقض مع رأي الإمام مالك في الموضوع.

إلا أن الذي استرعى اهتمامه كثيرا هو انتشار شرب القهوة والدخان، حيث أكد على استعمالهما من طرف الطرق الصوفية لأنها مساعدة لهم على السهر في إقامة مجالس الذكر، الشيء الذي جعله يناقش المسألة بشيء من الرصانة والهدوء، رغم رفضه المتشدد لشرب الدخان¹ وتسامحه في شرب القهوة، وكذلك لبس الجوخ المستورد المصنوع من الصوف المنتوف من الغنم. إن خوض أبي سالم في مثل هذه القضايا وأخرى عديدة حددت له مستوى فقها وعلميا معيناً، تجاور رؤيا الفقهاء المحدودة إلى الأخذ عن شيوخ المذاهب الأخرى من حنفية وشافعية وحنبلية، ما داموا على رأس أهل السنة والجماعة. متأثرا برأي تاج الدين السبكي (وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأس أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا راعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم. وبرأ الله المالكية، فلم يرَ مالكيًا إلا أشعريَّ العقيدة)².

إن رغبة أبي سالم في إيراد المناقشات الفقهية المختلفة السابقة الذكر هو ما دعا بعض الدارسين إلى اعتباره سببا في تأخر فن الرحلة، يقول المرحوم محمد الفاسي: (...إلا أنني أعتبرها - أي الرحلة العياشية - سببا في انحطاط هذا الفن، لأن العياشي ابتعد في كتابه هذا عن التقاليد التي أسسها الرحالون الأولون كابن جبير الأندلسي والعبدري، من وصف المراحل والاهتمام بالناحية الطبيعية الجغرافية وبأخلاق الناس وعوائدهم، مما يجعل قراءة الرحلات لذيدة ومفيدة. وجعل الرحلة عبارة

¹- رسالة أبي سالم في تحريمه (محدد السنن في نحر إخوان الدخان).

²- الرحلة (ج 3 ص 7).

عن مؤلف حشر فيه من المناقشات الفقهية والصوفية وغيرها ما لا مساس له بالسفر، وأكثر من ذكر الإجازات والأسانيد، الشيء الذي كان الأولون يخصصونه كتب البرامج والفهارس)¹.

4- الحس النقدي عند أبي سالم:

احتوت الرحلة على جملة من الانتقادات السياسية والاجتماعية والأخلاقية علاوة عن الأدبية الشعرية والنثرية، وكذلك ردود وإجابات عن مؤلفات ونوازل. فكان أبو سالم بحكم تجربته وعلاقاته وإطلاعه على العادات والنظم وبحكم انتمائه الصوفي دقيق الملاحظة سريع التأثير والانطباع، وكانت سعة معارفه المكتسبة من خلال رحلاته الثلاث تساعد وتمنحه القدرة على التمييز والفحص والتأكد قبل إصدار الأحكام، مما أبان عن موسوعيته الثقافية، ومكانة الفقيه المغربي في نسيج الثقافة الإسلامية عامة.

فعن انتشار ظاهرة الرشوة مثلاً يقول أبو سالم (فما رأينا ولا سمعنا في البلاد المشرقية كلها بقاض يقارب الحكم بما يشبه أن يكون شرعاً، وإنما مدار أمرهم على الرشاء جهاراً)². كما ارتأى عدة مسائل نذكر منها:

- ضرورة تعيين في مسؤولية القضاء من لهم مستوى فكري وتكوين علمي متميزين.
- مقارنة اهتمام المشارفة بالمساجد وتزيينهم لها وترميمها مع إهمال المغاربة لمساجدهم وترميمها بما يخالف ما كانت عليه.
- قدم ملاحظات مختلفة حول نظام الدراسة بالحرمين وأيام العطل الأسبوعية وقارنها بنظامها بالمغرب.
- ملاحظته حول بعض المراكز الدراسية وأنها شاغرة من أهل الأدب والبلاغة.
- انتقاد عادات المجاورين بالحرمين ومنها صوت الأذان من بعيد بلغة غريبة.

¹ - مقال: الرحالة المغاربة وآثارهم. دعوة الحق ع 4 - 1959. (ص 22).

² - الرحلة (ج 3 ص 193).

- انتقاده سماع طبول بدر واستسفاره عن تحقيق المسألة.
- رفضه زيارة أماكن لا يعرف لها أصلا في السنة.
- انتقاد عادات مذمومة عند نساء المدينة في إكثارهم من الطيب عند خروجهم للتجارة رغم نهايتهم في الستر.
- كما انتقد بشدة موقف متكلمي سجماسة الذين كفر بعضهم البعض الآخر لجهل صفات الله ومعانيها العسيرة على عقول العوام؛ فألف كتابه "الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجماسة من الاختلاف".
- سؤال أبي سالم إمام واركلة عن دعائه في ختام خطبة الجمعة حول المدعو المهدي.
- فتواه في محاربة أهل تكرت لأهل واركلا تغييرا للمنكر.
- اقتراحه تكوين لجنة من المذاهب الأربعة وتحرير كتاب لكل مذهب لتبيين المشهور.
- الانتقادات الأدبية والشعرية المنتشرة في الرحلة وهي وإن كانت قليلة فإنها تتم عن معرفة واطلاع على شروط جيد القول ورديئه¹.
- انتقادات وتصويبات جغرافية وتاريخية².

5 - أبو سالم الشاعر³:

يقول أبو سالم نقلا عن شيخه الراوية أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي عن بعض مشايخه: (للقصائد خصوصا إذا كانت عن حضور قلب أثر عظيم في تفريج الكربات ونيل الرغبات، أعظم من أثر الأوفاق والدعوات، وترتيبها في الخلوات. وقد جُرب ذلك فظهر صدقه. ولا يبعد أن يكون لترتيب الألفاظ على وزن مخصوص ينشرح به معها الصدر للتضرع واللجأ إلى الله ويقوى معه الرجاء في حصول المطلوب خاصة في تسهيل المقاصد)⁴.

¹- الرحلة (ج 4 ص 1033 - 1034).

²- الرحلة (ج 1 ص 136).

³- إن رسالة د. بنصر (أبو سالم العياشي شاعرا) تفي بصورة لا مجال فيها للزيادة في هذا المجال، فقط تشير إلى بعض ما ميز شعر أبي سالم باختصار انطلاقا من الرحلة.

⁴- الرحلة (ج 1 ص 17).

من هذا المنطلق جاءت جل كتابات أبي سالم الشعرية، في أغراضها المتنوعة وقوافيها وأوزانها المختلفة، حيث كانت تحكمه دائماً دوافع نفسية متطلعة إلى تخطي الواقع وتحقيق الرجاء، لمواجهة الهموم والتعود على الصبر والتجلد. وشعر أبي سالم موزع في مؤلفاته ومؤلفات أفراد أسرته، وإن كان عبد الله كنون يذكر له ديواناً¹.

(وأهم سمة امتاز بها شعره هي التعبير عن الاحساسات ولمّ شتات الانفعالات بحسب الظروف، وهو قبل كل شيء شاعر طبعي، قرض الشعر ولم يتجاوز عمره عشرون سنة)².

وقد انصب جهد أبي سالم الشعري في نظم قصائد المديح النبوي الذي يعتبره أشرف مجال للقول والتعبير، بما يوحيه من شرف للمعنى وقوة اللفظ، عن طريق الاحتفال بالمولد النبوي والتشويق لزيارة البقاع المقدسة.

فكان كلما لحقه كرب أو اشتدت عليه إحن المجتمع اتجه إلى الاسترواح بالشعر في مدحه يقول: (...فلحقني من التخلف كرب شديد وعناء في القلب مديد، فاستروحت من ذلك العناء والألم إلى مدح النبي... فلما جاء الوقت المذكور... فانقطعت السبل أو كادت وهاجت الأرض بأهلها ومادت... فعدت إلى طريقتي المثلى من أمداح الرسول... التي في مولده تتلى)³.

فكان ينظم القوافي في المديح النبوي على جميع حروف المعجم، فجاءت منتشرة في كل أجزاء الرحلة.

كما أن أبا سالم نظم في الكثير من المناسبات (وإن كانت لا تخرج عن أربعة محاور تمثل شخصية الشاعر:

- المديح النبوي.
- مديح المتصوفة والعلماء والولاة ورثاؤهم.
- الشعر الذاتي.

¹- النبوغ المغربي (ج 1 ص 319).

²- الحياة الأدبية في المغرب (ص 95).

³- الرحلة (ج 1 ص 7).

- المنظومات التعليمية¹.

كما نظم في الحكم والوصايا والأسانيد الصوفية والإجازات التعليمية والألغاز. وتبقى دائما لمحة الصبغة الدينية طافحة على شعره، وبالرغم من تمكن أبي سالم من اللغة وقواعدها البلاغية، وبالرغم من موهبته ولطف تعابيريه فإن شعره يبقى مع ذلك من اللون الأدبي الذي يعرف بشعر الفقهاء أو أدب الفقهاء².

وفي هذا المجال يلتبس المرحوم عبد الله كنون العذر للفقهاء بقوله (... إن بعض الفقهاء كثيرا ما يتساهلون في أنظمتهم العلمية لقصدتهم إلى عموم الفائدة وتقريب المعنى إلى الطلاب، وهذا ليس من الحق أن تؤخذ به جميع أفراد هذه الطبقة ويعمها حكمه، خصوصا وأن الكثير منهم كان على خلاف ذلك، ينظم الفوائد العلمية وينظم قواعد الفنون في شعر بليغ محكم...)³.

لقد كان أبو سالم في قصائده متشبعا بتعاليم الإسلام صادق العقيدة، (سواء في تعبيره عن الذات... غزله ونسيبه حافظ فيه على رمزية الأوصاف ومعنوياتها وخاصة في خطابه لزوجته ومطالبته لها بالحفاظ على سلامة الأطفال والطاعة... أو لحظة الخروج عن الذات في معالجة قضايا الأدب والحكم والإعراض عن الهجاء والتعرض بما يسوء الناس)⁴.

وعن واقع شعر أبي سالم يقول الدكتور بنصر (رغم أن بعضه لا يرقى إلى فن الخطاب الشعري، لأن عصره اتسم بتراكم المعارف وجمود الفكر مما عرقل جنوح الخيال وحرية الإبداع، فعم نظمته لدى الكتاب والفقهاء. ومع ذلك يبقى للعياشي ما يميزه شاعرا في عصره، باعتباره ناظما ذا قدرة نظمية فائقة أولا، ومطلعا على التراث النقدي كما وصل إليه في عصره ثانيا...)⁵.

وبالجملة فإن شعر أبي سالم ينتمي إلى شعر الفقهاء والذي لا يجوز القدح فيه باعتباره أدبا قائم الذات معبرا عنها، (إن أدب الفقهاء أدب حي

1- أبو سالم العياشي شاعرا (ج 1 ص 150).

2- افتقاء الأثر. مقدمة التحقيق (ص 55).

3- أدب الفقهاء، عبد الله كنون (ص 251).

4- أبو سالم العياشي المتصوف الأديب (ج 1 ص 160).

5- أبو سالم العياشي (ج 1 ص 4).

معبر، لا يقصر عن أدب غيرهم ممن ليسوا بفقهاء. وإن التهمة التي توجه إليه بالضعف والتخلف حتى جعلته مثلاً مضروباً لكل أدب بارد سخيف، هي تهمة باطلة، فيها كثير من التجني والظلم لهذا الأدب والمنتجين له... إننا لا ننفي أن بعض الفقهاء ليس لهم من الأدب حظ ولا نصيب... ولكن يجب أن لا ننسى أن في أدب غيرهم من الفسولة والرداءة ما يغطي على أدب الفقهاء الذين يقرون بأنهم متطفلون على موائد الأدباء، بخلاف من يقول أنا به زعيم...¹.

ورغم ذلك تعدد مادحو شعر أبي سالم، يقول الباحث عبد الجواد السقاط: (...أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي وهو يمدح شاعرية أبي سالم العياشي، فقد نوه بها تنويها في قوله:

أتاني شعر هذب الطبع لفظه كما هذب الصواغ صافية التبر
غدا فتنة العقل الرصين كأنما به قد نفتت السحر في عقد الفكر
ومالت بأفكاري حلاوة لفظه كما مال نشوان على نشوة الخمر

ثم أظهر أنه مهما حاول من إبداع شعري وعطاء فني، فإنه لن يصل إلى مستوى هذا الشاعر، مؤكداً أن شعر العياشي كان بمثابة ينبوع استقى منه الشاعر مادته وأيقظ شاعريته وإبداعه، كما أخرج أرباب الفصاحة والبيان:

ولولا نظام منك أيقظ فكري لكنت بليداً عن نظام ونثر
وهبني صغت الشعر تاجاً ببدر الدجى والشمس والأنجم
أَرْضَاهُ للحر الذي راع فضله¹ وأُخْرِسُ أرباب الفصاحة²

أما عن نثر أبي سالم فيقول محمد بن تاووت¹: (أما نثره فمتكلف كما في فاتحة رحلته...، وهو نثر في غاية الفقر والعري، وإن حاول صاحبه أن يكسيه بأثمال بالية شاحبة مزقة).

¹ - أدب الفقهاء (ص 248).

² - الشعر الدلائي (ص 133).

وعن أسلوبه الأدبي (فتنعكس فيه بالطبع علامات عصر التدهور، ولكنه يتميز بالبساطة، باستثناء الحالات التي يعالج فيها المؤلف الكلام على الموضوعات الصوفية، ويرى لزوماً عليه أن يلجأ إلى لغة مغلقة ومتكلفة. وأما تركيب الكتاب العام فقد أفسده إلى حد كبير ميل المؤلف المبالغ إلى الاستطرادات المتتالية)².

6 - مؤلفاته:

تحدثت العديد من المصادر والمراجع عن مؤلفات أبي سالم المتنوعة والمختلفة، وفصل بعضهم القول فيها³. نذكرها حسب مواضعها في الجدول التالي:

اسم الكتاب	مكان وجوده
الرحلات - ماء الموائد (قد تداولتها أيدي الناس، وأنفقوا في تحصيلها ما في الأكياس، فأكرم به من ديوان مخدرات عرائسه تجلى، ومدائح محامده تتلى...) ⁴. - التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز، أو تعداد المنازل أو	- انظر أماكنها في محلها من التقديم. - خ ع رقم 543 بخط مؤلفها.

¹- الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى (ج3 ص766). وهو حكم فيه كثير من التجني على ما يلاحظ من خصوبة وسلاسة في جميع أجزاء الرحلة.

²- تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب (ص809).

³- * الثغر الباسم في جملة من كلام أبي سالم لمحمد بن حمزة العياشي.

* الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش لعبد الله بن عمر بن عبد الكريم العياشي.

* دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بنسودة.

* أبو سالم العياشي شاعرا (رسالة) د. عبد الله بنصر العلوي.

⁴- الثغر الباسم (لوحة 14).

الرحلة الصغرى، وهي رسالة مطولة في وصف رحلة حجازية سنة 1068هـ، دون فيها منازل الطريق التي مر بها الراكب وما يستعان به في كل موضع، ومدة زمن قطعها، ومواطن الآبار والتزود بالعلف والقوت كما تحدث فيه عن مزارات تلك المناطق وعلمائها وأوليائها، ويختمه بقصيدة في مدح الرسول ﷺ وتاريخ انتهائه من كتابته يوم الخميس 28 ربيع النبوي 1068هـ.

الفهارس والمسانيد

- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، ويسمى: مسالك الهداية إلى معالم الرواية، أو العجالة الموفية بأسانيد الفقهاء والحدثين والصوفية، فهرسة أبي سالم الأولى والكبرى، ألفه ليحيز به صديقه وتلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي قاضي فاس، وقال القادري (نشر المثاني (ج2 ص206)): إنه إجازة لتلميذه عثمان بن علي اليوسي. جمع فيه أبو سالم أخباره عن حياته الدراسية، وسرد فيه أسانيد شيوخه في كل العلوم والكتب التي يرويها عنهم. وكتبه سنة 1068هـ.

- إتحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ

- له سبع نسخ مخطوطة: خ ح 3917. خ ع: 956 د، 1427 ك، 849 ج، 70 ج، 280 ق، الخزانة الصبيحية 756. وقامت الأستاذة الذهبي بتحقيقه ودراسته، وهو منشور ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سلسلة رسائل وأطروحات رقم 33.

- نسخة بذيل النسخة الأصلية لماء الموائد الخزانة الحمزية رقم 182. ونسخة خ ع رقم 5142 و 406 بذيل ماء الموائد. - ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (ج 2 ص 834)، وبنسودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى (ص 372). - خ ع 1254 ك، وتقع في 304 بيت.	الأجلاء. ويسمى فهرست أبي سالم الثانية أو الصغرى، دون فيه مجموع الاستدعاءات التي أجازته وإجازة بعض شيوخه، كما يتضمن الفهرس نصوص الإجازات التي أرسلها له مجيزوه أمثال الخرشي والبابلي والميموني والغزي والديري وياسين الخليلي والخيارى وعدة. - الإجازة النظامية، في 254 بيت تضمنت أسانيد أبي سالم في العلوم التي أخذها عن بعض شيوخه بالمشرق، وقد نظمها باسم ولده حمزة وولد أخيه محمد بن عبد الرحمان العياشي. وقد قسمها إلى عشر فصول: أسانيد تلقين الذكر، وأسانيد القراءات، والفقه، والحديث، وأصول الدين، والنحو، وسند مختصر السنوسي، وسند الخزرجية. - منظومة وسيلة الغريق بأئمة الطريق (في التصوف)، رَجَزُ ذكر فيه أسانيد شيوخه في التصوف وأسماءهم وعلومهم. - المسلسلات العشرة المنتخبة، ذكر فيه سند شيوخه في المسلسلات العشرة لرواية الحديث بالأولية (الراحمون يرحمهم الرحمان...) والطرق العشرة المقصودة هي المصافحة

- ضمن نسخة اقتفاء الأثر الموجودة بالخزانة العامة 2173 د. - مذكور في الرحلة. - م خ ع 39 ك، م خ ح 1740.	والمشابكة والضيافة والسبحة والذكر ويدهه على كتفي وقراءة سورة الصف، والسؤال عن الاسم، وقول أشهد بالله وأشهد لله. في التوحيد - إظهار المنة على المبشرين بالجنة، مرتب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمه. - الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماصة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحداية الله وجهل ما له من الصفات (أو الأوصاف). مؤلف ضخم رد فيه على دعوة الثائر محمد بن أبي محلي الداعية المهدي بتزنيته سنة 1035هـ، والذي كفر المسلم بالوحدانية الجاهل لصفات الله. في السيرة - الكواكب الدرية في مناقب أشرف البرية، وهو تخميس للبردة. - قصائد في مدح الرسول منظومة على بحور الخليل. - هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر. - المغريات في إصلاح

- م خ ع 2155 ك. - م خ ع 1773 ك. - موجود في الثغر من لوحة 260 إلى لوحة 261. - م خ ع 1907 د، م خ ع 1236 د، م خ ح 6513. - م خ ح 1617. - الخزانة الحمزية رقم 209.	الوتريات. في الفقه - معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب، رجز نظم فيه بيوع الشيخ ابن جماعة التونسي. - إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب. وهو شرح للمنظومة السابقة مزجه بالمتن وفصل فيه القول في المعاملات التجارية وأنواعها وشروطها. - مجموعة رسائل فيها تقايد وأجوبة في مسائل فقهية أجاب بها أبو سالم طالبته، أو طرحها صاحبها على بعض العلماء. • وهناك مؤلفات فقهية وردت بأكملها أو بأسمائها ضمن الرحلة أو الثغر الباسم منها: - تحرير كلام القوم في أمر النبي ﷺ في النوم، أجاب فيه أبو سالم عن سؤال منظوم حول أمر النبي ﷺ في النوم هل يلزم رائيه العمل به أم لا؟ - رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر، رسالة فقهية وضح فيها أبو سالم جواز صلاة المالكي وراء إمام حنفي، وقد رتبته على مقدمة

- ضمن الرحلة. - ضمن الرحلة. - ضمن الثغر الباسم من لوحة 139 إلى 156. - توجد نسخة منه بخط يد المؤلف في ذيل النسخة الأصلية للرحلة الموجودة بالخرانة الحمزية رقم 182، من لوحة 715 إلى 762 وهي نسخة فريدة. - ذكره صاحب الثغر، لوحة 15.	وتنبيهات وخاتمة. - أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل، كراسة أجاب فيها أبو سالم عما أشكل في مسائل فهمية على صديقه وتلميذه عثمان ابن علي اليوسي أثناء قراءته مختصر الخليل. - القول المحكم في صحة عقود الأَصم الأَبكم، عبارة عن تعقب على الجواب الذي رد به أبو محمد العربي بن عزيز عن نازلة طرأت بسجلماسة في شأن حجة عقود الأَصم الأَبكم والذي قطع باستحالة وقوع اليمين ممن هذه حاله عقلا وأنه لا شفعة لهم لتعذر صدور اليمين قولاً منهم، وقد ارتأى أبو سالم خلاف ذلك. - العلاوة فيمن ركع في محل سجود التلاوة. - شرح المحلى. فى اللغة - كراسة في "لو" الشرطية، وتسمى المباحث المرضية فيما يتعلق بلو الشرطية.

- تحقيق: د. محمد بتري - ذكره صاحب الثغر، لوحة 15. وذكر أنه لم يكمله. - ذكر الأستاذ بنصر أن عنده نسخة منها، وهي نوعية (لو) الامتناعية والاستقبالية وأقسامها، كما علق فيها على أقوال النحويين والبلاغيين، وركز على علاقتها بعلم المعاني مستقراً كثيراً من النصوص الشعرية. - م خ ع 1388 د، 3366 ك. - ضمن الثغر من لوحة 330 إلى 335. م خ ع 1674 د. - ضمن الثغر من لوحة 100 إلى 131. - ضمن الثغر من لوحة 359 إلى 411. - م خ ح رقم 7151. - أشار إلى معظمها دليل مؤرخ المغرب الأقصى (ج 2 ص 372).	في التصوف - تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، ويسمى سوق العروس وأنس النفوس، أو رسالة في ذم الدنيا، كراسة أوضح فيها مفهومه للزهد وشروط تحقيقه للحفاظ على الدين، وأوصى فيه بالرضى بالقليل وعدم تغليب الدنيا وأن إقبالها على أحد علامة على إعراض الله عنه. - معارج الوصول إلى أصول أول الأول، وهو نظم في أصول الطريقة الزروقية. في الرسائل - مجموعة رسائل إخوانية تحدث فيها عن الشوق والمودة والعتاب. - وأخرى نقدية في اللغة والشعر. - رسالة وجهها إلى الشيخ العربي بردلة بين له فيها سبب اعتذاره عن قبول منصب القضاء بمراكش. (نشر أزهري البستان ص 90).

	القصائد والمجموعات الشعرية لأبي سالم عدة قصائد موزعة في الرحلة والثغر الباسم والإحياء والانتعاش، وغالبها في المدح النبوي. وذكر عبد الله كنون أن له ديوان شعر. النبوع المغربي (ج1 ص319).

كما أن لأبي سالم تقديماً لكتاب "كنز الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع" وهو فهرست لشيخه عيسى الثعالبي الذي طلب منه التقديم له وتحليلته بعنوان ملائم¹.

كما نسب صاحب هدية العارفين وصاحب معجم المؤلفين² لأبي سالم كتاباً هو في الأصل لشيخ أبي سالم صفي الدين القشاشي (الكشف والبيان في مسألة الكسب والإيقان)³.

¹- الرحلة (ج 3 ص 285).

²- هدية العارفين لمحمد باشا البغدادي (ج1 ص478). ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (ج6 ص113).

³- الرحلة (ج 3 ص 45).

د. خالد سقاط

الفصل الثاني:

الرحلة ماء الموائد ومكانتها بين الرحلات

د. خالد سقاط

1- عنوان الرحلة:

أجمعت المراجع على تسمية رحلة أبي سالم ب: الرحلة العياشية - ماء الموائد. وإن كنا لا نجد لهذا أصلاً بخط المؤلف على النسخة الأصلية بالخزانة الحمزية، لأن اللوحة الأولى التي قد تعتبر غلافا ضائعة، وكذا أثناء كلامه داخل الرحلة، ولا في بعض مؤلفاته ومؤلفات أفراد أسرته التي تمكنت من الاطلاع عليها.

وأبو سالم يشير في مؤلفه بقوله (الرحلة) وقد وردت إشارات إلىها ورَجُع الكلام عليها في عشرة مواضع، دون التصريح بالتسمية (ماء الموائد).

كما أننا لا نجد التسمية على النسخ المخطوطة العديدة للرحلة، حيث اكتفى النساخ بتسميتها غالباً بالرحلة العياشية، باستثناء النسخة التي اعتمدت في المقابلة، وهي أقرب واحدة لزمان المؤلف ولنسخته الأصلية، وقد كتب على واجهة غلافها المقوى الحديث (الرحلة العياشية إلى الديار النوارنية) كذا، ولعل الصواب (الرحلة العياشية إلى الديار النورانية).

وقد سميت عند البعض بالرحلة الكبرى لتتميز عن رحلته الصغرى التي كتبها على شكل رسالة مطولة لصديقه وتلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي سنة 1068هـ، وسماها: التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز.

والمرجح أن تكون تسمية الرحلة العياشية ب"ماء الموائد" من وضع أحد أفراد أسرته في زمانه أو بعده، أو أحد أصدقائه أو تلامذته، لما لاحظوا بعد قراءتها والتأمل المتمعن فيها ودراستها أنها محتوية على أصناف متعددة من الفنون والعلوم، أبانت عن ثقافة صاحبها الموسوعية، وقدرته الفائقة على سرد الأحداث والتعبير عنها بأسلوب سلس ممتع، ينوب الشاهد فيها عن الغائب في تقريب مراحلها وأحداثها، بكل واقعية وصراحة وبكل جزئية وكبيرة، فكانت الرحلة بالنسبة لقارئها والمستفيد منها بمثابة العنصر الطبيعي والبدهي الذي لا يمكن الاستغناء عنه في مختلف موائد الحياة (الجغرافية والتاريخية والصوفية والمذهبية والعلمية والأدبية والنقدية...) ألا وهو الماء، إنه ماء الصبر والتعود على قطع الصحاري والطرق، للبحث المستمر عن المشايخ

وأرباب الزوايا والطرق الصوفية وأحوال المجتمعات للوصول إلى خير البقاع وأشرفها، إنه الماء المنظف للأدناس والذنوب والخطايا، ماء الشفاعة والمغفرة والتوسل إلى الله بأنبيائه وعباده الصالحين الزهاد.

فإن كان الأمر كما قلنا، فقد أصاب مسميها وواصفها ب"ماء الموائد" في قصده ومرماه، فإنه ليس من مبالغة القول بأفضليتها على كل الرحلات ربيباتها في موضوعها وغرضها، بما حوت من المعارف والعلوم والآراء والنوازل والفهارس والفنون، وبما ضمت صفحاتها من بركات خير الورى والصالحين من أتباعه، ما تعجز الدراسة عن الإلمام به، وسبر أغواره وآباره وفك رموزه وإشاراته، لما اتسم به صاحبها من حصافة ذهن وسرعة انتباه وتسجيل وتحصيل واطلاع واسع على مؤلفات عدة في فنون مختلفة، جعل من إنتاجه موسوعة عصره.

وقد قام أحد الدارسين بقراءة لعنوان الكتاب "ماء الموائد" يقول¹: (أظن أن تفكيك عنوان الكتاب أكبر عون لنا لولوج ثنايا الموضوع، وإذ نشعر منذ تأملنا الأول لعنوان الرحلة العياشية بغرابة تسميتها بماء الموائد، لأن الموائد لا تعرض خصيصا للماء، مما يدفع القارئ إلى ولوج عالم الرمز لفك سر هذا العنوان، على اعتبار أن الماء المتحدث عنه هو ماء الخصب والعطاء... فوجود الماء ضروري لاستمرارية الحياة،... وإذا مارسنا تفكيكا سيميائيا لعنوان الرحلة فإنه يمكننا الجزم بأن حروف (الماء) هي نفسها المشكلة لكلمة (موائد)، وعليه فإن تركيبنا تداخليا للفظ (الماء + ود) يعطينا كلمة (الموائد). وهذا الأمر يفيدنا بأن ماء الود هو الهدف الأسمى من هذه الرحلة إلى الديار المشرقية... وهناك دليل نحوي آخر للكشف عن رمزية العنوان هو تغييبه للفعل الدال على الحركة والتغيير والاكتفاء بالاسم (الماء) المتعلق لفظا ودلالة بحضور الموائد الكاشفة عن سر وروده نكرة، وهذا الأمر يفيد الرغبة الإطلاقية للعياشي في تخليد تعطشه لشرب ماء الود الصافي (والخالد...).

2- البناء الداخلي للرحلة: البعد الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي

¹ - الأستاذ محمد أحمد. مقال: أدب القراء من خلال كتاب "ماء الموائد" المناهل عدد 50 / سنة 1997 (ص 167).

لقد اتبع أبو سالم في بناء رحلته سنة الرحالين السابقين، حين وضعوا في بداية رحلاتهم خطبة حددوا فيها دوافع تأليفهم والمنهج المتبع في تقديم الأخبار والأحداث التي يدونونها، بالإضافة إلى الصعوبات التي قد تعترض سير التدوين. من هنا تأتي أهمية خطبة رحلة أبي سالم؛ فهي مفتاح ولوج أحداث الرحلة، الضامن لتسلسلها وحبكتها، الموصل إلى معرفة زمن تدوينها والظروف المحيطة بذلك، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو نفسية إبان انطلاق الرحلة وأثناءها وقبلها.

أوضح أبو سالم في بداية رحلته أنه قام قبلها بالحج مرتين سنة (1059هـ) وسنة (1064هـ)، كما حدد منهجه وغرضه منذ الرحلة الأولى، يقول في المقدمة: (... فكانت تلك الرحلة وهي من الله أعظم نحلة تقبل الله فيها صالح أعمالنا... ولم يكن فيها كبير أمر يعتني بكتابة الرحلة لأجله، ويكاد علمه يستوي بجهله، إلا ما يشترك في معرفته عام الحاج وخاصتهم من أوصاف المسالك وتعدد المراحل وأسماء البلدان وما يضاهي ذلك، مما لا تطمح إليه عيون أولي الفضل وترتاح لذكره همم أهل النبل، من لقاء المشايخ الفضلاء ومحاضرة الأدباء النبلاء ومباحثة الأذكياء وزيارة الأتقياء، إلا أشياء إن انفردت بالذكر قلت وإن أدرجت مع غيرها ضلت...).

فأبو سالم لم يبلغ مبتغاه في المرة الأولى الذي سيحقق بعضا منه في المرة الثانية شأنه شأن أفراد الركب، فيدون في هذه المرة أحداث الرحلة بطلب بعض تلامذته وأصدقائه، يقول في المقدمة: (... وأعددت لفوائد الرحلة عدة كثيرة، فأتسع المجال في لقاء الرجال ومذاكرة الإخوان في أوان، ومحاضرة الأدباء ومجالسة الظرفاء، وحصلت في تلك الرحلة المباركة ما حصلت لي به مع المرتحلين المشاركة، فعزمت على تدوين ذلك في مجموع تصل به الإفادة لمن طلب الاستفادة، فإذا زبدة فائدته وثمره عائدته أسماء المشايخ ومروياتهم، وذكر شيء من مصنفاتهم. وقد استوفيت جل ذلك لمن طلبه مني ورام أخذه عني ما سواه، إذ هو بدون قليل جزواه...).

هكذا نرى أن أبا سالم لم يدون رحلته قبل رجوعه من سفره الثالث، لأنه كما قال لم يكن بعد حقق مراده من رحلتيه، حيث كان في الأولى معتنيا بوصف الممالك وتعدد المراحل وأسماء البلدان، وفي الثانية كانت

عنايته مركزة حول لقاء الرجال ومحاضرة الأدباء ومجالسة الظرفاء، حتى كانت رحلته الثالثة التي جمعت بين الأمرين وحقق فيها المزج بين العلمين، علم المسالك الجغرافي وعلم الفهارس والمشايخ والمسانيد، فضلا عن الاهتمام بالأدب شعره ونثره.

وفي أثناء الرحلة يحدد أبو سالم قصده وغرضه قائلا: (وقصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، وإن وُجد الأمران فيها معا فذلك أدعى لنشاط الناظر فيها، سيما إن كان صاحب تلوين، وأما صاحب التمكين فلكل شيء عنده موقع ونفع لا يوجد في غيره)¹.

ويقول أيضا: (إذ الغرض من هذه الرحلة أن تكون ديوان علم، فلا ألو ما أدخلت فيها من الفوائد لرغبة كثير من الأصحاب في ذلك)².

ويقول أيضا: (وحيث كان القصد من هذه الرحلة جمع الفوائد لا انتقاء الفوائد...)³.

لقد تطرق في خطبة الرحلة لكثير من المسائل عدا ما سبق ذكره، منها الحديث عن الموانع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي اعترضت أسفاره. وكذلك أجزاء من قصائده في مدح الرسول ع التي توسل بها إليه ليتيسر مراده وقصده. كما تحدث عن التهيئ للسفر ومراسلاته مع أمير ركب حاج سجلماصة.

وإذا دخلنا إلى متن الرحلة نجد أبا سالم على وعي تام وخبرة دقيقة ببناء التصانيف وطرق التأليف، وذلك بتبويبه لمراحل الرحلة المختلفة والمتعددة وتنظيمه الجيد للمعلومات الجمة المذكورة فيها، رغم اختلاف وتنوع مجالاتها وتخصصاته الجغرافية والتاريخية والثقافية والحضارية والفقهية والصوفية والفهرسية وغير ذلك كثير؛ فجميع هذه المعارف عند أبي سالم تتداخل وتتشابك ويدعو الحديث عن بعضها لذكر الآخر، فلا تظهر مستقلة ومنفردة إلا إذا طال الحديث عن بعضها.

فكان التبويب عن طريق وضع عنوان بخط غليظ بارز يحدد فيه ما هو مقبل عليه من ذكره لمرحلة أو مدينة أو شيخ أو علم أو مزاراة أو

¹- الرحلة (ج 2 ص 328).

²- الرحلة (ج 2 ص 546).

³- الرحلة (ج 3 ص 756).

سند أو موضوع فقهي أو نازلة أو مقتطفات من كتاب أو شعر له أو غيره...

ويلاحظ أن أبا سالم كان يُخضع حديثه في المواضيع المتنوعة إلى ما تمليه عليه خطورته وقيمته العلمية أو الأدبية؛ فكان يستسلم للتفصيل والتطويل والإطناب في بعضها، بطرحه للآراء المختلفة في الموضوع وبسطها من جوانب عدة، ومناقشتها بروح تغلب عليها النزعة العلمية والحيادية في كثير من الأحيان. وقد يكتفي بنقل الأخبار كما سمعها أو نقلها وخاصة إذا تعلق الأمر بما هو صوفي طرقي أو اعتقادي مذهبي، حيث يسلم لهم بما قالوا دون معارضتهم أو رفض آرائهم رغم غرابتها وشذوذها، أو عند سرده لروايات أحاديث نبوية نقلها من مصادر دون نقدها، لأنها في موضوع الفضائل النبوية.

كما أن المنهج العلمي الذي اعتمده أبو سالم فرض عليه ذكر موضوعات متنوعة استرعت اهتمامه بالإعجاب أو الغرابة فجعلها تحت عنوان (غريبة) أو (لطيفة)، تأكيداً منه إما بعدم الاطمئنان إلى صحتها أو لعجزه عن تحليلها وإبداء الرأي فيها بعد إعجابه بها أو تعجبه منها.

هذا بالإضافة إلى إسناد الأخبار والمعلومات إلى أصحابها وقائلها في مصادرها التي يُعينها في الغالب، وقد يسهو أو يجهل مصدرها بالضبط فيكتفي بذكر مؤلفها. وحين يتدخل بكلامه في مسألة معينة يضيف عبارة (قلت) أو (هذا لم يذكره صاحب الخبر السابق)...

لقد تحكمت في منهجية رحلة أبي سالم أبعاد منها:

• **بعد جغرافي تاريخي حضاري** أبان عن دقة صاحبها في الوصف وتتبع المراحل وتعيين المسافات، ليستفيد منها بعد ذلك علماء الجغرافية (وقد اغتنت المعرفة العربية بالجغرافيا الإقليمية والوصفية إلى حد كبير بفضل صدور كتب رحلات بالعربية على نطاق واسع...) ¹، (إن فن الرحلة في أصله له اتصال متين بالجغرافية، إذ الكتب الأولى المؤلفة في هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة، وذلك أن الجغرافي كان يطوف البلاد التي يود التكلم عليها، ويخترق مسالكها

1- الجغرافيا عند المسلمين، لجمال لفندي (ص 157).

ويقف بنفسه على أحوالها، ثم يضع بعد ذلك كتابه. لذلك سميت جل التأليف الجغرافية التي كتبت في القرون الأولى: المسالك والممالك... والفرق بين كتب الرحلات وبين كتب المسالك والممالك هو أن مؤلف الرحلة يذكر فيها ما يتعلق بنفسه، فينبه مثلا على تاريخ خروجه من وطنه وعلى الأحوال التي أحاطت بسفره مع الإشارة لأسبابه، ويثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيبته. أما مؤلف المسالك والممالك فإنه يكتفي بذكر المسافات وبوصف البلاد التي يمر بها من الناحية الزراعية والتجارية...¹

لقد سجل أبو سالم خط رحلته من الانطلاق إلى العودة بكل الجزئيات، مدنا وقرى ومداشر ومياه وآبارا وأنهارا ووديانا وقصورا وأسواقا ومساجد ومزارات وأسماء قبائل...؛ فوصف مثلا طبقات الأرض من حيث الصلابة والتكوين وأنواع الأشجار، ثم وصف الحدود وانتهاء الجبال والوديان، وقد يتحدث عن المعادن الموجودة بالمنطقة، ثم يتعرض للجو والرياح وأماكن المياه وحلاوتها أو قبحها...

لقد حاول أبو سالم أن يقرب القارئ ما أمكن إلى ما تراه عدسته المصورة لما يصادفه ويعيشه وكأننا به يرشدنا سياحيا؛ فيذكر موقع البلد ويحدده، ثم يذكر المسافة الفاصلة بينه وبين الذي قبله والذي يليه، ذاكرا ما كان عليه المكان من قبل وما صار إليه. معتمدا في ذلك على المعاينة والمباشرة وعلى ما ذكره سابقوه مثل البكري والعبدري وابن رشيد وابن بطوطة. وأثناء حديثه يشير إلى أهم الأحداث التاريخية والحضارية التي عرفت المنطقة، وقد يصحح الأخطاء الشائعة عن المكان ويقرر الصواب أو ما يراه قريبا للواقع والحقيقة.

إن المعلومات الجغرافية والتاريخية منتشرة في الرحلة بحسب المراحل التي يمر بها الركب المغربي والتي كانت تُعرف بالطريق الصحراوي أو المحجة الكبرى. وقد تميزت هذه الطريق بالنزول بمحطات معروفة للتزود بالمطايا والمأكّل والماء كمحطة طرابلس والقاهرة ومنها إلى الحرمين.

بناء على ما سبق قد لا نوافق ما انتقدت به رحلات القرن الحادي عشر من خلوها من الوصف الجغرافي (... فلا تجد فيها إلا القليل

1- مقال: الرحالة المغاربة وآثارهم لمحمد الفاسي. دعوة الحق ع 2 - 1958. (ص10).

النادر من وصف الأقطار التي يمر بها الرحالة والأشخاص الذين يحتك بهم، ولا تكاد تقف بالمرّة على ملاحظات تتصل بالجوانب الجغرافية والعرقية الاجتماعية¹.

أو ما قاله ليفي بروفنسال (... إن تلك الرحلة ليست إلا قائمة من مشاهير الأعلام، إذ القسم الجغرافي منها لا يتعدى بيان المسالك والمنازل، وهو في حقيقة الأمر دقيق الضبط، جدير بالدراسة حتى في أيامنا هذه، وإن كان مؤلفنا لم يقصد من رسمه إلا إطلاع القراء على مدى الاعتناء بالعلوم الإسلامية في الأقطار التي مر بها)².

● **بعد اجتماعي اقتصادي اعتمد فيه على المعاينة والمباشرة والمخالطة والمرافقة مع سكان المناطق التي حل بها؛ فيصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي وجدها عليها دون مجاملة أو محاباة؛ فيمدح من يراه أهلاً لذلك وينتقد من في نظره يستحق الذم والنقد؛ فقد شنع بكثير من العادات والأخلاق والمعاملات المخالفة للصواب والاعتقاد، وانتقد العديد من الخرافات السائدة بين السكان والحجاج. كما تحدث عن المستوى المعيشي للمنطقة والعملات والقدرة الشرائية لدى الأفراد. بالإضافة إلى الحديث عن كل أشكال المعاملة التي يلقاها الركب من السكان من بيع وشراء وأمن في الطرقات وجباية ضرائب والغارات والأخذ بالثأر.**

فأهل توات مثلاً من عوام التجار معاشهم التمر، وليس بينهم أهل صلاح وعلم، والذهب عندهم أرخص منه في تافيلالت. أما أهل واركلا فهم بسطاء في العلم والدين، ومن عاداتهم إلقاء ثياب موتاهم عند باب المدينة. والإباضيون من أهل هذه المدينة يسمون أشياخهم بعم فلان، ولا يسمح لهم بالصلاة على جنازهم وبعقد القران بالحرم الشريف كالنخولة. وعرب برقة فقراء منافقون يوصفون بالكفر لعدم معرفتهم لحدود الله. كما قام بمقارنة بين أخلاق سكان الحجاز والمغاربة البرابرة والأعراب وبين العادات والتقاليد. وتحدث عما لاحظته بمصر من وجود طائفتين، واحدة في غاية الذل والاستحقار وأخرى في غاية العتو والاستكثار. والأمثلة عديدة.

¹- الرحلات لشوقي ضيف (ص 79).

²- مؤرخو الشرفاء للفي بروفنسال (ص184).

أما بالمدينة فقد تعجب أبو سالم من خروج النساء إلى المقابر يوم العيد. وكذلك استغرب من عادات ذميمة مثل شرب الدخان والقهوة.

وأغرب مشهد سجله هو أعجوبة اعتقاد ذلك الرجل في حصول مراده من حمل زوجته العاقر حين ضُبطاً في حالة جماع في الحرم المكي.

● **بعد ثقافي علمي ديني:** تمثل فيه ملاقة العلماء والشيوخ وأرباب الزوايا والاحتفال بالمولد النبوي والإكثار من أشعار الشوق للحجاز وزيارة الأماكن المقدسة؛ فكان دافع التصوف والزهد يدفعه إلى البحث عن الحقائق أينما كانت، والإيجاب عن التساؤلات وقطع الصحاري والمهامه من أجل العثور على شيخ متصوف للتبرك بلاقئه والأخذ عنه والفوز بدعوته الصالحة، وكذلك البحث عن تسجيل المرويات المتباينة والأسانيد المتعددة والمطولة، والتعريف بالشيوخ وشيوخهم ومؤلفاتهم ومجالسة العلماء ومناظرتهم ومناقشة النوازل والإيجابات وتحليل الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة، والعمل على اكتساب الإجازات للأولاد والأهل والأصدقاء وشيوخه بالمغرب، وربط الصلات بين المغرب والمشرق عن طريق نسخ أو شراء كل إنتاج جديد من كتب وطرق صوفية وتحقيق المعلومات وإرسالها أو إدخالها إلى المغرب بعد العودة.

كما كانت لأبي سالم انتقادات تتعلق بالحركة العلمية في المناطق التي حل بها وخاصة المشرقية؛ رغم ما هو معتاد من شعور الرحالة المغربي بالتفوق المشرقي في القيمة العلمية علماً وشكلاً، الشيء الذي لم يقتنع به كذلك ابن خلدون بقوله: (فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم، بل في سائر الصنائع، حتى أنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب،... وأن نفوسهم أكمل بفطرتها من نفوس أهل المغرب، ويعتقدون التفاوت بينها وبينهم في حقيقة الإنسانية... وليس كذلك)¹. فمثلاً لاحظ أبو سالم عن أهل توات أنه لا يوجد بينهم من ينتسب إلى ولاية أو صلاح أو علم أو فلاح لأن خطيبها ومعتمدهم يلحن رغم قراءته من الورقة. كما أن أهل ريغ بُلّة لا يفقهون حديثاً،

1- مقدمة ابن خلدون (ص 775).

ورغم ذلك كلفته أسئلة وفد منها إلى إظهار وبحث كل ما لديه من حفظ وآراء. كما أن قابس شاغرة من العلوم، وتوزر مركز علم لا بأس به، ونفطة يقل بها التحصيل.

وبالمقابل اطمأن لأحوال كثير من المناطق مثل البلاد الصحراوية في كل من طرابلس وإفريقيا التونسية والجزائرية، حيث لاحظ أنها تنعم بمستوى ثقافي جيد بسبب انتشار المدارس وكثرة الزوايا.... وقام بتوجيه اللوم لشيوخ وعلماء وانتقد أخلاق بعضهم، كما عاب على آخرين الإغفال عن الرواية والاشتغال بالدراية. وبالمقابل مدح المشتغلين بالعلمين، فكان ذلك مقياساً أضافه للحكم على الشخصيات العلمية بعد تحليلتهم بصفات خلقية واجتماعية تتمثل في الورع وجميل المعاشرة وحسن التدين وسعة الصدر عند الحوار والمناقشة. فكانت تتحول بذلك الرحلة إلى كتاب للفهرسة، تُعنى بالأساتذة- الشيوخ والعلوم المأخوذة عنهم رواية أو قراءة أو إجازة بأهم مراكز التكوين والطلب (طرابلس، القاهرة، مكة والمدينة). وبذلك تعددت مروياته عن الشيوخ وتفرعت عبر علوم متنوعة من قراءات وفقه وحديث وتفسير وشعر ونحو وكل ما له علاقة بالجانب الديني الصوفي، بالإضافة إلى علم التنجيم والفلك والأوافق الذي أولاه اهتماماً بالغاً في رحلته.

ولم يغفل أبو سالم التذكير ببعض الأحوال السياسية سواء الداخلية أو الخارجية بالنسبة لبلده المغرب أو المناطق التي يمر بها أو التي يحل بها مقيماً ومجاوراً.

فهو في مناسبات عديدة يطلب من العلماء بمكة والمدينة الدعاء لتهدئة أحوال بلده، شاكياً إليهم ما ترك به من الفتن والاضطرابات.

وبواركلا يتحدث عن الاضطرابات التي استنزفت قوى أهلها. وأهل وادي ريغ يستفتونه في قتال أهل واركلا للنهي عن المنكر.

كما تحدث عن أنشطة اللصوص على طول الطريق الصحراوي، وكذلك السياسة ضرائب المرور والمكوس...

إن كل هذه الأبعاد وأخرى عديدة تحكمت في منهج الرحلة، وجعلت هاجس أبي سالم مشدوها لتحقيقها. وجعلت نتاجه يتصف

بالتكامل والموسوعية في العلوم الشرعية والإنسانية عامة. وجعلت رحلته ديوان علم وتسلية معا.

يقول بروفنسال (...وهي موسوعة في علم الشريعة وفي التصوف، ولذا رأينا من الضروري ألا نغفل هذا المؤلف المغربي ذا السمعة الطيبة والشهرة المحدودة عند بني وطنه)¹.

3- مصادر أبي سالم في تدوين رحلته:

أ- المعاينة والمشاهدة:

هي من الوسائل والمصادر المعهودة عند الرحالة عامة، وإن كانت تختلف طرق توظيفها ومدى نجاح كل رحلة في استغلالها واستخدامها لتوفير المصدقية والنجاح لما احتوت عليه الرحلة من أوصاف ومعارف متباينة.

فالمشاهدة الذاتية والوقوف الفعلي على الأمكنة والأحداث الموصوفة من المصادر الرئيسية للرحلة، إلا أن ما يميز أبا سالم في استخدام هذه الوسيلة هو دقة ملاحظته وسرعة تسجيل عدسة بصره، والنظرة الخاطفة الدالة، بالإضافة إلى بعد النظر والتركيز الشديد على عناصر الوصف والإحاطة من جميع النواحي، لتجسيد المرئي المادي المحسوس وتسطيره على شكل عبارات تجعل القارئ في جميع الأزمنة والأمكنة يقوم بنفس الرحلة وب نفس وسائل السفر والترحال وهو لم يبرح مكانه. والأمثلة في الرحلة كثيرة وعديدة.

كما اعتمد أبو سالم على النقوش والكتابات على المقابر والجدران، والمقابلة الفعلية لوصف أحوال الشيوخ والأقوال من الناحية الخلقية والعلمية والنفسية والسلوكية.

وأبو سالم بحكم مجاورته بالمدينة لمدة تسعة أشهر استطاع معرفة الكثير من خبايا أهلها وأحوالها وعاداتها، عن طريقة الملاحظة الشخصية التي تجلت واضحة في الجزء الخاص بالمدينة، فظهر الرحالة خبيراً بمختلف الجوانب، الاجتماعية والعلمية منها على الخصوص.

¹- مؤرخو الشرفا (ص185).

ب- الرواية الشفوية:

المقصود بها العملية المكملة لما استعصى على الرحالة الوقوف عليه بالمشاهدة والمعاينة، فيلجأ إلى التلقين المباشر من أفواه الرواة والعلماء والإخباريين، وهي من أرقى وسائل التثقيف والتعليم، يقول ابن خلدون (إن البشر إنما يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليقاً وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها)¹.

لقد روى أبو سالم الأخبار والروايات والأشعار والأسانيد والأحاديث سماعاً عن شيوخ وعلماء بحث عنهم وقابلهم، ينقل عنهم آراءهم بأسانيدهم المتعددة والطويلة، وقد ينقل الرواية ويورد اختلاف رواياتها، ويعلن عن تحفظه في الجزم بصحتها، ويلقي وزرها على راويها وناقليها.

وتارة يذكر اسم من أخبره ويمدد في سلسلة مشايخ الرواية بقوله أخبرني فلان عن فلان، وقد لا يذكر اسم من روى عنه إما لنسيانه أو لعدم تأكده منه أو للتحفظ. والأمثلة كثيرة، من ذلك فيقول (ذكر لي بعضهم) و(أخبرني بهذا من أثق به...).

وعبارات أخرى تدل على الاتصال المباشر والرواية الشفوية لمن قابلهم أبو سالم أو روى عنهم، يقول (أنشدني له، وأنشدني فلان، وأخبرني، وحدثني، وذكر لي، وذكروا، وأخبرني بعض أصحابنا...).

ج- المصادر المكتوبة:

لقد كان هذا المصدر من الأركان الثابتة التي اشتغل أبو سالم بالنقل عنها، لتوثيق رواياته وأخباره وإعطاء الشرعية والمصداقية العلمية لنقله وتضميناته، وتأكيد معلوماته وتركيزها بآراء أصحاب المسانيد المشهورين وكبار الفقهاء وجهابذة العلماء والمتصوفة والزهاد،

¹- المقدمة (ص476).

والمؤرخين والجغرافيين والنقاد والرحالين وأصحاب السير ومتعاطي التنجيم والأوقاف والطب...، وممن اتفق على علو أخبارهم وصحة سندهم في مؤلفاتهم العلمية والأدبية.

ومن المصادر التي أكثر أبو سالم الأخذ منها أو نقل أجزاء طويلة منها أحياناً، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- رحلة ابن رشيد ملء العيبة.
- طبقات السبكي.
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي.
- كتب المسالك والممالك.
- رحلة البكري.
- رحلة العبدري.
- رحلة البلوي.
- تاريخ ابن خلدون.
- تاريخ الإسلام للذهبي.
- كتب المسانيد والأحاديث كلها.
- المعجم الأوسط والصغير للطبراني.
- نوازل البرزلي.
- الخليعات.

وعدة كتب أخرى لا تقل أهمية وشهرة.

هكذا كان أبو سالم في رحلته منذ البداية إلى النهاية، متنوع المصادر حسب تنوع وتشعب الموضوعات، محاولاً تحقيق التوازن بينها. إلا أن ما غلب عليه هو جانب النقول والاستطرادات والأسانيد وسلسلة الشيوخ وأرباب الطوائف الصوفية وأخبارهم وإيراد الأدعية والأوراد والتمائم.

4- عناصر التجديد في الرحلة:

إن قيمة رحلة أبي سالم مستمدة من الخطة العلمية التي اعتمدها، مما جعلها تتبوأ مكانتها ضمن السلسلة المترابطة للرحلات وكتب الفهارس والبرامج. تلك المكانة التي لا يمكن التغافل عنها أو تجاوزها

إلى رحلة أخرى دون الوقوف عندها عدة وقفات، لملاحظة التميز الواضح الذي طبعها وميزها عن سابقاتها، رغم اعتمادها الواضح على مناهجها ومعلوماتها، الشيء الذي يجعلها هي نفسها مصدرا هاما للرحلات اللاحقة؛ فتعددت النقول منها واعتمدت معلوماتها وفوائدها في جميع الجوانب الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والفهرسية والعلمية والأدبية....

لقد صرح أبو سالم باعتماده على منهج شيخ الرحالين ابن رشيد في الإكثار من النصوص والإفادات، يقول: (وقد اقتديت في الإكثار من النقل من هذا الكتاب بإمام المرتحلين وشيخ المحدثين الشيخ محمد بن رشيد السبتي في رحلته ... فقد أكثر فيها من الفوائد خصوصا من هذا الكتاب؛ فربما ينقل الجزء بكماله تكثريرا للفائدة. وقد علمت أن الناظر فيما كتبه لا يسأم من مطالعة هذه الأحاديث وأمثالها من الفوائد، إلا أن يكون ممن قصده الأسمار من الجهلة الأغمار، ولا عبرة بهم عند العلماء المحصلين...)¹.

كما يذكر استفادته ونقله عن العبدري والبلوي وابن بطوطة أشياء جغرافية وتاريخية وفهرسية....

ورغم ذلك تبقى عناصر التجديد ومحاولات الخروج عن المألوف في الرحلات السابقة عند أبي سالم مسألة بارزة مميزة. ومن تجلياتها تغليب الجانب العلمي التوثيقي للرواية والسند، بطرقه أبواب وحلقات العديد من الشيوخ والعلماء أينما حل وارتحل، الشيء الذي كان مطلوبا في عهده ويحث عليه الشيوخ وأصحاب الفهارس والإجازات.

كما برز الطابع الصوفي نثرا وشعرا، واعتز في الكثير من المواضع بالانتماء إلى عدة طوائفه، والأخذ عن شيوخه والافتداء بهم. هذا بالإضافة إلى احتفاظ الرحلة بالعديد من النصوص تجنباً للضياع أو الإتلاف أو لغزابتها في المغرب، نذكر من بينها:

- رسالة تاج الدين بن عثمان في أصول الطريقة النقشبندية.
- التحفة المرسلّة إلى رسول الله ﷺ للشيخ محمد بن فضل الله الهندي.
- الأسماء الإدريسية للكوراني.

¹- الرحلة (ج 2 ص 314).

- الإلماع المحيط للكوراني.
- مختارات من كنز الرواة لأبي مهدي عيسى الثعالبي.
- أحاديث الخلعيات لأبي مهدي عيسى الثعالبي.
- بعض وجادات لأبي مهدي عيسى الثعالبي.
- شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة لأبي القاسم القشيري.
- وصية القشاشي لأولاده.
- إجازة محيي الدين بن عربي لبعض ملوك وقته.
- الجفر الكبير لأحمد بن التاج.
- أدعية سجود التلاوة.
- معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير الطريق لأبي عبد الله محمد العلمي.
- ملخص كتاب محدد السنن في نحور إخوان الدخان لعبد الكريم الفكون.
- تحرير كلام القوم في أمر النبي عليه السلام في النوم لأبي سالم.
- رفع الحجر عن الاقتداء بإمام الحجر عليه السلام في النوم لأبي سالم.
- تركة زروق.
- ترجمة محمد بن سليمان الروداني.
- أخبار عن أبي العباس المقرئ (نقلها إحسان عباس في تحقيقه، ونبه عن إغفال مصدر الرحلة العياشية من طرف مترجمي المقرئ).
- كما احتفظت الرحلة بأشعار عدة لأبي سالم ولمعاصريه، وكذلك عدة رسائل إخوانية وآراء نقدية نثرا وشعرا.
- إن الموسوعية التي اتصفت بها رحلة أبي سالم جعلتها مصدرا موثوقا لأخبار وأحداث العصر على طول الخط الذي اتبعته الرحلة، بوصفها للبلاد والعباد والأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية. فاعتمدت عليها الرحلات اللاحقة والمؤلفات في الطبقات والتاريخ والجغرافية والحركات الفكرية والاجتماعية.
- ونذكر من المستفيدين من رحلة أبي سالم الرحالة المغاربي تلميذه أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1129هـ) الذي اتبع منهاجه وعناوينه، كما نقل بعض أجزاء كاملة من رحلة أبي سالم في رحلته

المسماة "شيخ الطريقة وقعدة الشريعة والحقيقة" أو الرحلة الناصرية، وسماه فيها بأنه شيخ الرحالين¹.

وكذلك الرحالة محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي (ت1239هـ) الذي نقل كثيرا من إشارات أبي سالم². والهشتوكي (ت1096هـ) في رحلته "هداية المالك العلام إلى بيت الله الحرام"³، والورثيلاني في "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار". وكذلك الزبادي (ت1123هـ) الذي تعتبر رحلته متممة لرحلتي العياشي وابن ناصر.

وبعده الأديب الفقيه والوزير السفير محمد بن عثمان المكناسي (ت1214هـ) في رحلته "إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب"⁴. يقول ابن عثمان (... وقال صاحبنا العلامة أبو سالم العياشي رحمه الله في رحلته: وزرنا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام...)⁵.

كما أن الرحلة العياشية كانت محط عناية العديد من أصحاب الطبقات وكتب التاريخ الذين أخذوا منها مادتهم، نذكر منهم محمد الصغير ابن محمد بن عبد الله الأفراني (ت1138هـ) في كتابيه "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" و"صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر".

وكذلك محمد بن الطيب القادري في كتابيه "نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني"⁶، و"إلتقاط الدرر ومستفاد العبر في أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر"⁷.

¹ - الرحلة مطبوعة طبعة حجرية بفاس سنة 1320هـ.

² - انظر أجزاء من رحلة أبي سالم مضمنة في: كتاب ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، لحمد الجاسر (ص 50-51-60-61-65-67-88-89...).

³ - يقول الهشتوكي عما كتبه أبو سالم لصديقه المجيلدي في "التعريف والإيجاز" (وكتب شيخنا أبو سالم العلامة العياشي لشيخنا القاضي ابن سعيد المجيلدي رحمهما الله ...) خ ع 190 ق (لوحة 107).

⁴ - نسختان بالخزانة الحسنية تحت رقم: 5264 و12307، وقد قام د. عبد الهادي التازي بتحقيق جزء الخاص منها بالقدس والخليل ونشره ضمن كتابه: القدس والخليل في الرحلات المغربية. منشورات - إيسيسكو - (1997م).

⁵ - المرجع السابق (ص 69).

⁶ - تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق.

⁷ - دراسة وتحقيق مولاي هاشم العلوي القاسمي، دار الأفاق - بيروت - 1983.

كما أن من الدارسين المحدثين المغاربة والمشاركة والمستشرقين من اعتمد على معلومات الرحلة التاريخية، وجعلها عمدة في مؤلفه أو مقاله، نذكر منهم:

- أحمد بن محمد المكناسي في كتابه "أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب".

- أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني¹ في نوازل الجديدة الكبرى المسماة "المعيار الجديد الجامع المغرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب".

- ليفي بروفسال في "مؤرخو الشرفاء".

- إبراهيم شحاتة حسن في "أطوار العلاقات المغربية العثمانية"².

- يونان لبيب رزق ومحمد مزين في "تاريخ العلاقات المغربية المصرية"³.

وعدة مقالات ودراسات أخرى للمستشرقين جعلت الرحلة والرحالة موضوع بحثها ودراستها⁴.

ولقد صدق الدكتور عبد الله بنصر علوي بقوله: (وقد نالت رحلة العياشي شهرة ذائعة الصيت، فأصبحت مرجعا هاما لا يستغني عنه دارس لمنطقة وصفقتها، أو مترجم لشخصيات ذكرتها، أو مؤرخ للعلاقات بين المشرق والمغرب، أو باحث في أشعار المديح النبوي، أو أديب يقتفي ترسلها الفني، أو كاتب يختار منها وجاداته، أو مولع بالأسانيد المغربية أو المشرقية، أو مهتم بسندها، أو مدقق في نقدها للنصوص، أو فقيه ينهل من أحكامها، أو صوفي يستمتع بأورادها ويتبرك بأوليائها ويعجب بطرق متصوفيهها، أو رحالة يسلك سبيلها...،

¹- (ت 1342هـ) قابله وصححه ذ عمر بن عباد، نشر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
²- (من ص 308 إلى ص 363) فصل بعنوان: رحلة العياشي، قراءة في المنظور المغربي للشرق العثماني.

³- في مواضع عدة من الكتاب أكد من خلالها أن أبا سالم قد ذكر في رحلته استطرادات طويلة تمكن القارئ من الوقوف على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والعلمي لمصر خلال الفترة التي زارها.

⁴- رسالة د بنصر هامش (ص 124 - 125)، 1996م.

مما يجعلها حقا ديوان علم، ولا نعدم فيها ديوان سمر، ودائرة معارف للعلوم الإسلامية في المغرب والمشرق في القرن 11هـ/17م)¹.

كما أن الأستاذ محمد أمحزون يستدل على قيمة الرحلة العياشية بأهمية وخطورة ما أورده أبو سالم في القسم الخاص بالمدينة، يقول: (ويعد القسم الخاص منها بالمدينة المنورة ذا أهمية بالغة بالنسبة لتاريخ المدينة في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي. خاصة أنه دون في عصر ندرت فيه المؤلفات عنها. كما أنه يحوي وصفا شاملا للمدينة المنورة في مختلف أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية، ووصفا لمعالمها الجغرافية والآثرية)².

كما قام بعض الباحثين المستشرقين بترجمة أجزاء من الرحلة إلى الفرنسية:

- باربروجا (Berbrugger) الجزء الخاص بالجزائر، ونشره في مجلة جزائرية³.

- موتيلانسكي (Mitylisoki) الجزء الخاص بالمراحل بين طرابلس ومصر⁴.

- برهمات (Berhamot) الجزء الخاص بواركلة.

¹- أبو سالم المتصوف الأديب (ج1 ص124) وقدم لكل مستفيد من الرحلة نماذج متعددة من المؤلفين وذكر محل استفادتهم في مؤلفاتهم، ودراستهم، انظر هامش الصفحة المشار إليها وبعدها.

²- المدينة المنورة في رحلة العياشي، دراسة وتحقيق محمد أمحزون (ص80).

³- مؤرخو الشرفا (ص184) المصادر العربية لتاريخ المغرب (ج1 ص187).

⁴- مؤرخو الشرفا (ص184).

د. خالد سقاط

الفصل الثالث

مصادر ومراجع ودراسات حديثة وأبحاث
ومقالات حول الرحلة العياشية ومؤلفها

د. خالد سقاط

ونقصد بها جُلَّ تلك التي ترجمت لأبي سالم أو تحدثت عن آثاره أو أشارت إليها أو قامت بدراسة عن إحدى العلوم التي ساهم بالخوض فيها في الرحلة، وخاصة بعض مؤلفاته أو مؤلفات معاصريه التي وضحت بعض جوانب حياته وشيوخه وتلاميذه وآثاره.

1- بعض مؤلفات أبي سالم وأفراد أسرته:

- ماء الموائد.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تحقيق نفيسة الذهبي¹.
- إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء.
- الثغر الباسم في جملة من كلام أبي سالم، لمحمد بن حمزة ابن أبي سالم العياشي (ت 1140 هـ).
- الإحياء والانتعاش في تراجم زاوية آيت عياش لأبي محمد عبد الله بن عمر العياشي (ت 1169 هـ).

2- مصادر القرن الثاني عشر:

- المحاضرات لأبي علي اليوسي (ت 1102 هـ)²، ذكره أبو سالم ضمن جماعة شيوخ العلم والتصوف الذين لقيهم وأخذ عنهم.
- نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان لمحمد ابن قاسم ابن زاكور (ت 1120 هـ) تح محمد حجي وأحمد إقبال³.
- هداية المالك العلام إلى بيت الله الحرام⁴، رحلة حجازية لأحمد ابن محمد التملي الهشتوكي (ت 1127 هـ).
- المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية لمحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1134 هـ)⁵.
- جهد المقل القاصر في نصره الشيخ عبد القادر لمحمد بن أحمد ابن المسناوي الدلائي (ت 1136 هـ)¹.

¹ - ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - سلسلة رسائل وأطروحات رقم

33.

² - إعداد محمد حجي (ص 303).

³ - إعداد محمد حجي (ص 84-85).

⁴ - م خ ع 190 ج (لوحة 107).

⁵ - م خ ع 1249 ك.

- صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الأفراني (ت 1140هـ)².

- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد بن الطيب القادري (ت 1187هـ) تح هاشم العلوي القاسمي³.

- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لنفس المؤلف، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق⁴.

3- مؤلفات القرن الثالث عشر:

- الدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية⁵.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمان الجبرتي (ت 1238هـ)، تحقيق حسن محمد جوهر وإبراهيم سالم وعبد الفتاح السرنجاوي⁶.

4- المراجع الحديثة المغربية:

- المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولاي إسماعيل بن الشريف لعبد الرحمان بن زيدان العلوي (ت 1365هـ)، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي⁷.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لمحمد عبد الحي الكتاني (ت 1382هـ)⁸.
- تاريخ الشعر والشعراء بفاس لأحمد النميشي⁹.

¹- م خ ع 579 ج.

²- ص 191.

³- ص 212 - 213.

⁴- (ج 2 ص 254).

⁵- م خ ع 1454 د (لوحة 342 - 345 - 352).

⁶- (ج 1 ص 168 - 169).

⁷- (ص 283). ذكره ضمن شعراء دولة المولى إسماعيل.

⁸- (ج 2 ص 832).

⁹- (ص 32).

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي¹.
- أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب لأحمد بن محمد المكناسي (ت1965م)².
- الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز ابن عبد الله³.
- محمد بن سليمان الروداني من أعلام المغرب في ق 11هـ. لصاحبه أحمد بوزيد، أخذ كثيرا من أخباره عن أبي سالم، ونقل عن الرحلة ما يتعلق بآلته النافعة⁴.

5-مراجع حديثة عربية:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة⁵.
- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة للبشير محمد ظافر الأزهرى⁶.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف⁷.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة⁸.
- الأعلام لخير الدين الزركلي⁹.

6- مراجع حديثة لمؤلفين مستشرقين:

- مؤرخو الشرفا لليفي بروفنسال¹⁰.
- تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي¹¹.
- الأدب المغربي لمحمد الفاسي (بالفرنسية)¹².

¹- (ج 2 ص 280).

²- (ص 23).

³- (ج 3 ص 34).

⁴- (ص 20- 22- 23- 56- 57- 59-...).

⁵- (ج 5 ص 478).

⁶- (ص 187).

⁷- (ص 314).

⁸- (ج 6 ص 112).

⁹- (ج 4 ص 129).

¹⁰- (ص 184 - 185).

¹¹- (ص 808-809-850).

- اليوسي - مشاكل الثقافة المغربية في القرن السابع عشر لجاك بيرك (بالفرنسية)¹.
- معجم المطبوعات العربية والمعرية ليوسف إيلان سركيس².
- الموسوعة الإسلامية³.
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان⁴. (بالألمانية).
- تاريخ الأدب العربي - المستدرك - لبروكلمان⁵. (بالألمانية).

7- دراسات مغربية حديثة:

- الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية لمحمد الأخضر⁶، ترجم له وسرد مؤلفاته، وتحدث عنه شاعراً ثم ناثراً، ونقل فقرتين من رحلاته عند إقامته بالمدينة وعند حديثه عن الجوازات الشعرية.
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي⁷.
- الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي لمحمد حجي⁸.
- جامع القرويين لعبد الهادي التازي⁹.
- اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر فهرس أبي سالم، تحقيق نفيسة الذهبي.
- الفقيه اليوسي لعبد الكبير العلوي المدغري¹⁰.
- مقدمة كتاب (التسيير في أحكام التسيير) لأحمد بن سعيد المجيلدي تقديم وتحقيق موسى إقبال¹¹.

¹ - Yousi problèmes de la culture Marocaine au XVI ième siècle par Jacques -El¹ - Berque. (P 103).

² - (ج 2 ص 1396).

³ - Encyclopédie de l'Islam (tome1 p 818).

⁴ - (P13-Man -r III, BrocklGeschichte der Arabischen litteratu⁴ -

⁵ - (P14-Man-Geschichte der Arabischen Supplement Band II, Brockl⁵ -

⁶ - (ص 90- 93- 95).

⁷ - (ج 2 ص 509).

⁸ - (ص 14-34-64-65).

⁹ - (ج 3 ص 790).

¹⁰ - (ص 47 وبعدها).

¹¹ - ذكر في المقدمة أنه أخذ عن أبي سالم وربطته به علاقات قوية، وطلب منه الإجازة فأجازه إجازة عامة، وكتب برسمه رسالته (ص 20-21-22).

- مقدمة تحقيق إلتقاط الدرر بقلم مولاي هاشم القاسمي العلوي¹.
- القدس والخليل في الرحلات المغربية – رحلة ابن عثمان نموذجاً. تقديم وتحقيق د. عبد الهادي التازي².
- 8- دراسة مشرقية حديثة:**
- أطوار العلاقات المغربية العثمانية لابراهيم شحاتة حسن³.
- تاريخ العلاقات المغربية المصرية ليونان لبيب رزق ومحمد مزين⁴.
- مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد) لحمد الجاسر.
- أعلام الجغرافيين العرب للدكتور عبد الرحمان حميدة⁵.
- 9- مقالات حول أبي سالم ورحلته:**
- أبو سالم العياشي، مقال لمحمد الأخضر⁶.
- مكتبة الزاوية الحمزاوية صفحة من تاريخها مقال لمحمد المنوني⁷.
- الرحلات المغربية الحجازية مقال لمحمد المنوني⁸.
- المؤسسات الدينية بالمغرب في القرنين 16 و 17 مقال لمحمد حجي⁹.
- الرحالة المغاربة وآثارهم مقالات لمحمد الفاسي¹⁰.
- مدينة واركلا في رحلة العياشي مقال لمولاي بلحميسي¹¹.

¹- (ص 196).

²- تحدث المحقق عن الرحلة العياشية ضمن الرحالة الذين زاروا القدس والخليل ونقل بعض النصوص عنهما من كلام أبي سالم، يقول (... وقد كانت رحلة أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي واسمها: ماء الموائد، من أوفى الرحلات التي خصصت حيزاً هاماً للقدس والخليل...) (ص 22-23). وعن قيمة الرحلة العياشية يقول (... لا تكاد تخلو خزانة عالم كبير منها...) (ص 24).

³- (ص 308 إلى ص 363).

⁴- (ص 358).

⁵- (ص 88).

⁶- مجلة دعوة الحق يونيو 1973 - ع 1 سنة 16 (ص 167).

⁷- مجلة تطوان ع 8 سنة 1963 (ص 97).

⁸- مجلة المنهل ع 518 - المجلد 56 سنة 1994 (ص 160).

⁹- المناهل ع 18 سنة 1990 (ص 112).

¹⁰- دعوة الحق ع 2 السنة 2 - 1958. ع 3 السنة 2 - 1959. ع 4 السنة 2 - 1959.

¹¹- تاريخ وحضارات المغرب، كلية الآداب - الجزائر، يناير 1970 (ص 41).

- مع أبي سالم العياشي في رحلته للمشرق مقال لعبد القادر زمامة¹.
- كلمات وإشارات، مقال لعبد القادر زمامة².
- مراكز الدرس والتكوين وآثارها في الحركة العلمية والأدبية بالمغرب على عهد السلطان المولى إسماعيل (1139-1082هـ) مقال لعبد الله المرابط الترغي³.
- أدب القراء من خلال كتاب "ماء الموائد" لأبي سالم العياشي، مقال لمحمد احميد⁴.

10- دراسات خاصة بأجزاء من الرحلة ورسائل جامعية:

- أبو سالم العياشي شاعرا لعبد الله بنصر العلوي⁵.
- فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن 12هـ، منهجيتها، تطورها، قيمتها العلمية. لعبد الله المرابط الترغي⁶.
- المدينة المنورة في رحلة العياشي. دراسة وتحقيق محمد أمحزون⁷.
- ماء الموائد - العياشي. الرحلة - ليبي طرابلس وبرقة. لسعد زغلول عبد الحميد ومحمد عبد الهادي شعيرة ومحمود حسن عطية السعيران ونبيلة حسن محمد⁸.

11- عرض نسخ الرحلة:

للرحلة العياشية "ماء الموائد" نسخة خطية بقلم المؤلف، وعدة نسخ مخطوطة بالخزانة الملكية والخزانة العامة بالرباط، وواحدة بالقبيروان بتونس، ونسختان مطبوعتان منشورتان، الأولى على الحجر بفاس سنة 1316هـ، والثانية مصورة بالأوفسيت للطبعة الحجرية صدرت بالرباط سنة 1397هـ/ 1977م.

¹- مجلة المناهل ع 27 سنة 1983 (ص 156).
²- دعوة الحق ع 330 السنة 38 - غشت 1997م (ص 93).
³- دعوة الحق ع 327 السنة 38 - أبريل 1997م (ص 112).
⁴- المناهل ع 50 سنة 1997 (ص 166).
⁵- رسالة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرز فاس. سنة 1984 في جزئين.
⁶- رسالة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهرز فاس. سنة 1983 في ثلاثة أجزاء.
⁷- مطبوع سنة 1988 - دار الأرقم للنشر والتوزيع - الكويت.
⁸- مطبوع سنة 1996 - منشأة المعارف - الإسكندرية.

وسوف أستعرض مجموع النسخ الموزعة في الخزانات ثم المطبوعة المنشورة، وأسجل رقم كل نسخة ومكانها وعدد صفحاتها، دون تفصيل القول في وصفها، ثم بعدها أركز الوصف على النسخ المعتمدة في التحقيق.

ولعل كثرة النسخ يدل على قيمتها العلمية الخطيرة والجليلة.

I- الخزانة الحمزية:

- نسخة فريدة بخط المؤلف في مجلد واحد تحت رقم 182.

II- الخزانة الملكية:

أشير إلى أن جلها مكتوب بخط مغربي متشابه في الترتيب والتبويب والمحتوى.

- رقم 156: في سفرين كبيرين، 565 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 2715: في جزئين كبيرين يضمهما مجلد واحد، 318 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 478: الجزء الأول، 281 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 629: الجزء الثاني، 266 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 1335: في سفرين، 597 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 6141: في جزأين يضمهما مجلد واحد كبير الحجم، 304 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 182: الجزء الأول، 256 صفحة، به خروم كثيرة، صفحة ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 5108: الجزء الأول، 269 صفحة، متآكل الأطراف، به خروم كثيرة، ليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

- رقم 5139: الجزء الأول، 421 صفحة، مبتور آخره.

- رقم 4828: الجزء الأول، 191 صفحة، مبتور آخره.

ج- الخزانة العامة:

أشير إلى أن كل النسخ بهذه الخزانة مكتوبة بخط مغربي جميل ومزخرف بالألوان.

- رقم 406 ق، ميكرو فيلم 493، تامة - 720 صفحة، سافصل فيها القول لاعتمادها في التحقيق.

- رقم 5227 ك، ميكرو فيلم 1239، تامة - 624 صفحة، وعليها تاريخ النسخ في آخر ورقة 1246هـ، وليس عليها اسم الناسخ.

- رقم 583 ك، الجزء الثاني، 523 صفحة، ومن الصفحة 479 إلى الأخير يذكر الناسخ المجهول الاسم تذييلاً لأبي سالم العياشي بفهرس شيوخه: إتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء وليس عليها سنة النسخ.

- رقم 3576 د، تامة، 575 صفحة، عليها تاريخ النسخ 1134 هـ، واسم الناسخ محمد بن أبي بكر (هكذا).

- رقم 3743 د، الجزء الأول، 557 صفحة، ليس عليها ذكر للناسخ ولا سنة النسخ. ويذكر الناسخ في الأخير أنه لما انتهى من استنساخها أطلع عليها شيغة أبا محمد عبد القادر بن علي الفاسي.

- رقم 2966 د، تامة، 376 صفحة، ومن الورقة الأخيرة حتى صفحة 421 مجموع استدعاءات من أبي سالم طلباً للإجازة، ليس عليها ذكر للناسخ، وسنة النسخة 1272هـ.

- رقم 2871 د، غير تامة، ضمن كتاب (مختصر البيان في نسب آل عدنان) لمؤلفه أبي العباس أحمد ابن جوى الكلبي. ويقع جزء الرحلة في 224 صفحة. ليس عليها اسم الناسخ ولا سنة النسخ.

- رقم 84 ج، تامة، 525 صفحة بإضافة ثلاث صفحات عبارة عن أسئلة فقهية وأجوبة، بها خروم كثيرة، عليها تاريخ النسخ 1197هـ.

- رقم 227 ك، ميكرو فيلم 1239، تامة، 624 صفحة، ليس عليها اسم الناسخ، وسنة النسخ 1146هـ.

د- النسخ المطبوعة المنشورة:

الرحلة مطبوعة مرتان:

- طبعة حجرية بفاس سنة 1316هـ/1898م، في جزأين، عدد صفحات الجزء الأول 456 صفحة، وعدد صفحات الجزء الثاني 422 صفحة، بإضافة 16 صفحة لفهارس الموضوعات وتقاريض نثرية وشعرية ولائحة إصلاح أخطاء الطبع.

وقام بتصحيح هذه الطبعة الأستاذ خليل بن صالح الحسني الخالدي، وهذه الطبعة نادرة جدا وغير متوفرة في الأسواق.

- أعيد طبع الرحلة مرة ثانية بتصوير الطبعة الحجرية السابقة الذكر بالأوفسيت، ووضع فهارسها العامة (أعلام، أشخاص، قبائل وأمم، والأماكن والكتب) الدكتور محمد حجي ونشرت بالرباط سنة 1397هـ/1977 ضمن مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

وتوجد على هوامشها وطررها حواش قليلة، والطبعة سالمة من السقط، ولكنها لا تخلو من الهفوات المتمثلة في عدم وضوح العديد من الكلمات والأخطاء في الأعلام والأماكن والنقص الواضح في الفهارس، بالإضافة إلى صعوبة قراءة الخط المغربي القديم رغم جماله وبهائه، فقل من شبابنا من يحسن قراءته، أما في المشرق فالأمر يستوي فيه الشباب والشيوخ. بالإضافة إلى قلة النسخ إن لم نقل انعدامها.

وكان من الممكن اعتمادها في التحقيق لولا الخلاف البين بينها وبين الأصل الأم، وكذلك لعدم معرفة النسخ المعتمدة في إخراجها وطبعه.

هـ- النسخ المعتمدة:

- نسخة المؤلف - بخطه - بالخزانة الحمزية، رقم 182 - ميكروفيلم بالخزانة العامة رقم 1239 بخط أبي سالم كما قال الأستاذ محمد المنوني الذي قام بفهرسة كتب الخزانة الحمزية سنة 1963م¹.

وفي الخزانة الأولى على اليمين في الدرج الثاني يوجد كتاب "ماء الموائد"؛ والكتاب في مجلد واحد عتيق، صغير الحجم، أصفر اللوحات،

¹- مقال: مكتبة الزاوية الحمزية، صفحة من تاريخها (ص149)، مجلة تطوان ع 8، سنة 1963م، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث لمحمد المنوني (ج1 ص187).

يضم 776 لوحة، بمعدل 25 حتى 46 سطر في الورقة، وبمعدل 15 حتى 25 كلمة في السطر، واللوحه من الحجم الصغير 10 على 16 سم، تامة، وبزيادة فهرسته "إتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء" من لوحة 652 إلى لوحة 713، ومن لوحة 713 إلى 763 يوجد مؤلف آخر لأبي سالم وهو (القول المحكم في حجة عقود الأصم الأبكم). ومن لوحة 764 إلى 775 ثلاثة رسائل لإزالة الشبهة عن آيات وأحاديث وردت في المقصد السادس والسابع من كتاب المواهب اللدنية لمؤلفه....

والرحلة مكتوبة بخط مغربي حسن في عمومته، متنوع بين المبسوط والنسخي، مزخرف في القليل من اللوحات، يختلف رقة وغلظا. وبحبر أسود تميل ألوان لوحاته إلى الاصفرار الباهت. ويختلف الخط من جزء إلى آخر بسبب تغيير أداة الكتابة أحيانا وتغيير النساخ الذين كانوا يساعدون أبا سالم في الكتابة والتدوين، حيث يتضح أنه أملى بعض أجزائها.

والكتاب عامة سالم من الخروم والبتير واعتداء الأرضة، وبه في الهامش والطرر زيادات وتصحيحات وتكميلات وأشعار متداخلة الأبيات هي كلها من المتن، إلا أنه ونظرا لحالة المخطوط المجلد المخاط من الوسط بإتقان، ظهرت لوحات عندما صورت المخطوط بالقوطوكوبي متداخلة الكتابة وفي وسط بعضها بُقع سوداء يتعذر قراءة ما تحتها.

والكتاب مسفر، وعلى لوحة وجه التفسير على اليمين كُتب: الحمد لله وحده، هذه الـ في ورقة 406.

انظر الخشب التي أعطيت للشيخ أبي سالم من خشب سطح الكعبة يوم تجديد السقف، وصلاته فوق سطح الكعبة، وشرأوه 30 لجورة تكون في جدار الكعبة.

قل هو الله أحد	سورة الإخلاص الحجاب
الله الصمد لم يلد ولم يولد	ولم يكن له كفوا أحدا

لعل هذه الإشارة من استخراج أحد قارئ الكتاب زمن أبي سالم أو بعده، فأعجب بما حمله معه أبو سالم وخاصة الخشب، وشرأوه لأجر جُعل في تجديد الكعبة. أما الجدول وبداخله سورة الإخلاص على الشكل المكتوب به هو حجاب واقى للكتاب من تعدي الأرضة والحشرات، وضعه أبو سالم أو أحد أفراد أسرته.

وعلى الورقة الثانية (ظهر التفسير) على اليسار كتبت عدة جمل غير واضحة وغير مقروءة.

وفي أسفلها كتب بخط حديث ومغاير للسابق، وهو في الغالب خط الأستاذ محمد المنوني: الرحلة العياشية، ماء الموائد (182). وهو نفس الخط الذي يوجد على غلاف جل كتب الخزانة الحمزية. وبعدها في اللوحة الأولى تبتدئ الرحلة بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد.

الحمد لله الذي قرن ممدوح السفر بمحمود الظفر...

وفي نهاية اللوحة رقم 650 يختم أبو سالم رحلته بقوله: ووصلنا بلدنا آمنه الله من كل سوء يوم الأربعاء ظهرا سابع عشر شوال من سنة أربع وسبعين وألف، وألقينا عصا التسيار واستقرت بنا الدار وأكثرنا الاستغفار للملك الغفار... وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ومن لوحة 652 إلى 713، فهرست أبي سالم المسمى "إتحاف الأخلاء بإجازات الأجلاء"، مكتوب بخط واحد غير متنوع، رقيق الحروف، خلاف أجزاء الرحلة المختلفة أشكال الحروف باختلاف الناسخين أو الذين أملى عليهم أبو سالم رحلته ليعينوه في كتابتها.

ولم نثبت هذا الفهرست مع متن الرحلة لأنه مستقل عنها. وقد ألفه أبو سالم بعد رجوعه من الرحلة الثالثة.

- رقم 406 ق - بالخزانة العامة بالرباط، ميكروفيلم رقم 493، وكانت هذه النسخة بمكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت كما يفهم من الخاتم المطبوع عليها، وكما هو مثبت في النهاية أنها كتبت لأبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي. وهي مجلد واحد كبير الحجم (28 على 26 سم) عدد صفحاته 720 لوحة بمعدل 28 سطرا في اللوحة. مكتوبة

بخط مغربي جميل بخط أسود مزخرف وملون العناوين، والذي يفهم من نهاية اللوحة [انتهى السفر الأول من رحلة الفاضل أبو سالم...] أنها كانت في الأصل الذي نقلت منه هذه النسخة - أي النسخة الحمزية - في جزئين جُمعا فيما بعد في واحد، رغم عدم تصريح أبي سالم بنهاية جزء وبداية آخر في النسخة الأم.

وبهذه النسخة هوامش وحواش وطرر عبارة عن تصحيحات لما ورد في النسخة الأصلية أحيانا من أخطاء ناتجة عن السهو وانتقال القلم، وهي بخط حمزة بن أبي سالم الذي قابلها بالأصل، إلا أن هذه الهوامش والطرر في معظمها غير مقروءة لأنها مكتوبة بخط باهت.

وفي اللوحة 721 قصيدة لبعض الفضلاء في مدح الرحلة، وعدد أبياتها عشرون بيتا سأثبتها في آخر الرحلة.

وفي لوحة 722 منه رسوم ودوائر مختلفة الأشكال وفوقها كلمات وألغاز بالأسود والأحمر، بعدها تعليق ونص رسالة كتبها عمر بن عبد الكريم بن محمد العياشي لعثمان بن علي: (الحمد لله وحده، ما رُسم فوقه من اللغز والدوائر الخطية من صنع عمي أبي سالم لله دره من إمام وعالم، وكتبت معها ما نصه هذا... انتهى والحمد لله رب العالمين بيد العبد الفقير لله تعالى عمر بن عبد الكريم بن محمد العياشي...).

وقد رمزت لهذه النسخة بـ(خ ع)، واعتمدتها للمقابلة مع النسخة الأصل، لأنها أقرب نسخة إلى زمن أبي سالم، نسخها أحمد بن عبد الرحمان العياشي (سنة 1102 هـ) أي بعد وفاة أبي سالم بـ(12) سنة، وقام بمقابلتها مع الأصل ابن الرحالة حمزة سنة 1103 هـ. يقول أحمد بن عبد الرحمان العياشي: (كمل تمام هذه الرحلة المباركة ضحى يوم الجمعة أوائل رجب الفرد من سنة اثنين ومائة وألف على يد أحوج عباد الله أحمد بن عبد الرحمان العياشي المستوطن تادغوصت، متوسلا إلى الله تبارك وتعالى بجاه مؤلف هذه الرحلة وأشياخه وأجداده وبركة ما احتوت عليه من الصالحين الأطهار والعلماء الأخيار والأولياء الأبرار ومولانا محمدع المختار وسائر الأنبياء وتلك الأماكن والأقطار أن يبلغنا جميع الأوطار في هذه الدار وتلك الدار، بمشاهدة تلك الأقطار، وزيارة تلك البقاع الأطهار، وأن يختم آجالنا بحسن الختام بالموت على الإيمان والإسلام والعفو والعافية على الدوام لنا ولأشياخنا ولأحبائنا ولأقاربنا،

ولمن قال آمين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتبناه لمولانا العلامة والبحر الفهامة القدوة المحقق والعارف المتقن المدقق بأذل الجهد في اتباع السنة ومستغرق الوقت في شهود المنة، ذي الجنان المرعي شيخنا وسندنا أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر الدرعي أطال الله لنا بقاءه وأناله في الدارين منيته ومرامه، ورقنا رضاه. آمين آمين يا رب العالمين).

وفي هامش لوحة 720 أي الأخيرة، كتب بخط مغاير: (بلغت المقابلة جهد الاستطاعة من أصل بخط المؤلف جدد الله عليه رضوانه وغفرانه يوم الأحد الثالث عشر من شهر الله صفر عام ثلاثة ومائة وألف بيد أفقر الخلق لربه حمزة بن عبد الله العياشي).

والملاحظ أن حمزة بن أبي سالم قام بمقابلة الفهرست "الإتحاف" - الذي وجده في هذه النسخة - مع الذي هو ملحق بالنسخة الأصلية، مما يعني أن هذا الفهرس كان منذ ذلك العهد ملصق مع متن الرحلة، والنسخة الأصلية للفهرست هي الموجودة بالخزانة الحمزية.

يقول حمزة ابن أبي سالم بعد انتهائه من مقابلة الفهرست: بلغت المقابلة جهد الاستطاعة من أصل صحيح بخط المؤلف نفع الله به عصر يوم الأحد الرابع من ربيع النبوي عام ثلاثة ومائة وألف على يد الفقير لربه حمزة ابن عبد الله، نفعا الله به آمين).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

د. خالد سقاط

القسم الثاني

تحقيق إقامته بمكة

د. خالد سقاط

لوحة 391/ ذكر الخروج من المدينة المشرفة إلى مكة المعظمة زادها الله تعظيما وتشريفا

ولما استهل شهر شعبان المكرم أخذت القوافل في الخروج من المدينة إلى مكة، ورجع من جاء من أهل مكة والطائف واليمن لشهود موسم الرجبية¹ بالمدينة. فخرجت قافلة عظيمة ثاني يوم من شعبان، خرج فيها كثير من أهل مكة، وخرج فيها شيخنا سيدي أبو مهدي عيسى الثعالبي. وكانت نيتنا في المجاورة من أول الأمر أن نقيم بالمدينة إلى قرب رمضان ونشاهد رمضان بمكة. فقوي عزمنا على الخروج من المدينة وأخذنا في أهبة السفر بقدر ما نرى إدراك أول رمضان بمكة اغتناما لبركة مضاعفة الأعمال في الحرم المكين، خصوصا شهر الصيام، ولما ورد أن (عمرة في رمضان تعدل حجة معه عليه السلام)²، ولما ورد أيضا أن (شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان)³.

ولأمني جماعة من الأصحاب المجاورين المدنيين على الخروج، وقالوا: إن مذهب مالك أن المقام بالمدينة أفضل. ولم ألتفت إلى شيء من ذلك، وصمدت إلى ما قوي عليه عزمي من السفر بعد الاستخارة، رائيا أن لكل من البلدين المشرفين حقا وحرمة ومكانة عند الله. وفي كل من أنواع العبادات ما لا يوجد في الآخر، لما اشتملت عليه مكة من مشاهدة البيت والطواف به وأداء المناسك من حج وعمرة وغير ذلك من القربات. مع أن الصحيح عند كثير من الأئمة حتى من أهل المذهب أن الأعمال تُضاعف بحرم مكة زيادة على حرم المدينة. ولا ينافي ذلك أفضلية المدينة عند القائلين به لاختصاصها بمزايا آخر، ولما تقرر أنه

¹ - ليلة السابع والعشرين من شهر رجب. وهي من الترجيب أي التعظيم، ومن ترجيب العتيرة وهو ذبحها في رجب، وفي الحديث: هل تدرون ما العتيرة؟ هي التي يسمونها الرجبية، كانوا يدبحون في شهر رجب ذبيحة وينسبون لها إليه، والترجيب ذبح النسائك في رجب، فيقال: هذه أيام ترجيب وتعتار. لسان العرب مادة رجب. وفي حديث مخيف بن سليم قال: كنا وقفا مع النبي ع بعرفات فسمعتة يقول: يا أيها الناس، على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعتيرة، هل تدرون ما العتيرة، هي التي يسمونها الرجبية (شاة تذبح في رجب). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. سنن الترمذي - كتاب الأضاحي، حديث 1438.

² - البخاري - كتاب الحج، حديث 1657. مسلم - كتاب الحج، حديث 2202. الترمذي - كتاب المناسك، حديث 861. ابن ماجة - كتاب المناسك، حديث 2985.

³ - لا يوجد هذا الحديث في كتب الصحاح والمساند، وفي حديث آخر (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر). سنن الترمذي - كتاب القدر، حديث 2065.

قد توجد في المفضلول مزايا ليست للفاضل. فعلى هذا ينبغي للمجاور أن يجعل لكلا البلدين حصة من إقامته، ليغتنم بركتها ويفوز بتواب العمل الصالح فيهما. فإن القائل بأفضلية أحدهما لا ينفي فضيلة الآخر إجماعاً بين الأئمة؛ فعلى هذا فالمؤثر للإقامة بأحدهما تاركاً حظه من الآخر لكونه مفضولاً غير مصيب في الرأي وفي فضل البلدين معاً. والإشارة إلى المسجد الأقصى الذي هو ثالثهما في الفضل قلت مضمناً لبيت معروف: (الطويل)

أيا خير خلق الله شرفت مكة	وطيبة لما صرت طرز حلاهما
حلت بهذا حلة ثم حلة	بهذا فطاب الواديان كلاهما
لمكة فضل البدء والختم فضله	لطيبة فالتم يا محب ثراهما
وجاور بهاذي مدة ثم مدة	بهاذي ولا تطلب مكانا سواهما
ولا تعدلن بالمسجدين وإن يكن	ولابد أن القدس كان أخاهما
فما غيرها تُحْدَى الركاب إليه أو	يساهمها عند الفخار تساهما

ولما انتصف شهر شعبان تأهبنا للسفر، واكثرينا جملين بثلاثة عشر قرشاً، واتخذنا لركوبنا شَفْدَقاً وهبه لنا شيخ الأغواث أغا سيلم، لَمَّا بلغه أنني أريد شراء شقدف لركوبنا، لأننا فضلة مرض. وهو محمل كبير ما رأيته إلا في أرض الحجاز، ذو شقين، توضع كل واحدة على جنب البعير، ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهره. ولا بد للراكب فيه من معادل له في الجهة الأخرى مقارباً له في الرزانة. ثم يوصل بين الشقين من أعلى بحبال، يظل عليها بغطاء يقي الحر والبرد. وهو من أشهى المراكب وأنهاها، سيما لمن له فرش وتيرة ووسائد يتكى عليها من الجانبين؛ فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، فقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل إلى آخره ولا يستيقظ إلا باناخة الجمل عند النزول، وقد لا يستيقظ.

وتهيأ خروجنا من المدينة المشرفة ضحى يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان. فاغتسلت من المدينة ولبست ثوبِي إحرامي، وكان قصدي

اغتنام الإحرام من ميقات النبي ع بذي الحليفة¹. وجعلت آخر عهدي بالمدينة المثل بين يدي النبي ع /لو392/ والسلام عليه ثم صلاة ركعتين فيما بين القبر والمنبر. وخرجت وودعت غالب الأصحاب. وشيعني جماعة منهم إلى الحرة الغربية² خارج المدينة. وودعت شيخنا الملا إبراهيم في منزله. وزاد معي جماعة من الأصحاب إلى ذي الحليفة، وقطعت تلك المسافة راجلاً. فوجدنا القافلة قد نزلت بذي الحليفة³. ونزلنا هنالك إلى قرب العصر، فارتحلنا وودعنا الأصحاب الراجعين إلى المدينة. وعادت الاغتسال لطول ما بين خروجنا من المدينة وارتحالنا من ذي الحليفة. وركعت ركعتي الإحرام ولَبَّيْتُ بالعمرة. وهالني الركوب في الشدق لأنني ما عاهدته قبل، وعادلني في الجانب الآخر أخي سيدي عبد الرحمان. ولم أستأنس ركوبه إلا بعد مدة، وكان يخيل لي إذ صرت في جنب البعير أن الجانب الذي أنا فيه قد مال للسقوط. وكذلك كان يخيل لصاحبي حتى تمرنا به؛ فكنا ننام فيه ما شئنا ونمد أرجلنا ونضطجع كيف شئنا.

وسرنا غالب تلك الليلة منفردين عن القافلة؛ لم نلحق من قبلنا ولا لحقنا من بعدنا. وكان المحل محل خوف، لأن تلك المسافة يطررها لصوص عنزة⁴، وهي في درك بني سالم⁵، ومنازلهم بعيدة منها. وصاحبنا المكاربي من بني سالم، فطار قلبه خوفاً من عنزة. ولم نزل نسير رويدا طول الليل. وكان الفصل فصل الربيع قد بقيت بالليل بقية برد، وأما النهار ففي غاية الاعتدال. إلى أن وجدنا أول القافلة منيخين ببطحاء الفريش، فملنا عن الطريق قليلاً، وأنخنا تحت سمرة⁶، وقد لحقنا

¹ - تبعد عن المدينة مسافة ستة أميال أو سبعة، فيها مسجد، وتعرف المنطقة ببئر علي. سبق.
² - هي حرة بني بياضة وما اتصل بها، أما حرة المدينة الشرقية، فهي حرة واقم نسبة إلى رجل من العمالقة نزل بها. وحرة المدينة جهاتها التي لا عمارة فيها. مشارق الأنوار (ج2 ص119).

³ - انظر مواقع المنازل والمياه والآبار التي سيمر بها أبو سالم في طريقه إلى مكة في مواضعها قبل. عند خروجه من مكة إلى مدينة قصد المجاورة.

⁴ - عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد، وتمتد منازلها من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالحمدة فبادية الشام. معجم قبائل العرب (ج2 ص846).

⁵ - بطن من تقيف بالطائف، وفيه من الأفخاذ: العياشة والعصبى والمنجف. معجم قبائل العرب (ج2 ص496).

⁶ - السمرة من شجر الطلح، والجمع سمر وسمرات، وقيل من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس، وليس في العضاه شيء أجود خشباً من السمر. لسان العرب - مادة سمر.

من العياء ما لا يزيد عليه، وأثر فينا السهر؛ لأننا لم نعتد المشي في الليل كما هو شأن أهل تلك البلاد، فإن غالب سيرهم بالليل، ولا يُحْمَلُونَ الإبل من السير إلا ما سمحت به أنفسهم عن اختيارها، فيتركونها تمشي على مهل بلا سائق. وذلك الذي أعانهم على قطع تلك المسافات بضامر إيلهم، مع هزالها وضعفها. وفي ذلك راحة للمسافر الراجل والراكب. وأعانهم على ذلك أيضا ما بسط الله في تلك البلاد من العافية الوافية؛ فلا ترى لصا ولا سارقا في ليل ولا نهار إلا فيما قرب من المدينة كما تقدم. وإنما تشتعل نار الحراية والسرقة في تلك البلاد أيام الموسم فقط، لا اختلاط الناس واجتماع الأوباش من كل أوب.

وقد عاينا من الطمأنينة في الطريق والعافية والسكون في مسيرنا هذا ما قضينا منه العجب، لأننا ما كنا نسلك هذه البلاد إلا في أيام الموسم، ونعائين ما يقع بها من النهب والسرقة والروعات المتوالية، فظننا أنها كذلك دائما. واسترحنا في مناخنا ذلك بقية ليلنا وعامة نهاره إلى أن زالت الشمس وهبت الرياح قريبا من العصر. فارتحلنا وسرنا ليلنا أجمع أيضا على نحو السير المتقدم، ومررنا بشرف الروحاء¹ قرب العشاء، ومررنا ببئر الروحاء وسط الليل، ووجدنا بركته مملوءة ماء، لكثرة الأمطار في تلك السنة. وأنخنا سَحْرًا قرب مسجد الغزالة² مقابلة منقطع العرق في الوادي. فلما أصبحنا عطشنا ودلنا المكاري على ماء هناك في شق الجبل الأيمن، وما كنا نعرفه قبل ذلك.

ثم ارتحلنا من هنالك قرب العصر، وقطعنا النازية³ والشمس حية، ودخلنا في مضيق الخيف، ومررنا بقرية الجديدة ليلا، ولم ننزل بها. وسرنا ليلنا أجمع، وما نزلنا الصفراء⁴ حتى طلعت الشمس. وأقمنا بها يومنا في أرغد عيش. وتسوقنا أهل تلك القرى بالمحتاج من لحم وإدام ودلاع وغير ذلك. ثم ارتحلنا منها عشية ونزلنا بدرا وسط الليل، وأنخنا قريبا من البركة التي في منزل الحاج.

1- الروحاء موضع على أربعين ميلا من المدينة تقريبا، وبها مسجد شرف الروحاء وهو على يمين الطريق إذا ذهب إلى مكة. وفاء الوفا (ج3 ص1008).

2- هو الذي كان معروفا بمسجد المنصرف وهو آخر وادي الروحاء مع طرف الجبل، على يسار الذهاب إلى مكة. وفاء الوفا (ج3 ص1010).

3- موضع واسع به عضاء ومرخ بين المستعجلة وهو مضيق الصفراء وهو بين مسجد الغزالة، وبه عين. وفاء الوفا (ج4 ص1317).

4- على بعد ثلاثة أيام من المدينة، وهي قرى كثيرة متصلة، وبها عيون كثيرة وحدائق.

لطيفة: لما عرفنا أن المرحلة في تلك الليلة قريبة، وكنت في وقت العشاء راكبا، وشق علي النزول، أخرت الصلاة إلى وقت النزول لاتساع الوقت. ولما نزلنا وكانت الظلمة ومحل الماء هنا غلوة¹، لو393/ فتيمنت وصليت العشاء. وسولت لي نفسي جواز ذلك وترخصت. فتمت في أحد شقي الشقدف وهو على الأرض. فغلبتني عياني، ولم أر نومة أحلى منها. فلما كان آخر السحر ولم يبق إلا مقدار ما أتظهر فيه وأصلي العشاء ثم يطلع الفجر وَقَعَتِ الجهة التي أنا فيها من الشقدف إلى الأرض وقعة منكرة. فاستيقظت فزعًا مرعوبا، وما كنت أشك أن إنسانا تحامل عليها فألقاها بقوة. فنظرت يمينا وشمالا فلم أر أحدا، وإذا بالفجر قد قارب الطلوع. فوقع في قلبي أن صلاتي بالتيمم لا تصح لقرب الماء مني، ولا ضرورة تمنع منه. فذهبت وتوضأت وصليت وأدركت بقية وقت الضرورة. فعلمت أن الله قد لطف بي، وأن سقوط شق المحمل إنما كان تنبيهها من الله لئلا يفوتني الوقت، فحمدت الله كثيرا.

وأقمنا يومنا هناك، وزرت مسجد الغمامة، ورأيت فيه خط أخي سيدي عبد الكريم، فأذكرني مسقط رأسي وبلادي.

ثم ارتحلنا بعد الزوال من بدر، ونزلنا دور الخبث قرب السبيل الأول الذي بالبزوة في وسط الليل، ووجدنا البزوة مخصبة كأنها بستان. ثم ارتحلنا منه غداء قرب الزوال أيضا، ونزلنا قرية مسيطرة قرب الصباح، ووجدنا البطيخ بها أرخص ما يكون حتى اشترينا خمسة بمُلْحَق².

ثم ارتحلنا منها وصليت المغرب في ثنية هرشا، ونزلنا رابع آخر الليل. ووجدنا السيول قد اجتاحت أكثر منازل أهله وذهبت بمزارعهم، وهدت الجانب الذي فيه المنارة من مسجدهم، وأفسد الطريق وتعينا في قطع الوادي. ثم ارتحلنا منه وغوى أهل الرفقة عن الطريق وهديا³ من الليل في الرمال التي بينه وبين قديد. ونزلنا آخر الليل عند السبيل الذي هناك، ووجدنا به قهوة وقوما يبيعون العلف والحب.

1- الغلوة قدر رمية بسهم، لسان العرب - مادة غلا.

2- كذا في النسختين [بملحق] ولعله كما في اللسان: ما كان كيله دون الملاء.

3- كذا في النسختين.

ثم ارتحلنا منه ومررنا بقديد ونزلنا خليصا في أعلى الوادي قريبا من العين آخر الليل. ثم ارتحلنا ومررنا بعسفان وسط الليل. وعندما مررنا بالثنية التي نهبط منه على عسفان تنسمنا نسима طيبا وعرقا ذكيا استنشقه كل من معنا من راكب وراجل، وقلنا لمن معنا من العرب ما هذا الشذى؟ فقال: عرف الخزامى؛ فإن منبتّها في هذا المحل كثير. فسألت أحدا منهم وناولني ضغثا منها، فإذا هو نبت له زهر ذو عرف ذكي من أذكي مشموم شممناه في تلك البلاد. ونزلنا آخر الليل بمحل يسمى برقة دون السبيل الذي هناك، فيه رمال ذات أشجار. بين تلك الرمال تلاح تمر منها السيول، فيها مزارع ومقاتي كثيرة تجلب منها إلى مكة وإلى جدة ومر الظهران. وسوّقنا العرب هناك بالحبب الكثير الحلو الفاخر.

وعند قرية عسفان فارقنا من أراد الذهاب إلى جدة، فعدلوا يمينا ودخلوا في إحدى تلك الشعاب التي على يمين القرية. ثم ارتحلنا من هناك ونزلنا مر الظهران آخر الليل، ثم ارتحلنا منه بعدما زالت الشمس. ودخلنا مكة المشرفة بعدما ذهب ثلث الليل. وكنا حرصنا على دخولها نهرا، فأبى من معنا من العرب، لأنهم كانوا يخافون من أخذ الأمير إبلم يحملها إلى المدينة، فإننا وجدنا ولده في طائفة من العسكر بذي طوى وقد أخرج مضاربه وخيامه إلى هناك برسم السفر إلى ناحية المدينة، فأخر العرب بنا حتى دخلنا ليلا بعدما نام أكثر الناس ليلة الأحد التاسع والعشرين من شعبان. /لو394/ وأنخا في سوق باب إبراهيم بالفسحة التي أمام رباط الموفق الذي هو معد للمغاربة، وطرحنا أمتعتنا هناك. وذهب العرب بإبلم من ساعتهم. ودخلت المسجد وطففت بالبيت وسعيت بين المروتين. ثم حملنا أمتعتنا إلى دار نزلنا بها وراء سوق الشامي من ناحية الباب الذي يلي دار الندوة. فلما أصبحنا ذهبنا إلى المسجد وصلينا الصبح وطفنا بالبيت. ولقيت شيخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي حول البيت وسلمت عليه.

لطيفة: لما نزلنا من المعلاة وجدنا السيل قد أفسد الطرق في الحجون¹ وفي أعلى¹ مكة؛ وذلك أنه جاء سيل عظيم أظن أنهم أخبرونا

1- في الأصل الجبل المشرف على ما يعرف اليوم بريع الحجون، وكان يسمى كداء، وتقع مقبرة أهل مكة القديمة بسفح جبل الحجون مما يلي الأبطح والعامّة تقول: الحجون. معجم معالم الحجاز (ج2 ص236).

أن ذلك يوم الثلاثاء العاشر من شعبان أو يوم الأحد الثامن، لا أدري أيهما، فخرّب غالب أسواق مكة وهدد دورا كثيرة وأتلف أموالا عظيمة، ومات فيه الناس، وهدم دار بعض أرباب الدولة، وذهب منها بنقد كثير على ما قالوا. ودخل المسجد الحرام، وكان أكثر دخوله من باب الصفا والأبواب الموائية له التي تلي دار الإمارة. وذلك أن السيل المنحدر من أعلى مكة لما قابل دار الإمارة لقيه سيل آخر مثله في العظمة نازل من الوادي الذي وراء جبل الحزورة، وخرج قريبا من دار الإمارة، فالتقى السيلان هنالك وتصادما وحصر كل منهما الآخر. فانكفأ الماء راجعا وقد غفل الناس عن إغلاق الأبواب، فدخل المسجد حتى امتلأ المسجد كله، وارتفع الماء فيه إلى أن ذهب بقناديل المطاف كلها وما في المسجد من دواريق وبسط، وارتفع على قبة المقام وعلى سطح زمزم الأدنى، وارتفع في البيت سبعة عشر شبرا على ما قال لي من شبر ذلك، وبلغ حلق الباب، وملأ كل بيت وخزانة في المسجد. وكان ذلك كله على ما زعموا في مقدار ساعة زمانية أو أقل.

أخبرني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي، وهو عندي ثقة، أنه كان في المقام بعد صلاة الظهر وأخذ المصحف يقرأ، فقرأ عشرة أحزاب بعد صلاة الظهر، فتكلم الرعد وأرخت السماء عزاليها² وانهمر المطر كأفواه القرب، فما جاء وقت العصر حتى امتلأ المسجد ماء. وأقلع المطر، ولم يقدر أحد على الوصول إلى البيت بقية ذلك اليوم والليل كله وفي الغد إلى الضحى. ولم يهتد أحد من الناس لموضع البلايع التي في المسجد المعدة لخروج الماء حتى جاء السلطان زيد بنفسه، ودلهم على أماكنها. فغاص الناس إلى محالها حتى فتحوها، وخار الماء ونقص، وطاف بعض الناس بالبيت عوما ممن يحسن السباحة. وكان ذلك الماء أمرا مهولا، لم يعهد الناس مثله منذ أزمان.

وقد أخبر من شاهد السيل الذي سجدت لله فيه الكعبة ووقع معظمها سنة تسع وثلاثين وألف، بأنه لم يبلغ ما بلغ هذا السيل، ولكن الله سلم فيه البيت لوثاقة البنيان وكونه قريب العهد، إلا أنه زلزل الرخام الذي فرشت به من داخل، وحركه حركة باينت بعضه من بعض. فلما غاض

¹- في النسختين [أعلا].

²- الغزلاء مصب الماء والجمع الغزالي، وأرسلت عزاليها مثل لكثرة الأمطار. لسان العرب- مادة عزل.

الماء بقي المسجد كله ممتلئاً تراباً وطينا، ولم يمكن الناس الصلاة فيه ولا الطواف إلا بمشقة. وأمر السلطان بإغلاق الحوانيت، واجتمع أهل مكة كلهم، واجتهدوا في إخراج ما أمكن من التراب والأحجار والطين، وعمل فيه الناس كافة حتى السلطان بنفسه وأولاده وأقاربه. وعندما يبست الأرض بعض اليبس أمر السلطان بحرثها بالبقر ليتمكن الناس من رفعها؛ فحرثوا فيها على ما قيل بثمانين من البقر، وعمل كافة الناس في ذلك أربعة أيام من غير أجر، إلا على الله احتساباً. ثم بعد ذلك قدم نائب جدة أغا سليمان، فعينوا لذلك من يقوم به، وأخرجوا لذلك مالا جسيما.

/لو395/ وكان لطف الله المقارن لقدره أن بعث السلطان الخاقان الأعظم في هذه السنة مائة ألف ديناراً ذهباً على ما قالوا لتجديد ما يحتاج إلى التجديد في معالم الحرمين، وكان المقدم لذلك نائب جدة. فصرفت جملة من ذلك المال في تنظيف المسجد والمسعى وما احتيج إلى التنظيف من مسارب الماء التي ملأها السيل. وكان يخدم في المسجد كل يوم ما يقرب من مائة وخمسين رجلاً بالكراء. وأدركنا المسجد لم ينظف منه إلا المطاف وأماكن قليلة حوله. فأخرجوا التراب حتى خلصوا إلى الحصباء التي فرش بها المسجد، فوجدوها قد اختلطت بالحماة ورسبت فيها، وصارت كالأرض الصلبة التي لم تحفر قط، فأخذوا يحفرونها.

وكان من لطيف احتيالهم المغني عن تكلف نقل حصباء أخرى من خارج البلدان اتخذوا غرابيل عديدة من حلفاء أو غيرها من نبات الأرض واسعة العيون. فكان الذين يخدمون ثلاثة طوائف؛ طائفة تحفر وأخرى تغربل ما حفرت تلك، والثالثة تلقي التراب المنخول خارج الأبواب، ويتركون الحصباء مكانها. فصاروا لا يمرون بموضع إلا بلغ النهاية في النظافة، كأنه لم يمر به أذى ولا تعلق به قذى. وينتقلون من مكان إلى مكان في المسجد حتى نظف كله وحُصِبَ كما كان أولاً من غير نقل حصباء من خارج ولا إخراج شيء من حصبائه. ودام العمل إلى انتهاء رمضان وأكثر شوال. وفعلوا مثل ذلك بما بين المروتين، وأزيل ما فيها من الأحجار. وكان الناس قبل تنقيته يلقون منه أذى سيما من كان يسعى بالليل. واجتمعت من التراب المخرج من المسجد تلول

وآكام عظيمة على أبوابه بقيت كذلك حتى أدركها الحاج، وشاهدوا آثار قدرة الله وآثار همم الملوك المعتنين بتعظيم شعائر الله.

وعندما فرغوا من تنظيف المسجد والمسعى أخذوا في تجديد الصباغات الرائقة والنقوش الرفيعة التي محا السيل أثرها من المقام وقبة زمزم وقياب مقامات الأئمة وغير ذلك على أرفع مما كان. وزيدت فيه أشياء عجيبة، وصبغت أعمدة الحديد الدائرة بالمطاف كلها بصبغ أحمر قاني مصلوقة، ووضع على كل عمود هلال مذهب أبلغ تذهيب، وزيد في مصابيح المسجد والمسعى ثلاثمائة مصباح، وكانت قبل ذلك ستمائة وصارت تسعمائة. وكان بين كل عمودين من أعمدة المطاف، وهي نحو الثلاثين، سبعة مصابيح من زجاج صاف واسع. فإذا أوقدت ليليل وأزهر نورها ولاقى إشراقها حمرة الأعمدة وبريق الأهلة المذهبة وبياض رخام المطاف وسواد برقع البيت كان لذلك منظر رائع وجمال فائق، مع المهابة الربانية والجلالة الإلاهية التي كسبها ذلك المحل على الدوام، وجللها على مرور الأيام.

هذا بعض ما يشاهده أهل الأبصار الحسية، فما بالك بما يكشف الله عنه لبصائر العارفين عند طوافهم ببيته، وتقيلهم لحجر¹ الركن الذي هو يمين الله في الأرض، مما وقعت الإشارة إليه بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (كنا نترأى الله في ذلك المكان)، وبما جاء في الأثر من قوله عليه السلام (فيما بين زمزم والمقام هنا تسكب العبرات)².

لـ/396/ ومما أتلفه هذا السيل خزانة من الكتب لشيخنا سيدي أبي مهدي عيسى الثعالبي، وكانت بالمسجد على وجه الأرض، ولها باب مفتوح إلى المسجد فيما بين باب حزورة وباب إبراهيم. وكان يجلس فيها أحياناً. وهي مأواه قبل أن يتأهل. فلما سافر إلى المدينة ترك فيها بعض كتبه. وكانت مفاتيحها بيد رجل من أهل إفريقية من أصحابه كان يأوي إليها. فطرق حادث السيل، وغفل عن تحية الكتب ظناً منه كغيره أن

¹- قال رسول الله ع (الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن، فسودته خطايا بني آدم)، مسند الترمذي - كتاب الحج، حديث 803. وقال كذلك (إن استلام الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا). مسند أحمد - حديث 4230.

²- (عن ابن عمر قال: استقبل رسول الله ع الحجر ثم وضع شفتيه عليه بيكي طويلاً ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب بيكي، فقال: يا عمر هاهنا تسكب العبرات). سنن ابن ماجه - المناسك، حديث 2936.

الأمر لا يبلغ إلى ما بلغ، حتى أتى الماء عليها كلها، ولم يسلم منها شيء. وكانت نحو الثمانين سفراً فيها من نفائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها، ما كثر أسفه عليها بعد ذلك، فأمر بها؛ فحفرت لها حفرة في الأرض ودفنت فيها. كان منها أجزاء من "المدونة الكبرى"¹ التي هي أم الدواوين الفقهية، ولم يسلم منها شيء. وكثر أسفي على عدم رؤيتها لغرابتها، ولكون أكابر الفقهاء من قبل هذه القرون لم يظفروا منها بشيء. وأظن أنه أخبرني أنه وجد الأجزاء المذكورة في خزانة رباط الموفق، وأنها كانت بيد الإمام الحطّاب². ومنها "عيون الأدلة" لابن القصار³. وكان يثني عليه كثيراً في بسط أدلة المذهب والانتصار له والرد على المخالفين مع التحقيق التام، إلى غير ذلك من الكتب. ومنها ما هو ملكه ومنها ما هو من كتب الوقف.

ولقد أعقب هذا السيل بمكة ونواحيها خصبا كثيراً، ورخصت الأسعار، وغزرت المياه، وعذبت فوق العادة، حتى زمزم قد زال ما فيها من الطعم وغزر ماؤها، وارتفع حتى كان يُتناول باليد. وانكسرت صولة الحر في هذه السنة بمكة وبشعابها وبالمسجد وأفنيته لنداوة الأرض.

ولقد أنعم الله علينا ببيت تحت مسكن شيخنا أبي مهدي، بابه إلى المسجد، كنا نأوي إليه، ووجدنا أثر الماء قد كاد يبلغ منه إلى السقف، وبقيت أرضه وجدرانه ندية. فكنا إذا اشتد وهج الحر ودخلناه وأغلقنا بابه علينا لا نحس بشيء من وهج الحر، ويغشانا فيه نسيم بارد، وكنا نحمد الله على ذلك كثيراً. وكان انتقالنا إلى هذا البيت من المسكن الذي سكنا فيه أولاً لبعده من المسجد، فشق علينا التردد منه إلى المسجد مع شدة الحر، فأعطانا الشيخ أبو مهدي البيت الذي فيه كتب الوقف برباط الموفق، وجعلنا فيه أمتعتنا، وأخذنا بيتاً آخر بإزائه للطبخ، وبالنهار نأوي إلى هذا البيت الذي بالمسجد حتى قربت أيام الموسم ورجع صاحب هذا البيت إليه. وأعطانا صاحبنا الشيخ محمد الغدامسي بيتاً له

1- المدونة في فروع المالكية لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي (ت 191هـ).
2- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني، أبو عبد الله المعروف بالحطّاب، فقيه مالكي، متصوف (ت 954هـ). له (قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين) و(تحرير الكلام في مسائل الالتزام). نيل الابتهاج (ص 588). الاعلام (ج 7 ص 58).
3- "عيون الأدلة وإيضاح الملة" في الخلافيات لأبي الحسن علي بن أحمد البغدادي ابن القصار. كشف الظنون (ج 4 ص 133).

حول باب الصفا، وجدناه ماء ولا كصداء¹ ومرعى ولا كالسعدان². وأقمنا فيه إلى أن خرجنا من مكة قافلين.

وهذه أماكن استيطاننا بمكة مدة إقامتنا بها، بعدما رمنا أماكن آخر، فلم يوافقنا منها بيت صاحبنا الشيخ عبد الرحمان أخي الملا إبراهيم، وكان برباط السلطان قايت باي المشرف على الصفا. وهو رباط مليح واسع فيه بيوت كثيرة جيدة جامعة لمرافق السكنى، في كل بيت منه خابية للماء، ومكان للخلاء والوضوء، وكان بيت صاحبنا في أعلاه. وطلب منا السكنى معه ورغب في ذلك، إلا أننا آثرنا الانفراد وكرهنا التضييق عليه، إذ ليس له منزل سواه. فجزاه الله خيرا وأجزل له أجرا.

ومنها بيت لبعض أقارب خليلنا حسن العجيمي، كان كتب إليه من المدينة، فمكننا من مفتاحه،/لو397/ وكان من ناحية باب علي الموالي للمسعى. ولم يوافقنا أيضا لقربه من المحكمة التي يجلس فيها القاضي للحكومة، وليس بينهما إلا شباك، فشق ذلك علي وخرجنا منه.

ذكر شهود رمضان بمكة المعظمة زادها الله تشريفا وتعظيما أمين

ولما دخل شهر رمضان أخذ الناس بالجد وشمروا عن ساق الاجتهاد في العبادة. ونصبت الأسواق طول الليل كما هو شأن أهل المشرق في ليالي رمضان؛ فلا تكاد ترى بالمسجد ليلا إلا طائفا أو تاليا أو مصليا. وأخذ الناس من أهل مكة والمجاورين في الاعتمار سيما ليلة الجمعة، فلا تكاد الطريق تنقطع طول الليل من التنعيم إلى مكة، ركبانا ومشاة، رجالا ونساء، وصبياننا وعبيدا وإماء. وكنت ممن أخذ بحظ من ذلك والمنة لله؛ فكنت أعتمر كل ليلة اثنين وجمعة إلى انتصاف الشهر، فكنت أعتمر كل ليلة إلى ليلة أحد وعشرين، فدخلت في الاعتكاف إلى آخر الشهر والمنة لله وحده، وهذا من التحدث بالنعيم. نسأل الله أن يخلص الأعمال بمناه. وجعلت منها عمرا للوالدين والإخوان والأصحاب

¹ - ماء ولا كصداء مجمع الأمثال (ج2 ص327). قال المفضل: صدأ: ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها.

² - السعدان: شوك النخل، ونبت ذو شوك، وهو من أطيب مراعي الإبل، وواحدة سعدانة، والإبل تسمن على السعدان وتطيب عليها ألبانها، وهي غبراء اللون، وأرضها من أنجح المراعي، لذلك قيل في المثل: مرعى ولا كالسعدان. لسان العرب - مادة سعد. مجمع الأمثال (ج2 ص325). ويضرب مثلا للشئ يفضل على أقرانه وأشكاله.

والمشايع نفعا الله وإياهم بذلك. ولم أحتفل بما هو مشهور المذهب من كراهة تكرار العمرة في السنة الواحدة¹، بل بذلت جهدي في ذلك إقتداء بمذهب المخالف²، وبمن قال ذلك: إنما يكره للمقيم، وأما المسافر فليستكثر من الخير ما استطاع.

وقد قال بعض أهل السلوك من الأئمة المالكية: ينبغي لسالك طريق الآخرة أن يقتدي بمذهب الشافعي في أشياء ذكر منها هذه، وصحة الاعتكاف بلا صوم ولو في الحصة من يوم أو ليل. لأنه ولو لم يكن لازما في مذهبنا فلا يدفع كونه قربة، لأنه مكث في المسجد بقصد التقرب إلى الله مع التلبس بما تيسر من ذكر وتلاوة وصلاة، وهذا لا ينفي أحد كونه قربة ولو لم يقل بلزومه. وذكر منها أيضا ألا يُمتنع من الطواف بالبيت وركعتيه في أي وقت شاء من ليل أو نهار لقول النبي ع (لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أن يصلي في أي وقت شاء من ليل أو نهار)³؛ فقد رأى الشافعية ومن وافقهم تخصيص عموم النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة بهذا الحديث وشبهه من كل صلاة لها سبب، وأدلتهم في ذلك في غاية القوة.

على أنني كنت أخرج من هذا كثيرا، وإن طفت في وقت النهي أخرت الصلاة على أحد القولين في ذلك، لأنه كان يخيل لي أن ذلك إنما يُتَرَخَّصُ فيه من استغرق غالب أوقاته في الطواف وقصد الاستكثار منه قبل فواته. ولست بذلك المكان. وفي الأوقات سوى المنهى عنه غنية لضعيف القوى مثلي.

واجتهد أهل الثروة من أهل مكة، فكان لكل واحد منهم مصباح كبير بين يديه وخصفة⁴ يجلس فيها كل ليلة بالمسجد. ويأتي بنفر يقرؤون عنده من القرآن أجزاء على المناوبة، إلى أن تذهب حصة من

1- قال الإمام مالك: ولا أرى لأحد أن يعتمر في السنة مرارا. الموطأ - كتاب الحج - جامع ما جاء في العمرة، حديث 71 ص 297.

2- وجاء في الموطأ كذلك - كتاب الحج - باب العمرة في أشهر الحج، حديث 58 ص 293. (حدثني يحيى عن مالك أنه بلغه أن النبي ع اعتمر ثلاثا عام الحديبية و عام القضية و عام الجعرانة).

3- سنن الترمذي - كتاب الحج، حديث 795. سنن النسائي - المواقيت، حديث 581. سنن ابن ماجة - إقامة الصلاة، حديث 1244. سنن الدارمي - مناسك، حديث 1845.

4- الخَصَف هو سفاسف تُسَفُّ من سَعَف النخل فيسوى منها شَقَقٌ تُلَبَّسُ بيوت الأعراب. وفي الحديث أنه عكانت له خَصَفَةٌ يَخْجُرُهَا ويصلي فيها. لسان العرب - مادة خصف. وهي التي يقال لها عندنا: اللَّبْدَة من الدُّوم.

الليل؛ فإن كان قارئاً قرأ معهم وإلا استمع. ويسقيهم من الأشربة اللذيذة على قدر وسعهم ويطيّبهم. ويستعدون لذلك على قدر وسعهم؛ فترى صحن المسجد على سعته يزهر مصابيح، وعلى كل مصباح نفر يقرؤون.

فإذا كان ليلة الختم احتفل لها أكثر، حتى تكون ليلة العيد. فيعطي كل واحد منهم لمن يقرأ عنده كسوة ودراهم على قدر حاله ومروءته. فينتفع بذلك غاية ضعة المغاربة المجاورين ممن كان يستظهر القرآن، سيما من كان حسن الصوت منهم. ومن كانت فيه صرامة يقرأ في عدة أماكن، ويأخذ من كل مكان ما شورت عليه. /لو398/ وبولغ في تنظيف مقامات الأئمة الأربعة، وترتب في كل مقام إمام يصلي بصلاته جماعة كثيرة من أهل مذهبه، ولهم مَسْمَعٌ. وأعظمهم أبهة وأكثرهم جعجة وأصواتاً مرتفعة الحنفية؛ فيصلون بين كل تسلمتين بتحميدات وتهليلات وتسبيحات يرفع بها جماعة كثيرة من المؤذنين أصواتهم، فيرتج لذلك ما حولهم من المسجد. فإذا كانت ليلة ختم كل واحد من أئمة المقامات احتفل لذلك أتم احتفال، وزيد في مصابيح المقام وفرشه وطيبه، وأتي بشموع كبار هائلة، ورُفعت على حسك عظيمة رائقة. ويحضر الختم غالب من في المسجد من الناس، ويُخلع على الإمام بعد الفراغ من الصلاة خلعة من عند السلطان، ويُعطى فتوحاً زائداً على الخلعة، كل على قدر حاله. وأول من يختم الشافعي وهو إمام مقام إبراهيم عليه السلام، ويختتم ليلة إحدى وعشرين، والمالكي ليلة خمسة وعشرين والحنفي ليلة سبع وعشرين. وَجَدَ الناس في أنواع العبادات والطاعات؛ وقد رأيت من المجاورين من يعتمر كل ليلة خمس وعشرين. ويخرج غالب الناس للعمرة من اعتمر قبل ذلك ومن لم يعتمر.

واعتمر شيخنا أبو مهدي في تلك الليلة، وكان لا يعتمر قبل ذلك. وكنت إذا تعجبت من اجتهاد الناس ونشاطهم للعبادة يقول لي: إن هذا تأييد إلهي لسكان الحرم ببركة هذا الشهر. ويقول لي: إذا خرج هذا الشهر الكريم لا ترى في الناس حتى عشر نشاطهم. وكان الأمر كما قال؛ فما هو إلا أن جاء يوم العيد، خف المسجد من سكانه وعُماره وفُتّرت العزائم، حتى أنكرت نفسي في أنواع القربات من طواف وغيره، فما هي التي أعهد.

وفُتحت الكعبة مرتين في شهر رمضان أول جمعة وآخرها، وَمَنَّ الله بدخولها على أحسن حال في كلا المرتين. وصليت فيها ما شئت مع

سكون وتؤدة ووقار. وفتحت مرتين آخرين بعد ذلك، إحداهما الفتح المعتاد يوم كنس الكعبة في الثالث عشر من ذي القعدة، وتغسل فيه الكعبة وتطيب وترفع كسوتها إلى فوق حتى لا تنالها الأيدي. ويسميه العوام إحرام الكعبة¹. وفتحت قبل ذلك آخر شوال لإصلاح رخام أرض البيت الذي حركه السيل عند دخوله. ولم يدخل في هذا الفتح إلا أفراد من الناس، وكنت ممن دخل في هذا الفتح والذي بعده بفضل الله تعالى. وقد فتحت قبل ذلك في شعبان فتحا عاماً أيضاً، ولم ندركه. والعادة أن كل ما فتحت الكعبة يوماً للرجال فتحت في غده لدخول النساء، ولا يقرب ساحة البيت يوم دخول النساء أحد من الرجال كفعل النساء يوم دخول الرجال. ومن اضطر لطواف يوم دخول النساء لأجل العمرة طاف من وراء الأعمدة والقباب كلها، فتلحقهم مشقة في ذلك.

ويفتح البيت عادة سبع مرات في السنة: الأولى يوم النحر لتعليق الكسوة عند طلوع الشمس، ولا يدخل في ذلك اليوم إلا من زاحم وتعلق بالقرب. والثانية يوم عاشوراء. والثالثة يوم المولد النبوي في ربيع الأول. والرابعة في شعبان. والخامسة والسادسة في رمضان. والسابعة في ذي القعدة. وقد مَنَّ الله بدخولها خمس مرات في هذه السنة. وتمادى فتحها في غير يوم النحر من حل النافلة إلى قرب الزوال.

/لو399/ ولما كان يوم الأربعاء يوم الفطر، بكر الناس لأخذ مواضعهم للصلاة في المسجد، وبكرت وجلست قرب المنبر لاستماع الخطبة. فلم يأت الإمام حتى ارتفعت الشمس وبدأ² الحر، وخطب خطبة بليغة، وأطالها. وقدم مع الإمام جماعة من المؤذنين وأكابر الناس، معهم ألوية وعلى باب المنبر ألوية أخرى، وفرش المنبر كله بالديباج. وجلس المؤذنون تحته إلى باب المنبر، فلما وصل إلى ذكر السلطان والدعاء إليه قام إليه أحد أصحاب الأمير وخلع عليه الخلعة وهو يخطب. وما هو إلا أن يخلع عليه فيذهب الذي معه وتتابع الناس أفواجا حتى لا يكاد يبقى مع الخطيب إلا قليل من الناس، ولا ينتظرون فراغ الخطبة ولا دعاء الإمام. وكان قصدهم إنما هو مشاهدة الخلع على الخطيب، وتلك عادة

1- وقد ذكر ذلك ابن بطوطة قائلا: (وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أستار الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربع صونا لها من الأيدي أن تنتهبها، ويسمون ذلك إحرام الكعبة، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف ولا تفتح الكعبة المقدسة من ذلك اليوم حتى تنقضي الوقفة بعرفة). رحلة ابن بطوطة (ج 1 ص 404).

2- في النسختين [بدى].

مذمومة. ولما انفض الجمع ذهب كل واحد إلى منزله. ومن كان له صديق حميم أو قريب أو ولي نعمة ذهب للسلام عليه في مجلسه، ولو لقيه في المسجد أو جلس معه لا يكتفي بذلك حتى يأتيه إلى منزله.

لطيفة: لما فرغ الإمام من الخطبة وطففت بالبيت ذهبت للسلام على شيخنا أبي مهدي في منزله، ووجدت الناس يدخلون عليه أفواجا للتهنئة بالعيد. وكنت ترصدت قبل ذلك مجيء يوم العيد لسماع الحديث المسلسل بالسماع في يوم عيد، فأمكنني ذلك في هذا اليوم، وحدثني به يوم الأربعاء يوم فطر بمنزله بباب حزورة، أحد أبواب المسجد الحرام. قال: حدثني شيخنا أبو إسحاق إبراهيم الميموني¹ بمنزله بالقاهرة يوم عيد الفطر بسنده إلى السيوطي، قال الجلال السيوطي: أخبرني الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد فهد الهاشمي سماعاً عليه بالمسجد الحرام في يوم الفطر بين الصلاة والخطبة. قال: أخبرنا الحافظ أبو حامد² محمد بن عبد الله بن ظهيرة سماعاً عليه في يوم عيد الفطر. قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد المعطي سماعاً في يوم عيد الفطر. قال: أخبرنا الحافظ أبو عمر عثمان بن محمد التوزري سماعاً عليه في يوم عيد الفطر. قال: أنا أبو الحسن علي بن هبة الله الجميزي سماعاً في يوم عيد، قال، أنا أبو محمد عبيد الله بن علي الأبنوسي ببغداد في يوم عيد³ ح أخبرني عالياً بدرجتين أبو عبد الله بن مقبل الحلبي عن محمد بن أحمد المقدسي عن ابن البخاري عن أبي حفص بن طبرزد، قال: أخبرنا أبو المواهب ابن ملوك سماعاً في يوم عيد، قالوا: أنبأنا القاضي أبو الطيب الطبري في يوم عيد قال: أنا أبو أحمد بن الغطريف بجرجان في يوم عيد قال: أنا ابن ذاهب الوراق في يوم عيد، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن أخت سليمان بن حرب في يوم عيد. قال: أنا بشر بن عبد الله الأموي في يوم عيد. قال: حدثني وكيع بن الجراح في يوم عيد. قال: أنا سفيان الثوري في يوم عيد. قال: حدثنا ابن جريح في يوم عيد قال: أنا عطاء بن أبي رباح في يوم عيد. قال: أنا ابن عباس في يوم عيد. قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم عيد فطر أو ضحى فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: (

1- إبراهيم بن شمس الدين الميموني، أبو إسحاق الشافعي (ت 1079هـ). سبق.

2- في (ح م) [أبو حامد].

3- كذا في النسختين.

إليه الناس، قد أصبتم خيرا، فمن أحب أن ينصرف فليُنصرف ومن أحب أن يقيم حتى يسمع الخطبة فليقيم¹. غريب بهذا السياق، انتهى كلام السيوطي. وكتبت السند من خط شيخنا، وقد اتصل لنا سماع هذا الحديث بحمد الله بوصفه المشروط في أشرف الأماكن، حرم مكة شرفها الله.

والذي يغلب على ظني أنني قد حضرت سماع الشيخ الثعالبي من الشيخ الميموني لهذا الحديث في يوم عيد الفطر بعد الصلاة بمنزله المجاور للأزهر بالقاهرة سنة أربع وستين. إلا أنني لم أحمق /لو400/ السماع أثرت روايته عن الثعالبي عنه بشرطه. وإن كانت إجازة الشيخ الميموني لي مرتين شاملة لذلك، إلا أن السماع لا تعادله الإجازة وإن تعددت.

وأما الواسطتان اللتان بين الميموني والسيوطي فلا أعينهما في خصوص هذا الحديث. وأما في غيره فمعروفتان في ترجمته من هذه الرحلة، وفي رسالة "تحفة الأخلاء"² وفي رسالة "اقتفاء الأثر"³. وأظن أنني سألت الشيخ الثعالبي أيضا: هل للميموني سند خاص بهذا الحديث بشرطه سوى عموم إجازات مشايخه؟ فتوقف. وحيث كان القصد التبرك، فهذا القدر يكفي.

وقد بعث شيخنا سيدي عبد الرحمان المكناسي⁴ من الطائف لأصحابه بمكة يوصيهم بتعهدنا يوم العيد بطعام، فأتانا أصحابه بعد

1- حدثنا محمد بن يحيى بن أيوب قال: حدثنا الفضل بن موسى، قال حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن السائب أن رسول الله ﷺ لما صلى صلاة العيد قال: (من أحب أن ينصرف فليُنصرف ومن أحب أن يقيم للخطبة فليقيم). وفي سنده: الفضل بن موسى ثقة ثبت وربما أغرب. وابن جريج قال عنه ابن حبان: ثقة يدلّس ويرسل. سنن النسائي - صلاة العيدين، حديث 153. سنن أبي داود - الصلاة، حديث 975. سنن ابن ماجه - إقامة الصلاة، حديث 1280.

2- (تحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ الأجلاء) فهرس لأبي سالم، جمع فيه نصوص الإجازات التي كتبت باسمه وأسماء أبناء أسرته وأصدقائه. ويوجد بذيل رحلته ماء الموائد، بالخزانة الحمزية.

3- (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر) أو (مسالك الهداية إلى معالم الرواية) أو (العجالة الموفية بأسانيد الفقهاء والمحدثين والصوفية) وهو مطبوع، تحقيق ودراسة - نفيسة الذهبي - منشورات كلية الآداب - الرباط.

4- عبد الرحمان بن أحمد المكناسي أبو زيد. (ت 1082هـ). نشر المثاني (ج2 ص389). نقل بعض ما قاله أبو سالم عنه.

الصلاة بطعام فاخر إلى منزلنا برباط الموفق، وبعث لنا بكسوة، جزاه الله خيراً.

ذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة المعظمة ونواحيها

فمنها غار جبل ثور¹ الذي اختفى فيه رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه في هجرتهما. وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى: (ثاني اثنين، إذ هما في الغار)². خرجت لزيارته يوم الأربعاء الثامن من شوال مع جماعة من أصحابنا المجاورين. وجبل ثور على ثلاثة أميال من مكة، إذا مر السالك إليه فيما بين الخندمة³ وأبي قبيس⁴ وهو وراءهما. وأما من مر بأسفل مكة حتى يدور إليه فأضعاف ذلك. وعليها يسلك من مر راكبا مع بعدها لتوعر القرية. وخرجنا من المسجد بعد صلاة الصبح، وسلطنا الطريق القريبة، فما وصلنا إلى سفحه حتى ارتفع النهار وتمع⁵، فأخذنا في الصعود إليه. وهو جبل منقطع عن الجبال التي حوله ذاهب في الهواء، مشرف على كل ما حوله من الجبال، مكسو جلالة ومهابة⁶ صعب المرتقى غاية، ما رأيت مثله فيما سلكته من الجبال على كثرتها. وفيه أماكن ما كنا نمر بها إلا حَبَواً على اليدين والرجلين جميعاً. وارتفاعه في السماء نحو من ثلاثة أميال آخر. والغار في أعلاه من الناحية الموائية لمكة، فما بلغنا أعلاه إلا بعد جهد جهيد واستراحة مرارا متعددة. وكان ذلك في وقت الحر، وقد حملنا معنا ماء وتركنا بعضه تحت شجرة بأصل الجبل اتقاء لمعرة العطش بعد الرجوع. فلما وصلنا

¹ - ويقال للجبل كذلك أطحل، وهو من خلف مكة على طريق اليمن. معجم البلدان (ج2 ص100). وقد سماه ابن جبير والبلوي بأبي ثور. رحلة ابن جبير (ص94). تاج المفرق (ج1 ص312). وقد أسهب التجيبي في الحديث عنه ووصفه بالعلو الشديد إذ يشاهد منه بحر جدة. مستفاد الرحلة والاعترا ب (ص355).

² - سورة التوبة - الآية 40.

³ - جبل بمكة، وهو المستعلي على جبل أبي قبيس من ناحية المشرق وهو أحمر محجر فيه صخرة كبيرة بيضاء كأنها معلقة، وفيه تحصن أصل مكة يوم القرطمي أي في غزوة أبي طاهر الجنا ب سنة (317هـ). الروض المعطار (ص222).

⁴ - جبل مشرف على مكة، وجهه إلى قعيقان، ومكة بينهما، وأبو قبيس من شرقيها، وقعيقان من غربيها. ويكنى شيخ الجبال. وقد اختلف في نسبة تسميته. انظر ذلك في معجم البلدان (ج1 ص103).

⁵ - منع النهار يمتنع مُتَوَعاً ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل الزوال، وقيل ارتفع وطال. لسان العرب - مادة منع.

⁶ - في طرة (ح م).

إلى محل الغار وجدناه من عجائب آثار قدرة الله. وله بابان: الأصلي الذي دخل منه النبي ﷺ وصاحبه من ناحية الغرب وهو صغير جدا، ملاصق لأرض الغار، لقد خيل إلي عندما رأيته أن أحدا لا يمكنه الدخول منه لضيقه. وهو شق صغير بين صخرتين، عرضه نحو ثلاثة أشبار وارتفاعه أزيد من شبر. فأيست من الدخول منه حتى رأيت من هو أعظم مني جثة قد دخل منه. فتحاملت ودخلت من ذلك الشق مع مشقة وترتيب أعضاء، من تقديم إحدى اليدين إلى المنكب وإتباع الرأس لها وإرسال اليد الأخرى مع الجنب.

ولقد طال تعجبي من معرفة الناس بكونه غارا متسعا من داخل، فهو إن لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك معهودا؛ فالأقرب أنه بالوحي أو إلهام من الله لرسوله. لأن العادة تكاد تقطع بأن مثل ذلك لا يكون كهفا متسعا من داخل، إذ هو صخرة واحدة منقطعة عن غيرها منكفئة على أخرى منقورة، في وسطها قدر قامة الإنسان ارتفاعا وسعة نحو العشرة أذرع. ولولا عظم الصخرة وتواتر الخبر بأنه كذلك من قديم الدهر لثوهم أنها صخرة نُقرت في وسطها، قُلبت على أخرى بصنع آدمي.

وأما الباب الآخر فإنه إلى ناحية المشرق، وهو واسع يدخل منه الإنسان ويخرج كما شاء. وزعموا أنه مفتوح بصنع الأدميين، وأن سبب فتحه أن شخصا تكلف الدخول فلم يقدر على الخروج، وكرهوا تغيير الباب الأصلي بتوسعة؛ ففتحوا هذا الباب من الناحية الأخرى لخروج ذلك الشخص ولیدخل منه من لم يقدر على الدخول من الباب الأصلي.

/لوا 401/ وبإزاء هذا الباب المفتوح مصطبة¹ محوط عليها بأحجار شبه مسجد مفروش برمل، والناس يُصلون فيه ويصلون أيضا في داخل الغار. وفوق الغار في قُنَّة² الجبل غار آخر كبير واسع تحت صخرة عظيمة، مفتوح من جوانبه، محوط عليه بأحجار شبه مسجد آخر، ويجلس الناس فيه. ولا أدري ما أصله. وفيه منظر رائع يشرف منه الإنسان على بلاد كثيرة، ولم أر في تلك الناحية جبلا أعلى منه إلا جبل

1- ما ارتفع عن صعيد الأرض قليلا شبه دكان مربع، قدر ذراع من الأرض، يجلس عليها.

لسان العرب- مادة صطب
2- قُنَّة الجبل أعلاه، والجمع القُنُن.

أكرى¹ الذي يصعد منه إلى الطائف. وقد ذكر بعض من ألف في أخبار مكة وجبالها أن من زار هذا الغار وكان به حزن ألمه وسأل الله إذهابه يُذهبه عنه ولا يحزن بعد ذلك. وكأنه اقتبس ذلك من قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)². ولم أطلع على هذا إلا بعد رجوعنا منه، ولم يمكنني الرجوع إليه مرة أخرى بهذه النية.

وبقينا هنالك في أعلى الجبل مستظلين بظل الغار الكبير الذي ذكرنا هناك إلى أن زالت الشمس بساعة. وصلينا هنالك الظهر وانحدرنا. وقاسينا في الهبوط مثل الطلوع أو أشد. ومررنا على الماء الذي خلفناه أسفل فشربنا. ولولا هو لأثر فينا العطش غاية. وما وصلنا إلى مكة إلا مع أذان المغرب، وقد كلت منا القوى، وضعفت الأبدان. إلا أنا مع ذلك فرحين بما آتانا الله من فضله مستبشرين. والله يتقبل ما تفضل به علينا. فهو المنعم المتفضل الذي يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات.

ومنها مدينة جدة³، ولما كانت لي رغبة قوية في معرفة أرض الحجاز ورؤية ما بها من البلاد غير الحرمين، عازمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها وزيارة من بها من المساجد والمشاهد، كالمحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء. وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان⁴ في ترجمة ابن قلاقس⁵ الشاعر. وذكره أيضا في ترجمة أخرى. ولأنها في نفسها من أعظم البقاع، فقد ورد في فضلها وفضل المقام بها والرباط فيها عدة آثار نقلها الأخباريون. فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكثرى لي شيخنا أبو مهدي حمارا لركوبي. ولم

1- لقد تحدث العبدري عن واد أكرى بعد الوجه بثلاثة أيام. وأنه كبير وماؤه أحساء، في فضاء واسع ومرعى. الرحلة العبدرية (ج2 ص357).

2- سورة التوبة - الآية 40.

3- أجمعت المصادر على أنها بالضم لا غير، وقد ذكرها ابن جبير، وكانت زمنه ضئيلة الشأن على ساحل البحر، بها آثار قديمة من عهد الفرس، وأنها كانت محطة استقبال الحجيج ومركزا لجباية المكوس والضرائب. رحلة ابن جبير (ص68). مستفاد الرحلة والاعترا ب (ص218).

4- قال ابن خلكان: (وبجدة قبر أم البشر حواء، رضي الله عنها، على ما يقال، وقبرها هناك ظاهر يزار). وفيات الأعيان (ج5 ص389).

5- نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي، أبو الفتوح الأعز، المعروف بابن قلاقس الاسكندري الأزهرى، شاعر، من كبار الكتاب المترسلين (ت567هـ). وفيات الأعيان (ج5 ص389). شذرات الذهب (ج4 ص224). الأعلام (ج8 ص25).

أر أسرع مشيا من حمير الحجاز، ولا أوطأ مركبا ولا أقل تعباً مع السرعة المفرطة في المشي؛ فلقد كنت أنظر وأنا راكب إلى أطرافي هل يتحرك منها شيء مع الإسراع في المشي فلا يكاد تتبين لي حركة شيء منها، مع أن مركوبي ليس من أجودها. فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلي المغرب بجدة، فيركب عليه ويصلي الصبح بمكة، وهي مسافة القصر¹ تحقفاً. وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها؛ فيبلغ الحمار مائة دينار ذهباً. ولقد رأيت حماراً عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجبيل رافقنا عليه من المدينة إلى مكة تُقْبَحُ العين، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

ولما خرجنا من مكة عن الثانية السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذي طوى عدلنا ذات اليسار قليلاً، وسلكنا في شعاب هناك وعقاب ليست بالوعرة. وبين مكة وجدة ثمانية قهاوي، ينزل المارون في كل قهوة، فيستريحون ويشربون القهوة أو الماء ويشتررون علفاً للدواب؛ فأولها قهوة في مقابلة التنعيم² فيما أظن في شعب مررنا عليها قرب المغرب. والثانية في منفسح الوادي الذي يخرج منه إلى رمال الحديبية³. والثالثة عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم، ومنها يحرم الناس بالعمرة من شاء منهم. وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره. وقد طلبنا من أهل القهوة حبلاً ودلوا حتى استقينا منها وشربنا من مائها للبركة، لما ورد في الصحيح أن النبي ﷺ برك عليها حتى عزز ماؤها أو تفل فيها. /لو402/

¹ - قال تعالى: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا). إلا أن التقيد بالخوف غير معمول به للأسوة التي لنا في رسول الله ﷺ. وروى الإمام أحمد ومسلم عن أنس قال: (كان النبي ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ يصلي ركعتين). والفرسخ هو ثلاثة أميال، فتكون أقل مسافة للقصر هي ثلاثة أميال التي هي الفرسخ الذي هو 5541 متراً والميل 1748 متراً. وفي الحديث (لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد) الموطأ (ص127). وهي 16 فرسخاً، والفرسخ ثلاثة أميال والميل 4000 ذراعاً، فيكون القصر في 84 كلم. فقه السنة لسيد سابق (ج1 ص239).

² - موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، وسمي بذلك نسبة إلى جبل عن يمينه وآخر عن شماله، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة. سبق.

³ - قريبة من مكة وطريق جدة، وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة المذكورة في القرآن. سورة الفتح- الآية 18 (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة). وفي الروض المعطار (ص190) أن الشجرة كانت قرب البئر ثم فقدت بعد ذلك.

والرابعة في قرية تسمى حُدَّة¹ قريبة من شفير الوادي الكبير الذي يأتي أصله من مر الظهران، وفيه أثل وعشب كثير ومزارع إذا جاء السيل. ثم الخامسة حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة. والسادسة عندما يريد الذهاب الصعود إلى جبال يمر الطريق في وسطها. والسابعة عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذهاب إلى مكة. والثامنة جُدَّة.

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدا ومتع النهار واشتد الحر، وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين. في كلا طرفيها حصار متقن البناء، فيه مدافع كثيرة وعسكر لا يفارقه. وقد رأيت في الحصار الغربي منها ما يُستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا. ورأيت فيها مدفعا له خمسة أفواه بصنعة عجيبة ليس فيها مصمار، وهي مع ذلك كبيرة المقدار، متباينة الأقطار، واسعة الأنحاء، تحمل أضعاف ما يحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص² واسعة مفتحة إلى البحر وإلى ناحية البلد. فيها قهاوي ومجالس حسنة يبالغ أصحابها في كنسها وتنظيفها ورشها بالماء. وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسرة كثيرة منسوجة بشريط المسد³ بصنعة محكمة. وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة للمسجد؛ فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر واكثرينا لكل واحد سريرا يرقد عليه بدرهم إلى الصباح. ومسجدها الكبير من أحفل المساجد، فيه أعمدة من الساج⁴ مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، صليب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر. أخبرني شيخنا أبو مهدي أنه يقال إن أعمدة ذلك المسجد جلبت في صدر الإسلام من كنيسة في أرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون.

وزرنا المحل الذي يقال إن فيه قبر أمنا حواء في مقبرة معلم عليها بحجارة سود عند رأس القبر، وعند رجليه وفي وسطه. وقد ذرَّعه

¹ - نصف الطريق بين مكة وجدة، كما قال ابن بطوطة (ج2 ص97). وحدة منزل بين جدة ومكة من أرض تهامة، وهو واد فيه حصن ونخل وماء جار من عين، والقدماء يسمونه حُدَّاء، بالمد. معجم البلدان (ج2 ص265).

² - أخصاص جمع خص بيت من شجر أو قصب. لسان العرب - مادة خصص.

³ - حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود الإبل. لسان العرب - مادة مسد.

⁴ - الطيلسان الضخم الغليظ. لسان العرب - مادة سوج.

بعض أصحابنا، فكان قريبا من ثلاثمائة ذراع والله يعلم صحة ذلك. ولم ألق بها من الأفاضل إلا مفتي الشافعية الشيخ عبد القادر، وليس عنده من العلم والرواية ما يُزْعَبُ في أخذه. وهو رجل حسن الأخلاق، وجالسته ساعة. ولقيت أيضا مفتي الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة في العلوم، سالك على طريق السادات النقشبندية، أدرك الشيخ تاج الدين بن عثمان النقشبندي. وله خبرة بكلام القوم وأذواقهم، وفيه سخاء ومروءة، دعانا إلى داره وأطعما وسقانا. وحصلت بيني وبينه ألفة ومودة وأخوة في الله. وكتبت له أبياتا منها: (الرمل)

أشهد الله وأمالك السما وجميع الرسل طرا وكفى
إنني أحببت في الله أخي وخليلي وحببي مصطفى
جمع الدين إلى الدنيا معا وحوى من كل خير طرفا
أسأل الله وفاء بالذي قد عقدنا فهو يجزي من وفا

/لو403/ وممن ينتحل الأدب من أهل جدة وهو محدود من فضلائها الشيخ محمد مخبر، ولم يتيسر لي لقائه، وكتبت له بيتين موريا بلقبه، لأننا أقمنا بجدة ثلاثا ننتظر سفنا ترد من مصر بأخبار المغرب. وهما: (الطويل)

يذكرني بالثغر برد نسيمه بلادي فعيشي ناعم متكرر
فقال خليلي علل النفس واصطبر عسى فرج يأتي به لك مخبر

ومن نظمه قصيدة في مدح النبيﷺ، وذكر فيها أعلام المدينة المشرفة، نظمها لما قدم المدينة للزيارة في الرجبية ونحن إذ ذاك بها. وبينما أنا ذات غداة بعد صلاة الصبح جالس في المواجهة لوردي من الصلاة على النبيﷺ إذ سمعت شخصا ينشد بين يدي النبيﷺ بصوت مطرب قصيدة بائية، فعلمت أنه نفسُ محب قريب العهد بالدار. فقطع عليّ حسنُ صوته وحلاوة مقاطعه ورونقُ كلامه تمامَ وردي، فاستمعت له حتى فرغ من إنشاده، ثم بعد ذلك سألت عنه، فقيل لي إنه من أصحاب الشيخ محمد مخبر، والقصيدة لشيخه. فبعثت من كتبها من

عنده، ولم يمكن لقاءه لضيق الوقت. ولنذكر القصيدة بجملتها تبركا بها
إذ أنشدت بين يديه، وهي هذه: (البسيط)

مَثَلُ لعينك دارا شام نجد قبا	من الحرير عليه حلة وقبا
لو قابل الشمس نورا وهي قايلة	ضحى أو البدر في أفق السما وقبا
وحجرة حج روي حَجْرُ كعبتها	ووقفتي وقفة في بابها أدبا
وقبة قبة الجوزاء تغبطها	وسدرة المنتهى تحنو لها أدبا ¹
والكوكب الأنور الدرّي تمثله	جهرًا فما قط عن قلب المحب خبا
وروضة روضة الفردوس لو	قالت بخ لك حزت القرب والقربا
لقد شرفت بمن جاورت حضرته	وهو الذي شرف الأفلاك والحبا
بهن التراب الذي قد مر أخمصه	منك مليا جفانا كان أو رطبا
وبقعة سجدت فيها سواجده	لله يسجد فيك وهو مقتربا
ومسجدا جر ذيل التيه مفتخرا	لأن محرابه بالرفع قد نصبا
وفتية عمروه بالقرآن وبالعلم	الشريف ففاقوا الأنجم الشها
ومنبرا ما ترى في الكون مشبهه	لأنه ورث الجذع الذي انتحبا
فحاز بالإرث أقداما تقدمه	شأنًا فعز بمن في شأوه خطبا
وصفة الأصفياء خدام حجرته	وراث سكانها سبحان من وهبا
وخصهم منه قربا حول حضرته	كأنهم حرس من قبل يحتسبا
وأسطوانة أم المؤمنين فقد	صلى إليها الحبيب المصطفى

¹- في (ح م) [أدا].

/لو404/ وتربة للثريا دونها رتب
عظيمة بعظيم ضم أعظمه
الصاحبان الصفيان اللذان هما
أكرم بها بقعة كم لي بها وله
متى أسلم من باب السلام على
واذكر معاهد آثار الحبيب عسى
فمبرك الناقة المبروكة أسعدها
ما زال بالذكر معمورا أو الصلحا
ودور أنصاره دارت بمسجده
واذكر مساجد آيات بها نزلت
واذكر مساجد أصحاب وتابعهم
بمهبط الوحي والتنزيل حيث غدا
وبقعة ببقيع الغرقد افتخرت
فيها المقدم عثمان الشهيد غدا
وخير أعمام خير الرسل سيدنا العباس ذلك نستسقي به السحبا
وفيه بنت رسول الله صفوته
والكامل الطفل إبراهيم شافعنا
وآل بيت رسول الله كلهم
كذا على العرش والكرسي علت
ثرابها وبها الشيخان قد ترابا
هما فكم أحرزا فضلا وكم وهبا
متى أمرغ من خدي بها عتبا
خير الأنام وأقضي حق من عتبا
تطيب عيشا وهم في ذكرها طربا
بوطء أقدام طه بعد أرض قبا
والآل آل الجنيد السادة النجبا
كهالة كلها للأكرمين خبا
على النبي وآبار له ورُبا
واستقف آثارهم فيها وكن أدبا
جبريل يتلو على خير الورى كتبها
تيها بسكانها أكرم بها القبا
من قد غدا بالحيا والنور منتقبا
خير أعمام خير الرسل سيدنا العباس ذلك نستسقي به السحبا
أم الشريفين جدا في الورى وأبا
شبيه يحيى وعيسى في الكمال
وَوَلَدَهُ وَنِسَاءهُ ثُمَّ مِنْ صَحْبِ

والتابعون وكم فيه إمام هدى
للمذهب الخاص تفضيل المدينة
وأذكر أبا الشبل ليث الله سيدنا
أخا النبي رضاعا عمه نسبا
وعنده الشهدا سبعون قد صدقوا
لله درك يا أرض المدينة كم
لو أن واحدهم بالصين حق بأن
فَلْيَهْنَقُوا قوما أقاموا في جوارهم
وإن أتيت على بدر فزر شهدا
من مثلهم قتلوا سبعين واحتملوا
واذكر بضاعة أو بطحان إنهما
كانت مواطن أنسي حيث كان بها
مع الحبيب الذي أروته صافيتها
فآه يا ليت أوقاتي تعود بها
فيا خليلي إن وافيتما وطني
[ويا حويد المطايا يا ذا النقى فأنخ
واقر السلام على من حله وأقم
وخصه بتحيات مباركة

كمالك من لدين الحق قد ذهب
كشف لذا ما احتذى فيها ولا ركبا
حامي الحمى حمزة الضاري إذا
لذاك شج أبا جهل وقال صبا
كلّ قضى نحبه لله محتسبا
حزت هماما يُجَلِّي الهم والكربا
تسعى إليه الموالي تطرد النجبا
ومن أناخ بهم إقدار ما حلبا
بدر ومن في حمى آثارهم ضربا
سبعين في القيد ممن طول العذبا
مسامري حين نامت أعين الرقبا
معراج قدسي وكانت لي زمان
راحات سلمى فأسقى بعد ما شربا
وهل يعود زمان بعدما ذهب
في طيبة طنبا في سرحها وطبا
وانحُ الضريح الذي للمسك منه نبا
مستبشرا آمنا في منزل رحبا
عني وخص أبا بكر وخص أبا

مستعطفا مستجيرا خاضعا أدبا
حق الضيوف على أهل الوفا وجبا
لقولكم وجبا، قل لي نعم وجبا
إلا لأحسب فيمن عندكم حسبا
وناشر المدح فيكم زاحم الأدبا¹
إقبالي لا يرتجي درا ولا ذهباً
في عامه مع صنو قلبه التهباً
وهو الذي كان لي في نظمها سببا
فإن أبيتم فوا حزنه واحربا
أبى حماهم يرد القاصدين أبا
بشيخه العلوي من للعلی خطبا
محمد بن علوي من علا وربا
أمنت من وهج البلوى إذا لهبا
وشافع نافع دنيا ومنقلباً
محمد من له في المعجزات ربا
أحييت أماله قد أسلمت وأبا
في الساجدين من

١٠٥٥ ١٢٢١ ١٢٢١

حفص وناد بقلب خاشع وله
قل يا محمد إنني جئت قاصدكم
قل يا محمد إنني جئت زائرکم
قل يا محمد إنني ما قصدتكم
قل يا محمد لا تنسوا سميكم
يرجو الإجازة بالقبول منكم
ويطلب الإذن منكم في زيارتكم
الشوق لكنما الأقدار غالبه
فإن رضيت فهذا جل مقصده
لكن حاشاكم تخيب قاصدكم
فكيف لا وله في حبكم صلة
وقطب الوجود غياث الجود سيدنا
به رضيت إماما مرشدا وبه
وجده المصطفى المختار لي سند
فصل رب وسلم ما بقيت على
فلا تعد ولا تحصي وأيسرها
فنوره كان من صلب إلى رحم

¹ - من هذا البيت إلى آخر القصيدة أي بمقدار أربع لوحات ساقطة من نسخة (خ ع).

² - ما بين [] في هامش (ح م).

نعم وهذا حقير من خصائصه فكم قرأنا بما قد خصه كتبنا
والآل والصحب ثم التابعين لهم والأولياء مع السادات والنجبا
واغفر لناظمها حقا ومنشدها أيضا وسامعها وعيا ومن كتبنا
واغفر لعبد الرحيم الحبر من برع فقد أتاني من نيابتيه نبا
فقال في خلدي هل من عرض مثل لعينيك خدرا في الحمى ضربا
فقلت بالعجز والتقصير ممثلا مثل لعينك دارا شام نجد قبا

وهذه القصيدة كما ترى فيها أبيات سلسلة منسجمة، وفي بعضها ركابة وتعقيد وشبه تصحيف. ولا أدري هل ذلك من أصلها أو من تصحيف الكاتب؛ إذ لم آخذها عن منشئها. وقد ذكر في آخرها أنه عارض بها قصيدة أولها *مثل لعينيك خدرا في الحمى ضربا¹ بسؤال صاحبه الشيخ عبد الرحيم البرعي، أتبه الله على قصده الصالح، وجعلها من سعيه الناجح.

وخرجنا من جدة قافلين إلى مكة بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء، وسرنا على طريقنا الأولى ننيخ بالقهاوي المذكورة للاستراحة. ودخلنا مكة مع أذان الصبح، وتوضأنا وأدركنا الصلاة بالمسجد الحرام. وقد شاهدنا في هذه الخطرة من العافية التي بسطها الله في الطرق والقرى والأمان التام ما قضينا منه العجب؛ فمن ذلك أنا لقينا عيرا في ليل مظلم تحمل أحمالا من البز الهندي والقماش الرفيع نحوا من عشرين جملا، وطلبنا أحدا من أصحابنا نسأله عن خبر البلد، فلم نجد معها أحدا. وذهبنا نحوا من ميل، فوجدنا أصحابها في قهوة مستريحين، وأخبرونا أنها لو ذهبت كذلك إلى مكة لم يتعرّضها أحد. وأخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في أيام الأمير زيد ووالده محسن؛ فمن ذلك أنهم زعموا أن رجلا جاء إلى السلطان محسن، فقال له: إني وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز في الطريق. فقال له: ومن أخبرك أنه من البز؟ فقال: مسسته

و انشد فؤاداً مع الاحباب مغتربا
إن لم ترَ الدمع يقضي عنك ما وجبا

1- مثل لعينك خدراً في الحمى ضرباً
و ابك المنازل بعد الطاعنين دماً

برجلي. فأمر بقطع رجله، وقال له: لِمَ مسسته. إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات، لا نعلم صحتها من سقيمها.

ومن لطيف ما شهدناه من أمان هذه الديار وعافيتها أن المسافرين من مكة إلى جدة ومن جدة إليها يكثرون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها، فإذا بلغ المكثري إلى المحل الذي ذهب إليه أرسل الحمار، ولا عليه فيه؛ فلا يأخذه أحد إلا ربه إن كان في ذلك البلد أو نائبه. ولكل واحد من أصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكرها له ممن يرجع إلى البلد الذي هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جدة ذهابا وإيابا صاحبنا الحاج علي العنابي التونسي، وكان من التجار المجاورين بمكة في هذه السنة، وكان معه جملة من أصحابه، فلم يتركنا أن ننفق في هذه السفرة ولو درهما واحدا. وكان الإنفاق من عنده في كل ما ينوب في منازل الاستراحة وكراء المنزل وما ينوب أيام الإقامة، فجزاه الله خيرا. وكانت فيه سخاوة نفس ودمائة خلق، قد نال غيرنا من المجاورين وأهل مكة من معرفته أكثر مما نالنا. ولقد طوقني من منته ما عجزت عن مكافأته إلا بالدعاء له. وكذا أعارني فرسه للركوب مرات عديدة إلى أماكن مختلفة، ركبته مرة إلى الحديبية ومرة إلى الجعرانة¹ ومرة إلى الطائف. وكلما سمع بعزمي على التوجه إلى مكان يبعث به إلي ويعزم علي في ذلك. ولم يتيسر لي إحرام بعمره يوم رجوعي من جدة، فدخلت مكة بلا إحرام، مترخصا في ذلك على مذهب من لا يرى الإحرام على من خرج إلى مثل جدة. ثم بدا لي أنني قد غبنت في ترك الاعتمار من الحديبية،² إذ هي من الأماكن المأثور فضلها بإحلال النبي^ص فيها، فقامت له ولأصحابه مقام الوصول إلى البيت العتيق، وكانت فيها بيعة الرضوان²، ومآثرها غير

1- قال الأصمعي: هي بإسكان العين وتخفيف الراء، وهي ما بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أدنى، وبها قسم رسول الله غنائم حنين. الروض المعطار (ص 176).

2- (قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله قال حين بلغه أن عثمان بن عفان قد قتل بعدما كان أرسله برسالة لعظماء قريش فأشاعوا قتله لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعاه الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله لم يبايعنا على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر) سيرة ابن هشام (ج 4 ص 283). وكانت بيعة الرضوان بعد الحديبية التي كانت في آخر السنة السادسة للهجرة.

2- القرآن: الجمع بين الحج والعمرة، وقرن بين الحج والعمرة قرانا، وفي الحديث: أنه قرن بين الحج والعمرة، أي جمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد

خفية. فخرجتُ إليها بعد ذلك بليال مع صاحب لي بعد أن صلينا العصر، وبلغنا إليها بعد العشاء، ونزلنا واسترحنا ثم اغتسلت وصليت وأحرمت بعمره، فبلغنا إلى مكة سحرا. فصرت بتلك العمرة متمتعاً¹. وكان ذلك مني عن قصد، لأنه تقدمت لي حجات والحمد لله مفرداً؛ فقصدت استيعاب أوجه الإحرام الثلاثة للاختلاف المشهور في أيها أفضل. ولذلك أحرمت عند إرادة الخروج إلى الحج قبل يوم التروية² بالقران، فحصلت لي الأوجه الثلاثة والحمد لله.

ولما رجعنا من جدة يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال كما تقدم، وجدناهم قد شرعوا في تجديد السقف الأعلى للبيت العتيق. وذلك أن للبيت سقفين بينهما مقدار ذراعين ونصف أو ثلاثة على ما قيل، صيانة له عن وصول شيء من التغيير إليه بنزول ماء أو غيره، فإن احتاج أحدهما إلى تبديل كان الآخر صونا للبيت. ثم إنه بعد ذلك السيل المتقدم ظهر في البيت شبه أثر قطر، فكُشف عن ذلك، فوجد في بعض خشبات السقف الأعلى تآكلٌ بالأرضة لطول العهد، فاقتضى نظر الخاصة تجديد السقف كله. فشرعوا في ذلك يوم الاثنين الثالث عشر من شوال. فنُصبت سلاليم من جهة الحجر مشدودة بحبال وأعمدة، متخذاً لها شبه سرير من خشب في الهواء في مقابلة حزام ستر البيت يصعد منها الفعلة. ونصبت خصافات من الجريد على المحال التي يخشى عليها التلوث من أستار البيت. وجعلوا فيما بين الركن اليماني والحجر من أعلى البيت جرارة تجذب اللبن والجص. واختير لذلك من الفعلة ما يحتاجون إليه. وبعثوا إلى نقل خشب الساج³ من جدة، فجاء بخشبتيين

وسعي واحد، فيقول: ليبيك بحجة وعمره، وهو عند أبي حنيفة أفضل من الأفراد والتمتع. لسان العرب - مادة قرن.

الْمُتَعَّةُ وَالْمُتَعَّةُ: الْعُمْرَةُ إِلَى الْحَجِّ، قَالَ تَعَالَى: (فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ). وَصُورَتُهُ أَنْ يُحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، فَإِذَا أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ بَعْدَ إِهْلَالِهِ شَوَالاً فَقَدْ صَارَ مُتَمَتِّعاً بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ، وَاسْمُهُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ حُلَّ مِنْ عَمْرَتِهِ وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَذَبَحَ نَسَكَهُ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ لِمَتَمَتُّعِهِ، وَحَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ حَرَمَ عَلَيْهِ فِي إِحْرَامِهِ مِنَ النَّسَاءِ وَالطَّيْبِ، ثُمَّ يَنْشِئُ بَعْدَ ذَلِكَ إِحْرَاماً جَدِيداً لِلْحَجِّ وَقَدْ نَهَضَهُ إِلَى مَنْى أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَيْقَاتِ، وَالتَّمَتُّعُ هُوَ انْتِفَاعُهُ بِالْحَلْقِ وَالطَّيْبِ وَالنِّسَاءِ بَيْنَ الْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ. قَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنْ التَّمَتُّعُ أَخْفَ حَالاً مِنَ الْقَارَنِ.

² - يوم التروية يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة، وسمي به لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها، فيزودون ريهم من الماء ويسقون ويستقون.

³ - خشب يجلب من الهند وواحدته ساجة، وهو شجر عظيم الطول والعرض، وأوراقه ضخمة جداً، وله رائحة طيبة تشبه رائحة ورق الجوز، مع رقة ونعومة. لسان العرب - مادة سوج.

عظيمتين لتُنصب عليهما الجوائز¹، قيل لي إنه اكْثَرِي على حمل كل واحدة من جدة إلى مكة بمائة وثلاثين ريالاً. وتنافس الناس في العمل في ذلك ابتغاء الأجر.

وقد من الله علي بالصعود يوماً من الأيام ضحى بواسطة الحاج سليمان، صاحب لي صعيدي كان من الفعلة، فصليت في سطح البيت عدة ركعات، وناولتهم شيئاً من الطين واللبن² تبركا بالخدمة. وأعطوني شيئاً من الخشب المنكسر المقطوع في حال الإصلاح. وتحيلت على أن اشتريت نحو ثلاثين لبنة من خالص ما أجد أدْخَلْتُ في بناء البيت. كل ذلك تطفلاً على باب أرحم الراحمين بالانتساب إلى ما صحت نسبته إليه من بيت وغيره، وهو أكرم الأكرمين، فلا يخيب من تطفل عليه. وما أخرج من الخشب من سقف البيت جُعل فيما احتيج إليه من سقوف القباب والمنارات. وأما التراب فَكُوِّمَ في جانب من المسجد، وقالوا: إنه يجعل دكة. وأخذ الناس من نجارات الخشب وبعض التراب للبركة. وكثير من الناس لا يُجيز ذلك، بناء على أنه كتراب الحرم وأحجاره وأشجاره لا يجوز إخراج شيء من ذلك، ومن أخرج شيئاً من ذلك وجب عليه رده على ما نص عليه علماء الشافعية وتبعهم على ذلك جماعة من المالكية ممن أُلِفَ في المناسك.

قال ابن فرحون³ في منسكه⁴: وهو لا يجري على أصول المالكية، بل الجاري على أصولهم الجواز، واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها. وهذا مستنداً في نقل ما نقلنا من خشب سقف البيت للبركة، والله ولي التوفيق⁵.

1- جمع الجائزة أي الخشبة التي يوضع عليها أطراف الخشب في سقف البيت. لسان العرب- مادة جوز. ونقول بالعامية: الكايزة والكوايز.

2- من لَبِنَ الشيء رَبَعَهُ، ومنها اللَّبِنَةُ واللَّبْنَةُ التي يُبْنَى بها، وهو المضروب من الطين مَرَبَّعاً، والجمع لَبْنٌ وَلَبْنٌ. لسان العرب- مادة لبن.

3- إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون البعمرى الجبالي صاحب كتاب (الديباج المذهب) في طبقات المالكية، وله كتاب تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام وعدة (ت799هـ). شذرات الذهب (ج6 ص357). هدية العارفين (ج5 ص18).

4- له كتاب "إرشاد السالك إلى أفعال المناسك" نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص33).

5- وكتب على الطرة من النسختين بخط مغاير يميناً: قف على الخشب الذي أعطي للشيخ أبي سالم من خشب سقف الكعبة وصلاته فوق الكعبة وشرائه ثلاثين يجورة تجعل في حيطه.

لـ407/ ومنها محل في الجبل المشرف على المحصب¹ على يمين الذهاب من مكة إلى منى. يزعم أهل مكة أن فيه قبر عبد الله بن عمر² رضي الله عنهما، فيخرجون إليه في إحدى ليالي ذي القعدة— أظنها الثالث عشر— رجالاً ونساء كباراً وصغاراً، فيبيتون هناك عامة ليلتهم. ولم أخرج معهم تلك الليلة، إذ لا أعلم أصلاً لذلك. وسألت أهل العلم بمكة، فأخبروني أنهم لا يعلمون لذلك أصلاً.

غريبة: من جملة خرافاتهم المتعلقة بتلك الليلة في ذلك المحل أنهم يأخذون معهم نوى التمر فيدفنونه بالأرض في ذلك الجبل تلك الليلة، ويزعمون أن من دفن شيئاً حصل له في تلك السنة بعدده ريالاً أو دنائير.

وأغرب من ذلك ما حكى لي بعض أصحابنا تصديقاً لزعمهم، ذلك أن الشيخ علي بن الجمال الشافعي³، وكان من فقهاء مكة المعتبرين، خرج مع أهل مكة في بعض السنين إلى هذا المحل، فلما رأى فعلهم ذلك أنكره. ثم إنه جمع شيئاً من النوى حتى جمع نحو المائتين ودفنها، ثم وجد سبعا أخرى ودفنها، وهو في كل ذلك كالملاعب. فلما كان وقت الموسم، بينما هو جالس في المسجد الحرام، إذ جاء شخص من أهل العراق يسأل عنه حتى وجده، فناوله صرة كبيرة، وقال له: إن جماعة من طلبة الأحساء⁴ كانوا يقرؤون هنا عندك قبل هذا، وقد جمعوا لك هذه الدراهم بقصد التبرك منك وهم يسلمون عليك، وهي مائتا ريال. قال: فوقع في نفسي تصديق ما زعموا، وأنا كنت دفنت مائتي نوات. ثم قلت: وأين السبعة التي دفنتها بعد ذلك؟ فلم أبرح مكاني حتى رجع إلي ذلك الإنسان، وقال لي: يا سيدي، وهذه سبعة أخرى قد تبعني بها شخص بعدما فارقت أولئك الجماعة، وقال لي: أوصلها إلى الشيخ. قال:

¹- بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة، وخيف بني كنانة، وحده الحجون. معجم البلدان (ج5 ص74).

²- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمان، الصحابي هاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، وأبى الخلافة بعد مقتل عثمان، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة، له في كتب الحديث 2630 حديثاً. (ت73هـ). الإصابة (ج4 ص107). حلية الأولياء (ج1 ص292). نكت الهميان (ص183).

³- علي بن أبي بكر بن علي نور الدين بن الجمال المصري بن أبي بكر بن يوسف الأنصاري الخزرجي المكي الشافعي، فقيه فرضي، له مؤلفات منها (المجموع الوضاح على مناسك الإيضاح) (ت1072هـ). الأعلام (ج4 ص267).

⁴- مدينة بالبحرين، وهي بلاد القرامطة.

فتعجبت من ذلك ومن موافقته للحال. والذي أخبرني بذلك عن الشيخ ثقة عندي. ولم أدرك حياة الشيخ علي في هذه المرة، وأدركته فيما قبل هذا، ولم يتفق لي لقاءه ولا الأخذ عنه. وكان من فضلاء الشافعية المدرسين بالحرَم المكي رضي الله عنه وأرضاه.

ولأهل مكة في هذه الليلة أيضا عمل مولد كبير في مشهد السيد العيدروس¹ عند الشبيكة². يجتمع هناك جماعة من أولاده وأتباعه السالكين على طريقه، ويُعمل هنالك سماع وقراءة وتلاوة، ويجتمع فيه خلق كثير. وقد فُرش المشهد كله وما حوله، وأُعدت للحاضرين أطعمة وأشربة، ويستكثر هنالك من المصاييح. وقد زرت في هذه الليلة رضي الله عنه. ومشهده من المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة، وبيتهم له صيت ومكانة عند الخاص والعام.

ومنها جبل حراء³، وفضله مشهور، وفيه الغار الذي كان ع يتحنث فيه قبل النبوة، وفيه نزل الوحي أول ما نزل، وفيه نزلت سورة "اقرأ" كما في الصحيح. وهو جبل متوحد بأعلى مكة على ثلاثة أميال منها، وعلى رأسه قبة تُرى من المسجد الحرام. والغار في أعلاه من الناحية الغربية الموالية لمكة. وقد خرجت لزيارته مع جماعة من أصحابنا في إحدى ليالي ذي القعدة سحرا، وصلينا الصبح بعدما جاوزنا بيوت مكة/لو408/ كلها، ووصلنا أعلاه عند طلوع الشمس. وهو مع صعوبته قد سُويت طريقه، وأزيلت الأحجار المتعرضة من غالب طريقه، وبُني ما يحتاج إلى البناء فيها؛ بحيث إن الدابة يمكنها الصعود براكبها إلى أعلاه.

وفي أعلاه شبه مسجد على باب القبة يصلي فيه الناس. والغار من أسفل القبة بين صخرات هناك. وهو صغير جدا يسع ثلاثا أو أربعا فيما أظن، ويصلي فيه الناس للبركة. وقد جلسنا هناك هنيئة ريثما حلت النافلة فصلينا فيه ودعونا. وباب الغار متكب إلى ناحية الشمال. وقد

1- محمد الحسيني بن علي بن عبد الله الفقيه المشهور في مكة، كأبيه وجده بالعيدروس، أخذ عن عبد العزيز الزمزمي وعبد القادر الطبري، (ت 1066هـ) ودفن في قبر والده في مشهدهم الشهير بالشبيكة. المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من ق 10 إلى ق 14.

2- بين مكة والزاهر، على طريق التنعيم. معجم البلدان (ج 3 ص 368).

3- جبل مكة وهو الذي قال فيه النبي ع (اثبت حراء، فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد). سبق.

كنت أسمع قبل هذا ورأيت منصوصا أن الجالس في الغار يرى الكعبة، ولذلك اختار النبي ﷺ التحنط فيه لأن (النظر إلى البيت عبادة)¹، فتجتمع له أنواع من العبادات لا تكاد تجتمع في غيره. وهذا لا يصح إلا إن أريد المحل الذي هو فيه؛ فإن البيت قبل أن يكتنفه البنيان العظيم قد يظهر من خارج، وأما من الغار نفسه فلا.

غريبة²: أخبرني شيخنا أبو مهدي أنه خرج ذات مرة للتحنط بهذا الغار، وكان يخرج إليه قبل ذلك بهذا القصد، وخرج معه في هذه المرة ثلاثة من أصحابه من الهنود، وكان اثنان منهما مقيمين معه، والثالث يتردد عليهما بما يحتاجان من ماء وطعام. قال: وكان معي كتاب "بداية المجتهد" للحفيد ابن رشد³، أطلع فيه أحيانا. فبينما⁴ هو ذات يوم في الغار وصاحبه في القبة والثالث تحت الصخرة هناك إذ عرض في السماء عارض غيم وبرق، ثم أرزم الرعد⁵ وأتى بأمر هائل. قال: ما رأيت مثله قط، فلم أشك أنه الموت. ولزمت مكاني وطبت نفسا بشرف البقعة، وقلت: حبذا لقاء الله في مثل هذا المكان، وألزمت نفسي حضور القلب منتظرا حلول القضاء، حتى انكشف ذلك وخرجت من الغار، فإذا صاحباي اللذان في القبة قد ماتا؛ أحدهما جالس على هيأته لم تتغير منه شعرة، والآخر ساقط قد سال الدم من بعض منافذه. فلم أر منظرا أهول ولا أفزع من ذلك، فالتمست الثالث من أصحابي فوجدته تحت الصخرة وقد سلمه الله. فبعثته إلى مكة ليعلم أصحابنا، فبقيت هنالك وحدي منفردا معهما في الليل. فلم أر أمرا أفزع ولا أوحش من ذلك، وكان أعظم وأشق علي من الحال التي كنت عليها في الغار. فما جاءني الناس مع صاحبي حتى كدت أهلك غما. فاحتملنا صاحبينا وذهبنا. فمن ذلك الوقت ما رجعت للتحنط فيه، إلا أن أذهب زائرا، ثم أرجع.

1- حديث (النظر إلى الكعبة والنظر إلى وجه الوالدين عبادة والنظر في كتاب الله عبادة). صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - حديث 3. كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ج2 ص 454).

2- من هنا يستمر الكلام في نسخة (خ ع) بعد ملاحظة إسقاط معدل أربع لوحات منها.
3- "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لمحمد بن أحمد بن رشد القاضي أبي الوليد القرطبي الحكيم الفيلسوف حفيد أبي الوليد ابن رشد (ت 595هـ). هدية العارفين (ج6 ص104).

4- في (خ ع) [فبينما].

5- أرزم الرعد اشتد صوته، وأصله من إرزام الناقة، وهو إذا أخرجت من حلقها صوتا دون أن تفتح فاهها، والارزام هو الصوت الذي لا يفتح فيه الفم وقيل في المثل: رزمة ولا يرّة، يضرب لمن يعد ولا يفي. لسان العرب - مادة رَزَمَ.

قلت: والانفراد عن الناس سيما في المفازات والمغارات البعيدة من العمران لا يقوى عليه إلا من أيد بروح القدس وكانت له كلمة عالية، وسقطت من قلبه مخافة غير الله. فإن الإنسان مدني الطبع لا يتحمل وحشة الانفراد. سيما إن نزلت به ملمة وهو منعزل عن الناس؛ فإن عيشه يتكدر وحاله يتغير وتضيق نفسه وتخرج عن معتادها. فربما يتلف من ذلك أو يذهب عقله. وأما من كان قلبه متعلقاً بالله لا يلتفت إلا إليه في السراء والضراء، فذلك هو قرة عينه، ولو انطبقت السماء على الأرض ما زاده ذلك إلا تلذذاً بما فيه. لأنه في تلك الحال يقوى تعلقه بربه وانحياشه¹ إليه، وتتفي الخواطر المشتتة له في أودية الأغيار. وأي شيء هو طلبة المريد وبُعْثُهُ إلا هذه الحال! ولذلك قيل: مواسم الفاقات أعياد المريدين. ولا أظن أن شيخنا في ذلك الوقت كان من أهل هذه الحال، لما غلب عليه من محبة العلوم الرسمية وصرف /409/ همته إليها. يَدُلُّك على ذلك استصحابه لكتاب "بداية المجتهد". ومن كانت هذه حاله، وإن كانت محمودة، لا يقوى على تحمل واردات القدر الخارجة من باب القهر، المتلفة بمروط الجلال والهيبة، لتعلق قلبه بأمور وخیالات وعلوم هي في الحقيقة وسائل. فإذا تجلى الحق بصفة القهر ذهبت الوسائل وحُقَّ الحَقُّ (وبطل ما كانوا يعملون)²، فيفجأ القلب أمرٌ غير معهود له ولا مألوف ولا متصور قبل ذلك. فلا تسأل عما يكابده من ألم الغربة والوحشة والخروج عن المألوف.

نسأل الله أن يثبت قلوبنا ويؤيدها بنور المعرفة عند كل وارد، وعند واردات القهر خصوصاً. ويشهدنا اللطف المصحب بها، ويغرقنا في بحر التلذذ بمشاهدته حتى لا نحس بذلك. وعافيتك أوسع لي يا أرحم الراحمين.

¹ - من الحُوش والحُوشية أي الانعزال والانفراد، وانحاش إليه نفر وتقرب، وانحاش عنه نفر وابتعد. لسان العرب - حوش.

² - إشارة للآية 118 - سورة الأعراف. (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون).

ومنها الجِعْرَانَةُ¹، وهي موضع بين مكة والطائف، إلى مكة أقرب بكثير. بينهما وبين مكة ثمانية عشر ميلاً. ومنها كانت عمرة النبي ﷺ في ذي القعدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين².

وذكر المحب الطبري³ عن الواقدي⁴ أن إحرامه بالعمرة منها كان ليلة الأربعاء لانتنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة. قال المحب الطبري: ومنها يحرم أهل مكة كل عام في ليلة سبع عشرة من ذي القعدة. وذلك خلاف ما ذكر الواقدي، انتهى.

قال القاضي تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة في "شفاء الغرام"⁵: وما ذكره الطبري يخالف ما أدركنا عليه أهل مكة؛ فإنهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة، ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر ويحرمون ويتوجهون إلى مكة، وهو يلائم ما ذكره الواقدي.

قال الخطاب⁶: وعلى ما ذكره القاضي تقي الدين: أدركنا عمل أهل مكة. قلت: ولا أدري متى انقطع عمل أهل مكة هذا؛ فإنهم الآن لا يحرمون منها، ولا تكاد تجد أحداً يعلم أنها من مواقيت العمرة إلا من مارس كتب الفقه منهم، وأما العوام فلا يطلقون اسم العمرة إلا على التنعيم.

ومن أغرب ما وقع لنا في ذلك أنا لما نزلنا بالمحصب بعد تمام الحج في آخر سنة أربع وستين، بدا لنا أن نذهب من هناك إلى الجعرانة لنحرم منها بالعمرة، لأفضليتها على غيرها من الأماكن كما هو مقرر.

¹ - بتشديد الراء في قول العراقيين وتخفيفها عند الحجازيين، وهي بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أدنى، وبها قسم النبي ﷺ غنائم حنين ومنها أحرم بعمرة. الروض المعطار (ص 176).

² - صحيح مسلم - كتاب الزكاة، حديث 1758.

³ - أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس محب الدين، فقيه شافعي، من أهل مكة (ت 694هـ). له مؤلفات منها: "الرياض النضرة لمقاصد أم القرى" و"ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى". سبق.

⁴ - محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، أبو عبد الله، مؤرخ من حفاظ الحديث (ت 207هـ)، له عدة مؤلفات منها: "أخبار مكة". سبق.

⁵ - "شفاء الغرام تاريخ بلد الله الحرام" لتقي الدين محمد ابن علي الحسيني الفاسي (ت 832هـ). كشف الظنون (ج 2 ص 105).

⁶ - محمد بن محمد بن عبد الرحمان الرعيني، المعروف بالخطاب، فقيه مالكي (ت 954هـ). له عدة مؤلفات.

فطلبنا من يهديننا الطريق إليها، وسألنا من هناك من الأعراب وأهل البلد، فقالوا: وما شأنكم بالجعرانة؟ فذكرنا لهم الاعتماد. فاشتد نكيرهم، وقالوا: ما نعلم أحداً يعتمر من هناك، وإنما العمرة من التنعيم، ولكنكم قوم المغاربة أهل حيل قد يكون قصدكم إخراج كنز من هناك، فَعَمَّيْتُمْ قصدكم بذكر العمرة، وإلا فأَيَ عمرة في الجعرانة! وما كادوا يصدقوننا في ذلك. فقلنا لهم: يذهب معنا أحدكم بأجرته ويشاهد ما يريد من ذلك. فاكثرينا رجلاً منهم، فأسرى بنا حتى اعتمرنا.

ولما كان اعتماره ع منها إنما هو في ذي القعدة في عشر والثامن عشر توخينا ذلك في هذه السنة؛ إذ أمكننا بالمجاورة في مكة هذه المدة. فخرجنا مع جماعة من أصحابنا ليلة الاثنين السابع عشر من ذي القعدة اغتنما لفضية الوقت والمكان، فوصلناها بعدما ذهب طائفة من الليل، وأنخنا بها إلى قريب من السحر. ومكانها واد أفيج، كثير العِضَاه¹، وماؤه شديد الحلاوة غزير، وبها بئران عظيمان مطويان بالحجر المنحوت، وعنده دوحات عظيمة. وعلى شفير الوادي مكان مسجد يقال إن منه أحرم النبي ع. /لو410/ ومنه أحرمانا بعد الاغتسال والركوع. وقلنا إلى مكة ودخلناها ضحى والحمد لله.

ومن فضائل الجعرانة ما ذكره الجَنَدِي² عن ابن مَاهِك³ أنه اعتمر من الجعرانة ثلاثمائة نبي. ويقال إن النبي ع فحص موضع مائها بيده المباركة فانجست⁴، فشرب منه وسقى الناس. ويقال إنه غرز فيه رمحه فنبع.

ومن الأماكن التي لا ينبغي للمجاور أن يهمل زيارتها **بلد الطائف**، فإن فيها مزارات كثيرة حسبما أذكر بعضها. وقد خرجنا إليها من مكة

¹ - العضه الإفك والسحر، والعِضَاه كل شجر له شوك، والعِضَاه أعظم الشجر وهو كالطلح والعوسج مما له أرومة تبقى على الشتاء، والواحدة عِضَاهَةٌ وعِضَاهَةٌ وعِضَاهَةٌ وأصلها عِضْنَةٌ. لسان العرب - مادة عضه.

² - الفضل بن محمد بن إبراهيم الجَنَدِي الشعبي أبو سعيد مؤرخ مكة ومحدثها (ت 308هـ) له "فضائل المدينة" و"فضائل مكة". لسان الميزان (ج 6 ص 81). شذرات الذهب (ج 2 ص 203). هدية العارفين (ج 2 ص 468).

³ - يوسف ابن مَاهِك الفارسي من موالى أهل مكة (ت 113هـ) سير أعلام النبلاء (ج 5/ 312).
⁴ - في النسختين [انبحث] ولعل الصواب [انجست]، والنجس هو الانشقاق في الأرض فينبع الماء، قال تعالى (فانجست منه اثنتا عشرة عينا). والبحث الطلب في التراب، بحثه وابتحثه، والبحث من الإبل التي إذا سارت بحثت التراب بأيديها أخرا، أي ترمي إلى خلفها. اللسان - مادة بحث. ولعل المعنى في النص هو انجست أي نبعت وخرجت.

بعد العشاء الأخيرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة مع جماعة من أصحابنا في رفقة من أهل مكة والطائف. ومررنا على طريق الحاج إلى منى ثم إلى مزدلفة، ثم إلى بسيط عرفة، ثم تركنا الموقف شمالاً، وأنخنا هناك في قهوة قريباً من نصف الليل.

والطريق من مكة إلى الطائف فيها قهاوي يستريح المارة بالنزول فيها واشتراء المحتاج من طعام وعلف، على نحو ما ذكرنا في طريق الساقية التي تأتي من أصل الجبل إلى عرفات ثم إلى المشاعر ثم إلى مكة. ومنها تأتي المياه إلى مكة في هذه الأزمنة بعد اندثار الأخرى التي تأتي من الجعرانة. وقد ذكر المؤرخون أخبار العيينين معاً، وأن التي من الجعرانة من عمل بني أمية، وهذه من عمل بني العباس، وهي من صدقات زبيدة بنت جعفر بن المنصور¹. إلا أنها ما وصلت إلى مكة إلا في دولة بني عثمان ملوك العصر من التركمان. وقد شاهدنا في بنيان هذه الساقية ما يدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بأمر الحرمين؛ فكلما مررنا غلوة أو غلوتين وجدنا عينا منها مفتوحاً عليه بناء وثيق، ووجدنا الفعلة في وقتنا هذا جادين في إصلاح ما وهي من بنائها وكنس ما تهور² من أرجائها. وهي صاعدة مع وادي نَعمان الأراك بفتح النون، الذي أكثرت شعراء العرب فمن بعدهم من ذكره. وهو واد عظيم أفيج منحدر من جبل نجد، وبه أدواح يانعة يصفاحها نسيم نجد فتتهتز أغصانها طرباً وتميل إلى أن تلثم أفواه الأزهار الغضة الناعمة الملتقة بحافتي ذلك الوادي. وقد كساه الخصب من مروط الزهر ألواناً، وعمم رؤوس هضابه أقاحاً وأرجواناً. فلم نزل نسايره صاعدين إلى أن قربنا من جبل أكرى، فعدلنا يميناً مع بعض تلك الهضاب. وأوانا الحر إلى قهوة بأصل الجبل بين صخور عظام، حولها ماء صاف يجري على حصباء كالزبرجد، عذب بارد سهل التناول للصادر والوارد، ما رأينا فيما سلطنا من بلاد الحجاز مكاناً أشبه ببلادنا منه. فلما زالت الشمس

¹ - الهاشمية العباسية زوجة هارون الرشيد وبنت عمه، من فضليات النساء وشهيراتهن، وهي أم الأمين العباسي، وإليها عين زبيدة بمكة، جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة. وفيات الأعيان (ج2 ص314). أعلام النساء (ج2 ص117). قال عنها ابن جبير: هذه المصانع والبرك والأبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة من آثار زبيدة ابنة جعفر. رحلة ابن جبير (ص151).

² - هار البناء هورا تهدم، وهار البناء والجرف يهور هورا وهؤورا فهو هائر وهار. لسان العرب - مادة هور .

وتوضأنا للصلاة أخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظمته جبل من جبال تهامة.

وسلكنا في طرق تميل مع خراطيمه الهابطة من أعلاه. وغالب الطريق في هذا الجبل قد نُقِيَ من الصخور العظام ونُصِدَّت الحجارة فيه ببناء وثيق مصفح على ممره. يقال إن ذلك من عمل بني العباس لكثرة اعتنائهم ببلد الطائف ونزول ولاية الحجاز منهم به. وقد أثرت السيول مع طول العهد في أماكن كثيرة من هذا الجبل، فَخَرَّبَتْ بِنَاءَهُ وَكَثَّرَتْ للسالك عناءه.

ووجدنا في هذا الجبل أشجارا عظيمة من العرعر وغيره من أشجار بلادنا، فأنسنا بذلك غاية. ورأينا القروء به تصيح وتنب في أعالي تلك الصخور، فتعجبنا من ذلك، فأخبرنا أنها توجد في هذا الجبل، وما سمعنا قط أنها بأرض الحجاز، وإنما يقال إنها تجلب من الشام والروم إلى مصر والحجاز.

ولقد لقينا في صعود هذا الجبل مشقة؛ ونزلنا عن الدواب وارجلتنا أوعاره وأغواره كَرْهًا. /لو411/ وما كدنا نصل إلى أعلاه حتى تمكن وقت المغرب، وصلينا، وتلفعنا بثيابنا لشدة البرد. وتعجبنا من صنع الله وبديع قدرته؛ فقد قاسينا أول النهار من شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب وتنفطر القلوب، وكابدنا من شدة البرد آخره ما ارتعدت المفاصل منه وكلت القوى عنه. ثم وصلنا إلى قهوة هناك ونزلنا بها بعد العشاء، وطلبنا خُصًّا¹ يَكُنُّنا من شدة البرد، فأدخلونا محلا أوقدوا فيه نيرانا عظيمة، فاصطلينا بها عامة ليلنا، وحمدنا الله على ذلك. وكان هذا في إبان الحر الشديد، ولذلك خلفنا ثيابنا في مكة، ولم نلبس منها إلا ما يوافق الوقت. وقضينا عجا من شدة الحر والبرد معا في المكانين المتقاربين.

ثم ارتحلنا من ذلك المكان قرب صلاة الصبح، وهبطنا عقبة هناك هي دون التي طلعتها بكثير، إلا أنها وعرة. وسلكنا في شعاب ذات مياه غزيرة ونبت ملتف، إلى أن خرجنا إلى قرن الثعالب² الذي هو ميقات

1- الخُصُّ بيت من شجر أو قصب، والجمع أخصاص وخصاص. لسان العرب - مادة خصص.

2- القرن جبل مطل على عرفات، ويقال له قرن المنازل، وهو نفسه قرن الثعالب، معجم البلدان (ج4 ص377). ولقرن الثعالب ذكر في حديث عائشة عن النبي ﷺ سيأتي..

أهل نجد. وبإزائه قرية ذات مزارع وأشجار من أنواع الفواكه، حولها واد يسيل مأؤه. وتجاوزناها قرب الطلوع، وسلطنا بين تلؤل هناك في صعود، وهبوط واستواء إلى أن وصلنا بلد الطائف. وهو قصور في مستوى من الأرض، تحيط بها جنات من نخيل قليل وأعناب كثيرة (وفواكه مما يشتهون)¹. وقصدنا المسجد الأعظم. فأول من لقيناه على بابه رئيس المقرئين وأستاذ المجودين الذي لا يشاركه في تحقيق فن القراءة بأرض الحجاز غيره، ولا يُجهل عند الخاص والعام من أهل تلك الديار أمره، الشيخ عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي رضي الله عنه. ولم نكن نعرفه قبل ذلك ولا يعرفنا إلا بالخبر، وإنما عرف كلا منا بصاحبه السيد الأجل الفقيه الأمثل صاحبنا السيد عمر المدني من متفقهة أهل المدينة، تعرفنا به فيها. فوجدناه جالسا مع الشيخ المذكور عند باب المسجد، فرحب بنا الشيخ غاية، وأظهر لنا من بشره النهاية، وطلب منا النزول عنده في داره، وأقسم على ذلك جهد يمينه، وبذل في القرى المستطاع من ملك يمينه، فدخل معنا إلى المسجد ووصل معنا إلى محل الزيارة. فزرنا واصلينا في المسجد ثم ذهب بنا إلى المنزل، وأنزلنا في أطيّب مكان فيه، وأدخل أمتعتنا ودوابنا.

فلما استقر بنا المجلس وخرج عنا في بعض شؤونه قلنا لصاحب لنا: (أتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا)². فخرج إلى السوق واشترى لنا ما يصلح للوقت. فلما وضعه بين أيدينا دخل علينا الشيخ— وقد رآه حين دخل — وهو يقول: واعيناه واعيناه، يكررها — وهي لغة أهل البلد — كيف تشترون الطعام وأنتم في منزلي؟ ولكن الذنب مني إذ أبطأت عليكم بالقرى، فاعذروني، وما كنت مشغلا إلا في ذلك. فأخجلنا واعتذرنا له، فلم نبرح من مكاننا حتى أتى بالغداء فأكلنا واسترحنا. ولقد أجزل لنا القرى مدة الإقامة، فجزاه الله خيرا.

إلا أنه لما بلغ خبر قدومنا إلى جواد زمانه، وحاتم أوانه، وجُنيد عصره، وغوث قطره، السيد عبد الرحمان المكناسي، وكان إذ ذاك بالطائف، بعث إليه بعض خدامه بالمحتاج إليه من طعام وإدام ولحم ونحو ذلك، وقال له: إنما علينا قراهم لا عليك، إلا أنهم لما نزلوا في

1- سورة المرسلات - الآية 42.

2- سورة الكهف - الآية 62.

منزلك لم يُمكنّا إخراجهم من عندك، فعليك المنزل وعلينا النزول والقرى. ولم يزل يتعاهده بأمثال ذلك إلى أن خرجنا.

ولما كان الغد ذهبنا لزيارة السيد عبد الرحمان في منزله، وكان بأعلى البلد، فدخلنا عليه،/لو412/ وبالع في الترحيب والتحفى وهش وبش وسأل عن الحال، وأظهر السرور بقدمونا. وكنا لقيناه في منزله بمكة يوم دخولنا أو غده، وهو متهيئ للخروج إلى الطائف في يوم لقائنا له، ووجدنا ركائبه ببابه وآلة السفر بين يديه، فلم تطل مجالستنا له واعتذر لنا عن ذلك. وأخبرنا أن الخروج في ذلك الوقت لم يكن باختياره، وأنه لوارد قهري. وكان اتخذ ذلك عادة منذ أعوام كثيرة، إذا أقبل رمضان وقرب خرج إلى الطائف. وكثيرا ما يستهل له رمضان في الطريق، لأنه كان يسير سيرا رقيقا، وربما أقام، وربما أفطر بعض أصحابه يوما أو يومين في الطريق لأجل السفر. فاتخذ الجهال والحسدة له ذلك ذريعة، وتطرقوا منه إلى الوقوع في عرضه والاتهام له في دينه. وقالوا: إنه إباحي، وما جعل السفر في هذا الوقت ديدنه إلا ليتوصل به إلى الأكل في نهار رمضان، وإلا فأى ضرورة تلجئه إلى الخروج في هذا الوقت كل سنة! إلى غير ذلك مما يلقيه الشيطان إلى أوليائه من شياطين الإنس والجن (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)¹، سنة الله في أنبيائه، وفي أوليائه بالإرث؛ إذ جعل الله لكل نبي عدوا من المجرمين، وكذا كل ولي، على ما نص عليه غير واحد.

على أن هذا الشيخ ممن ظهرت شواهد صدقه في حاله، واشتهرت كرامته وعلمت ديانته. فينبغي التسليم له سيما في الأمور التي لا تصادم الشريعة كهذا. وقد أخبرني رضي الله عنه ببعض حاله في سفره هذا، وكأنه توهم أنني سمعت شيئا مما يقوله الناس في ذلك. وقال لي: والله ما كنت أخرج من هذا البلد مع غلبة الحال وقوة الوارد حتى أسمع النداء: يا عبد الرحمان ألا تخرج، تخاف على إيمانك؟ فأخرج حينئذ خوفا على نفسي.

قلت: ومن كانت له بصيرة نورانية وذوق رباني وكشف إلهي لا ينكر مثل ذلك؛ فإن أحوال الواردات الإلهية لا تتضبط لزمان، والناس في تحملها أنواع، وقد علم من حال هذا الشيخ أنه أسير الحال في أكثر

¹ - سورة الأنعام - الآية 112.

الأحوال. ولعل السر في قهره على الخروج عند قرب رمضان ما علم أن شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان، وأن الواردات الإلاهية تقوى في هذا الشهر وفي أشهر الحج بعدها. فإذا انضاف إلى شرف الوقت شرف المكان ربما ورد على القلب الضعيف من الواردات ما يعجز عن حمله ولا يقوى على القيام بحقه. سيما إن كان مغلوبا من قبل كهذا الشيخ؛ فقد يتسع عليه النطاق، ويرد عليه ما لا يطاق. وربما أداه ذلك أن خرق سياج الشريعة مغلوبا، فيخاف عليه في دينه. كما وقع للحلاج¹ وغيره من المغلوبين.

فعلى هذا قد يكون الخروج إلى محل يخف عليه فيه الحال وتنكسر سؤرّة الوارد فيه بعدم معاضدة شرف البقعة اللطيف به وأرفق وأرحم وأليق بحاله. وهذا أمر غامض لا يدركه إلا أهله.

فإن قيل: ينقض عليك هذا بشهود الموسم، فإنه لا مكان ولا زمان أشرف من تلك المشاعر العظيمة في تلك الأزمان الشريفة. قلت: إن الموسم يجتمع فيه من الخلائق من سائر الآفاق ما لا يعد كثرة، وفيه من طوائف أهل الحضرة كل صنف؛ من أبدال ونقباء ونجباء وأوتاد والغوث والقطب² وأنواع أهل دائرة الولاية على اختلاف مراتبهم، فتتعاضد أنوارهم وهمهم وعزائمهم. سيما والقطب المتصرف في الكل حاضر حسا ومعنى. فيقوى المدد ويكثر سريانه في كل سالك على قدر قوته وضعفه، فينجبر بذلك ضعف القابل ويقوى به عجز المغلوب. وهذه إشارة إلى ما عجزت عن إبانته العبارة، يعلمه أهله ولا ينكره إلا من لم/لو413/ يؤمن بطريقهم؛ فإن أول درجات هذا الطريق الإيمان بأحوال أهله التي لم يقدّم دليل قطعي على عدم صحتها.

وأحوال هذا الشيخ في الوجود غريبة. وأعظم شاهد على صدقه في حاله زهده في الدنيا مع كثرة ما يُجبى إليه منها، فلا يبالي من أخذها من يده من غني وفقير ومأمور وأمير، ورفع همته على الخلق، سيما أرباب الدولة؛ فإنهم لا يروّون في مكان أدلّ منهم في بابيه. ولقد كنا عنده بمنزله

¹ - الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث، ينسب إلى الزهد والتعبد والفلسفة، وقد ينسب إلى الإلحاد (ت309هـ). كان يقول بالحلول، له عدة مؤلفات. لسان الميزان (ج2 ص313).

² - تاريخ الخميس (ج2 ص347). طبقات الشعراني (ج1 ص107). الأعلام (ج2 ص260). انظر تعاريفهم في: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء لجلال الدين السيوطي تحقيق مقدم منسيه. (ص319). مجلة النشرة العلمية للكلية التونسية. العدد 5 - سنة 1979م.

في الطائف فاستأذن عليه السيد حسن بن زيد أحد أولاد السلطان زيد¹، فلأياً بلأى ما أذن له. وعند دخوله لم يقم له ولا اهتبل له، وغاية ما قال له كالمعتذر عن تأخير الإذن: إنا اشتغلنا بهؤلاء السادات، وما هم دونك في المكانة عندنا، وإن كان لك حق الشرف فلهم حق النسبة إلى الله وطلب العلم والغربة. ونحو من هذا الكلام. ولم يأنف ذلك الشريف من هذا الكلام مع ما هو فيه من حداثة السن ونخوة الملك والشرف، بل ألان الكلام بين يديه وتلطف.

وذلك شأن هذا الشيخ مع أرباب الدول وأهل المناصب الدنيوية. وسنذكر بقية أخباره عند ذكر من لقيناه بمكة من أهل الفضل.

ولم نلق بالطائف أحدا ممن ينتسب إلى علم أو صلاح سوى الشيخ **عبد العزيز** الذي نزلنا عنده، وأصله من المغرب من بلاد أوكرت من بلاد تيجورارن، وشهرته **بالتواتي**. وقد جال في المغرب ونزل على كثير من علمائه؛ كسيدي الصغير ابن المنيار التادلي². ودخل فاس وقرأ على سيدي عبد الواحد بن عاشر³ وعلى غيره. ثم ارتحل إلى المشرق قديما بعد الأربعين وألف، ودخل القاهرة، وأتقن القراءة على مقرئها وأستاذها الشيخ سلطان⁴، وختم عليه إحدى عشرة ختمة، وأجازه بالقراءات السبع بل وبالعشر الكبير، وكتب له خطه بذلك. ثم انتقل إلى الحجاز وحج، ثم استوطن الطائف منذ أعوام كثيرة، وتزوج امرأة من أهلها، ورزق منها عدة أولاد. وله عند أهلها مكانة. يحج كل سنة ويحضر الموسم. وقد سمعت منه المسلسل بسورة الصف⁵، قرأها علينا إمام ضريح الخبر ترجمان القرآن عبد الله بن عباس⁶ ثلاث مرات: مرتين بقراءة قالون⁷، ومرة بقراءة ابن كثير⁸، وأجازنا بها.

1- زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي، أمير مكة، وليها سنة (1041هـ)، (ت 1077هـ). سبق.

2- عند صاحب نشر المثنائي - الصغير بن النيار، من ذرية الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي، ذكره الشيخ اليوسي في محاضراته (ت 1056هـ). نشر المثنائي (ج 2 ص 34).

3- عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر الأنصاري (ت 1040هـ). ألف في علوم القرآن والتفسير. (ت 1040هـ). نشر المثنائي (ج 1 ص 283). الأعلام (ج 4 ص 175).

4- سلطان المصري (ت 1075هـ). نشر المثنائي (ج 2 ص 145).

5- انظر اقتفاء الأثر (ص 176).

6- صحابي (ت 68هـ). سبق.

7- عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني، أحد القراء المشهورين، (ت 220هـ). غاية النهاية (ج 1 ص 614).

8- أحد القراء السبعة (ت 120هـ). سبق.

[قال: قرأتها على شيخ الإقراء بالقاهرة الشيخ سلطان. وقال: قرأها علينا الشيخ حجازي¹، قال: قرأها علينا الشمس العلقمي². قال: قرأها علينا جلال الدين السيوطي. قال: قرأها علينا أبو عبد الله الحاكم. قال: قرأها علينا أبو إسحاق التنوخي. قال: قرأها علينا أبو العباس الصالحي. قال: قرأها علينا أبو المنجا اللثي حينئذ، وسند الشيخ سلطان إلى ابن الجزري. قال: قرأنا علينا أبو الحجاج الصيرفي. قال: قرأها علينا أبو المعالي عيسى بن عبد الرحمان بن معالي بن أحمد المطعم. قال: قرأها علينا ابن المنجا عبد الله بن عمر بن اللثي. قال: قرأها علينا أبو الوقت عبد الأول السجزي. قال: قرأها علينا الداودي، قال: قرأها علينا أبو محمد السرخسي. قال: قرأها علينا أبو عمران السمرقندي. قال: قرأها علينا أبو محمد الدارمي، قال: قرأها علينا محمد بن كثير، قال: قرأها علينا الأوزاعي، قال: قرأها علينا يحيى بن أبي كثير، قال: قرأها علينا أبو سلمة، قال: قرأها علينا عبد الله بن سلام، قال: قرأها علينا رسول الله³]، حتى ختمها.

وقرأت عليه أيضا في المحل المذكور من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا)⁴ بقراءة نافع من طريق قالون، رواية أبي نسيط والخلواني. ومن طريق ورش رواية الأزرق والأصبهاني. كل ذلك بطريق الطيبة، وأجازني به. ولنذكر نص ما كتبت به بين يديه بعدما ناولني إجازة الشيخ سلطان له:

الحمد لله، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، خرجت من مكة المشرفة بعد العشاء الآخر ليلة الثلاثاء التاسع عشر من ذي القعدة إلى الطائف لزيارة حبر الأمة، ترجمان القرآن ابن عم الرسول عبد الله ابن عباس رضي الله عنه. ووصلناها ضحى يوم الأربعاء. ولقينا هناك رئيس المقرئين وأستاذ

1- محمد بن محمد بن عبد الله الأكرابي القلقشندي، المعروف بمحمد حجازي، واعظ فقيه، عالم بالتفسير والحديث (ت 1035هـ). له مؤلفات منها "فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير للسيوطي". هدية العارفين (ج 2 ص 274). الأعلام (ج 7 ص 62).

2- محمد بن عبد الرحمان بن علي بن أبي بكر العلقمي شمس الدين الشافعي (ت 969هـ) له "الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير". شذرات الذهب (ج 8 ص 238).

3- ما بين [] في طرة (ح م).

4- سورة البقرة - الآية 17.

المجودين الشيخ عبد العزيز ابن حسن بن عيسى التواتي، وأنزلنا عنده، وقام بالحق الواجب أتم قيام. فجزاه الله خيرا. وسمعت منه سورة الصف، قرأها علينا إمام ضريح الحبر ابن عباس ثلاث مرات: مرتين بقراءة قالون، ومرة بقراءة ابن كثير. وأجازنا بها بإسناده الآتي إلى ابن الجزري. وقرأت عليه من أول الفاتحة إلى قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) أمام الضريح المذكور بقراءة نافع من طريق قالون على رواية أبي نشيط والخلواني، ومن طريق ورش على رواية الأزرق والأصبهاني. كل ذلك بطريق الطيبة. وأجازني به وبكل ماله، قراءة وحديثا ونحوا وأصولا وتصوفا. حسبما/لـ414/ سطر كل ذلك في إجازة الشيخ سلطان شيخ الإقراء بمصر له، بعدما ختم إحدى عشرة ختمة.

أما سند القراءة فأخذ الشيخ سلطان عن الشيخ سيف الدين الشافعي ابن عطاء الله الفاضلي البصير بقلبه، وهو عن الشيخ شحاتة اليميني، وهو عن الشيخ ناصر الدين الطبلابي، وهو عن زكرياء الأنصاري، وهو عن الشيخ شهاب الدين البيجوري، وهو عن شمس الدين ابن الجزري، وهو عن أبي محمد عبد الرحمان بن أحمد بن علي البغدادي المصري، وهو عن محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري المعروف بالصائغ، وهو عن أبي الحسن علي بن شجاع العباسي المصري صهر الشاطبي، وهو عن أبي القاسم الشاطبي. قال الشيخ سلطان: وهذا الإسناد لا يوجد اليوم أعلى منه تسلسل بمشايع الإقراء وبالشافعية وبالديار المصرية وبالإقراء والتلاوة. وأخذ الشاطبي عن أبي الحسن علي بن هذيل عن أبي داود سليمان بن أبي القاسم الأموي عن أبي عمرو الداني، وسند الداني معروف. قال الشيخ سلطان: وقرأت الحديث على جماعة منهم الشيخ شهاب الدين بن خليل السبكي. وقرأت عليه أيضا في التصوف، ومنهم الشيخ سالم السنهوري، ومنهم الشيخ نور الدين الزيادي، ومنهم الشيخ يحيى الحنبلي. وأخذت أصول الفقه والدين والنحو والعروض عن جماعة يطول ذكرهم، وقد أجزت بكل ذلك الشيخ عبد العزيز المذكور يرويه ويرويه لمن شاء. انتهى باختصار من خط الشيخ سلطان المذكور في إجازته لشيخنا عبد العزيز. وقد أجاز لنا شيخنا ذلك كما أجز له. انتهى. وكُتِبَ عشية يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وسبعين وألف.

هذا نص ما كتبه بيدي وناولته إياه، فتصفحه وكتب تحته بخطه ما نصه: صحيح ذلك كما ذكر، ولا ينساني من دعائه. وكتب: الفقير إلى الله تعالى **عبد العزيز بن الحسن الحفصوي**، كان الله له، أمين.

وإنما أطلت بكتابة ما كتبه وما كتبه بلفظه تبركا بألفاظ في الرواية وتثبتا في النقل على طريقة أئمة النقل من المحدثين. ولا ينكر هذا إلا الجاهل بأصولهم واصطلاحهم. ولولا ذلك لكان الاختصار والإتيان بألفاظ قليلة تؤدي هذا المعنى ممكنا.

وأما الأماكن التي تزار في **الطائف**¹؛ فمنها **البلد نفسه**، فقد وردت آثار تدل على فضله، وأنه منقول من الأرض المقدسة، نقله جبريل عليه السلام بإذن الله تعالى. وورد في الحديث أن النبي ﷺ (حرم عضاه وج) ²، وهو الطائف. وهو عند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره. وكفاه هذا فضيلة، شارك فيها الحرمين الشريفين.

ومنها **قبر ترجمان القرآن** حبر الأمة **سيدنا عبد الله بن عباس**، وهو في قبلة المسجد الأعظم من يمينه. وعليه بناء فخم، وحوله على يمين الداخل من الباب قبر البطل الهمام والليث المقدام فارس بني هاشم **سيدنا محمد بن الحنفية**³ ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفضائله مشهورة. وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس إلى

¹ - مخلاف من مخاليف مكة، على مرحلتين منها، وقيل بينهما ستون ميلا، وإحدى القرينتين المذكورتين في القرآن، وكان اسم الطائف وج، نسبة إلى وج بن عبد الحي من العمالة، ثم سكنتها ثقيف، فنوا عليها حائطا مطيفا بها فسموه الطائف... وكان رسول الله ﷺ حاصرهم وقتلهم لمعاقدتهم مع هوازن يوم حنين، ثم أخبره بأنه لم يؤذن في ثقيف، فرجعوا إلى أن أسلموا بعد ذلك... الروض المعطار (ص378). وقول صاحب الروض إنها إحدى القرينتين المذكورتين في القرآن، الآية 31 من سورة الزخرف (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم). قال ابن كثير (يعنون مكة والطائف)، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي ومحمد القرظي وابن زيد. مختصر تفسير ابن كثير (ج2 ص289).

² - لم أعثر على هذا الحديث. والمعروف هو قوله ﷺ (إني أحرم ما بين لابتي المدينة...). أحمد - مسند المبشرين - 1020.

³ - أبو القاسم من أبطال الإسلام، أخو الحسن والحسين من الأب، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، كان واسع العلم، ورعا، أسود اللون، خرج إلى الطائف هاربا من الزبير، فمات هناك سنة (81هـ). الطبقات الكبرى (ج1 ص31). حلية الأولياء (ج1 ص292). وفيات الأعيان (ج4 ص169). تهذيب الأسماء واللغات (ج1 ص88).

الطائف مذكور في التواريخ¹، فلا نطيل به. وبإزاء قبر ابن عباس قبر يقال إنه قبر عبد الله الطيب الطاهر ولد النبي ع، والناس يتبركون به بهذه النية.

ومنها المسجد الأعظم نفسه، فإنه في محل نزول عسكر النبي ع عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين². وفي صحن المسجد مسجد صغير، يقال إنه منزل النبي ع في الحصار المذكور. وفيه محل يقال إنه محل قبة أم المؤمنين أم سلمة³ وقبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما. لو/415/ وخبر حضورهما معه في هذه الغزوة وأنه اتخذ لكل واحدة قبة ومصلاة ع بين القبتين مذكور في كتب السير⁴.

وأثار حصن ثقيف الذي انحازت إليه بعد الهزيمة وحوصروا فيه باقية إلى اليوم. وقريب من ذلك محال متعددة فيها آثار في الصخر الصلد كأثر ظلف الغزالة، والناس يتبركون بها، ويقولون إنها أثر

1- انظر باب ذكر حال ابن الحنفية مع ابن الزبير ومسير الجيش من الكوفة، وإلحاق ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال إلى مكة وخروج هذا الأخير إلى الطائف، وإغلاق ابن عباس على ابن الزبير والتحاقه بالطائف. الكامل في التاريخ (ج 3 ص 375 و 376).

2- حنين اسم واد بين مكة والطائف، وبه كانت الوقعة المذكورة في القرآن الكريم ضد هوازن في شوال السنة الثامنة للهجرة، قال تعالى: (ولقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) الآية 25 - سورة التوبة. إتحاف الوري بأخبار أم القرى (ج 1 ص 526 وبعدها). انظر أخبارها في السيرة النبوية لابن هشام (ج 5 ص 104). تاريخ الخميس (ج 2 ص 99).

3- هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية، أم سلمة، كان زوجها قبل الرسول ع، عبد الله بن عبد الأسد المغيرة الصحابي، وكان تزوجها في السنة الرابعة للهجرة. (ت 62هـ). الإصابة (ج 8 ص 203). أعلام النساء (ج 5 ص 221).

4- لما فرغ النبي ع من صلح الحديبية طلب من المسلمين أن ينحروا ويحلقوا فلم يقدروا، فدخل على أم سلمة التي كانت خرجت معه للصلح فذكر ذلك لها، فأشارت عليه بأن ينحروا ويحلقوا ففعل ذلك، فلما رأوه انحروا وحلقوا. إتحاف الوري (ج 1 ص 469). الكامل في التاريخ (ج 2 ص 139). وفي سيرة ابن هشام (ج 5 ص 155) عند حديثه عن غزوة الطائف بعد حنين في السنة الثامنة للهجرة (قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أم سلمة بنت أمية، ففرض لهما قبتين ثم صلى بين القبتين، ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله ع عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية - فيما يزعمون - لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض (صوت) فحاصرهم رسول الله ع وقتلهم قتلاً شديداً (...). وقال الواقدي: الأخرى زينب بنت جحش، ففرض لهما قبتين... تاريخ الأمم والملوك (ج 3 ص 133).

غزالة جاءت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه¹ في ذلك المحل، ولم نر لذلك ذكرا في شيء من كتب السير وأخبار معجزاته ﷺ.

ومن المحال التي تزال بالطائف مسجد على شفير الوادي بأعلى البلد فيه شجرة كبيرة أظنها سدرا، لها أصلان متقاربان بينهما مثل ممر الشاة، يقال إنها الشجرة² التي اعترضت النبي ﷺ في طريق له، فانشقت شقتين حتى مر بينهما ليلا تعنته حتى يمر يمينا أو شمالا. وخبرها مذكور في بعض الأحاديث. ولم أر من ذكر أنها في هذا المحل، ولا أنها باقية إلى هذا العهد. وأظن أن حديثها مذكور في معجم الطبراني الصغير، والله أعلم³.

وهناك مسجد آخر على شفير الوادي قريب من هذا يزار أيضا، ولا أذكر الآن شيئا من خبره. فهذا ما علق بذهني من المحال التي تزار بالطائف.

وفي هذا البلد أسواق حافلة يحضرها الناس من أطراف نجد، ويجلب إليها من الحبوب والثمار والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثرته، بحيث يخيل إلينا أنا لم نر مثل ذلك في الكثرة في أسواق الأمصار العظيمة.

ولم تطل إقامتنا في هذا البلد لقرب زمان الموسم، ولأننا وجدنا به مرضا كثيرا فاشيا في أهله. وأخبرونا أن ذلك شأنه في السنة التي تكثر أمطارها كهذه السنة. وإنما كانت إقامتنا فيه بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة. وخرجنا منه ليلة السبت قريبا من نصف الليل على طريقنا التي مررنا عليها ذهابا. ووصلنا قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد بعد طلوع الفجر. ونزلنا حتى توضأنا وصلينا. وأحرمت

1- انظر خبر الطيبة التي كلمت الرسول ﷺ مرويا عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ، وفي الخبر أنها هتفت عليه وطلبت منه أن يطلق وثاقها لترضع خشفيها ثم تعود، فأطلقها فذهبت وعادت، فقال له صائدها هل له فيها من غرض، فأخذها رسول الله ﷺ وأطلقها فذهبت تعدو وتضرب برجلها الأرض، وتشهد بالله وبرسوله. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (ج2 ص313).

2- ورد في محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار خبر الشجرة التي سلمت على رسول الله ﷺ بعد أن طلب منه أحد معتنقي الإسلام أن يريه معجزة ليزداد يقينا، فدعا الشجرة، فمالته على جانبها وقطعت عروقها وأتت النبي ﷺ وسلمت عليه وطلبت منه أن تقبل رأسه ورجليه ففعل، وطلبت منه أن تسجد له وأبى وقال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها. (ج2 ص253).

3- لا يوجد خبر ذلك في معجم الطبراني الصغير.

من هناك بعمره. ولم أغتسل للإحرام لبرد الماء والهواء، بل اقتصر على الوضوء.

لطيفة: كنت قبل ذلك كثيرا ما أطيل الفكر في مسألة من الحقائق تتعلق بوحدة الوجود الذي يقول به كثير من محققي الصوفية كالشيخ محيي الدين وأتباعه، فلا ينقدح في قلبي من فهمها شيء يثلج له القلب وينشرح له الصدر. فلما كان وقت السحر من هذه الليلة أطلت الفكر فيها على عاداتي، فكشف لي من معناها الموافق لكلام الأئمة ما لم يخطر لي قبل ذلك على بال، وانشرح الصدر لقبوله لأنه لم يعارض نص كتاب ولا سنة. ففرحت بذلك وحمدت كثيرا. وتعجبت من ذلك كيف اتضح من دون إلقاء أحد ولا تبينه، وقد تعسر قبل ذلك مع تقرير المشايخ وتبيينهم. ثم وقع في نفسي أن ذلك لعله لخاصية في المكان؛ كما ذكر الشيخ محيي الدين في "الفتوحات" أن الفتح يسرع في بعض الأمكنة بالخاصية. ثم ردف ذلك خاطر آخر يشهد لصحة هذا الظن؛ وهو ما ورد في قضية عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، إذ عرض نفسه على ابني عبد ياليل وإساءتهما إليه، وأنه قال: (فانطلقت مهموما ولم أستفق/لو416/ إلا وأنا بقرن الثعالب، فإذا بملك الجبال) ¹ إلى آخر الحديث. ومعلوم أن استفاقته إنما هي بالترقي من مقام إلى مقام أعلى، وأن ذلك الترقي حصل له في ذلك المكان، بدليل ما عقب ذلك من الرحمة التي استولت عليه، إذ أجاب ملك الجبال حين قال: (إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين) ² فقال عليه السلام: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا).

¹ - نص الحديث: عن عائشة أنها قالت لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فظننت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا). صحيح البخاري - بدء الخلق، حديث 3231. صحيح مسلم - كتاب الجهاد - باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث 3352. السيرة النبوية (ج2 ص270).

² - الأخشبان الجبلان المطيفان بمكة وهما أبو قبيس والأحمر وهو المشرف على قيععان. لسان العرب - مادة خشب.

وانظر هذه الرحمة العظيمة والشفقة العميمة التي استولت عليه بعد ذلك الهم الذي انطلق معه بلا شعور؛ فلا تسأل عن شدة المقام الذي انتقل عنه وسعة المقام الذي انتقل إليه. فما أجدر هذا المكان الذي حصل فيه هذا الترقى لسيد الوجود. بأن تكون خاصيته الفتح القريب في الأمر الغريب. والعلم عند الله تعالى.

ثم صلينا الصبح في الميقات وذهبنا ومررنا على القهوة التي بتنا بها قبل طلوع الشمس. وانحدرنا مع العقبة الكؤود، عقبة أكدي المتقدم ذكرها. وتعجبنا من صعود إبل أهل ذلك البلد فيها وهبوطها بأحمال الفاكهة الثقيلة، مع كثرة الأوعار وتضايق الصخور الكبار مع الأحجار المعترضة فيها المشرفة على المهاوي البعيدة. وما وصلنا إلى القهوة التي بسفح الجبل حتى اشتد النهار وحمي وطيس الهجير، فاتقينا بأخصاصها وهج الظهيرة إلى أن فاء الفيء. فأثرنا الركاب وعالجنا بقية الحر في التلوي مع أطراف تلك الشعاب. وما وصلنا وادي نَعمان الأراك إلا بعد العصر. وسائرناه مع العشي مسaire الخل الرفيق والخر العشيق؛ نكرع من عيونه المترعة التي هي من أصل الساقية المتقدم ذكرها. إلى أن وصلنا إلى القهوة التي هي على حد بسيط عرفات بين العشاءين. ونزلنا بها في أرغد عيش حول عين من الساقية تجري على وجه الأرض. وصلينا صلاتي العشاء، وتعشينا، ثم أغفينا إغفاءة.

ثم ارتحلنا قريبا من ثلث الليل الآخر. ومررنا بنمرة¹ ثم بالمأزمين² ثم بجمع³ ثم ببطن محسر⁴، كل ذلك ليلا، فطلع الفجر ونحن بمنى⁵. فدخلت مسجد الخيف¹ وصليت الصبح، وليس به داع ولا

1- ناحية بعرفة نزل بها النبي ع، وقيل: الحرم من طرق الطائف على طريق عرفة، وقيل الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمين الخارج من المأزمين يريد الموقف. معجم البلدان (ج5 ص352).

2- المأزمان بين عرفة والمزدلفة، والمأزم المضيق والطريق بين الجبلين. الروض المعطار (ص517).

3- هي المزدلفة وكلها مشعر إلا بطن محسر، ومنها تؤخذ حصي الجمرات، وفي مسجد المزدلفة يجمع بين المغرب والعشاء إذا نفرت من عرفات، وقالوا: سميت المزدلفة للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء، وعن علي رضي الله عنه قال: لما أصبح ع وقف على قزح وقال: هذا قزح وهذا الموقف، وجمع كلها موقف. الروض المعطار (ص171).

4- هو واد بالمزدلفة. وفي صحيح مسلم (إن النبي دخل محسرا وهو من منى). كتاب الحج، حديث 2248.

5- جبل بمكة يذكر ويؤنث، ومنى القرية على ضفتي الوادي النازل من عرفات، وفي وسط الوادي جمرة العقبة، وبداخل منى تلقى الجمرة الثانية ثم الثالثة، وأيام منى مذكورة في

مجيب، وقد كان في وقت الموسم ربما لا يجد الإنسان أين يضع جبهته من الأرض أحيانا لكثرة الزحام. وتأملت بسيط منى وشعابه، وتبينت سعتها وامتدادها، وكانت في أيام الموسم ربما يُخيل إلى الناظر ضيقها لكثرة الخلق. ومن رأى منى وما حولها من الأماكن في غير أيام الموسم علم حسن تشبيه من قال: من أراد أن ينظر إلى الدنيا بعد انقراض أهلها فلينظر إلى منزل الراكب بعد ارتحاله. ومنى في أيام الموسم هي الدنيا بأسرها؛ قصور عالية وأسواق حافلة، وجنود مجندة وملابس فاخرة، وأطعمة شهية ومراكب هنية، وبضائع غير معدودة ومتاجر ثمينة، إلى أنواع العبادات من تكبير وتهليل وصلاة وقراءة ونحر وذبح وإطعام طعام ورمي جمار. وما الدنيا محمودها ومذمومها إلا ما ذكرنا، ولا تمر على ذلك كله ثلاثة أيام حتى لا تحس منهم من أحد ولا (تسمع لهم ركزا)²؛ فلا ترى في منازلهم إلا عظاما نخرة وخرقا بالية، وفضلات منتنة و(غشاء أحوى)³ وقتاما أغبر تسفيه الريح وتذروه. وهذا هو المثال الحقيقي للدنيا. فلينعثر أولو الأبصار، من سكان البادية والأمصار.

ثم دخلنا مكة ضحى يوم الأحد، وأحلت من عمرتي. ووجدنا مكة قد غصت بساكنيها، والوفود ترد عليها من كل أوب، والله المنة.

القرآن وهي الأيام المعلومات يوم النحر واليومان بعده، وفي سفح الجبل على جمره العقبة مسجد في حائطه من ناحية الجنوب حجر مبسوط أدكن فيه أثر قدم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وفي هذا الموضع في عرض الجبل أثر مجر الكبش. الروض المعطار (ص552).

1- لقد تحدث الكثير من الرحالة عن هذا المسجد، وقد أصابه التلف والخراب في عهد العبدري حيث ذكر أنه أصبح مطرحا للأقذار وبقايا الجزارة مما يبعث رائحة كريهة وأن حيطانه اسودت من إيقاد النار، وأنه أصبح كالمطبخ الرحلة العبدرية (ج2 ص387). أما في عهد التجيبي فقد امتد إليه العمران والتجديد. رحلة التجيبي (ص343). وقد حدد ابن جبير والبلوي موقعه في آخر منى ثم تليه آثار قديمة ممتدة. رحلة ابن جبير (ص133). تاج المفرق (ج1 ص316).

2- سورة مريم – الآية98. الرُّكُز: الصوت، صوت الإنسان تسمعه من بعيد نحو ركز الصائد إذا ناجى كلابه. لسان العرب – مادة ركز.

3- إشارة للآية 5 – سورة الأعلى (والذي أخرج المرعى فجعله غشاء أحوى).

لـ 417/ ذكر من لقيته بمكة من الأفاضل أيام المجاورة، وذكر بعض من لقيته من الإخوان وما اقتبسته من الفوائد في خلال ذلك

فمن لقيته بمكة عالمها وابن علمائها مفتي الشافعية وإمام المقام، شيخنا زين العابدين الطبري الحسيني¹. ولم يتيسر لي قراءة شيء عليه في هذه المدة. وقد طلبت منه ذلك فاعتذر بكثرة الأشغال ومباشرة خطة الفتوى. وقد كان السيل الذي ذكرنا خبره قد اجتاح جانبا من إيوان داره، فاشتغل ببنائه، ولم يمكن إلا مجرد اللقاء والتبرك بدعائه. ولما كتبت الاستدعاء الذي استدعيت فيه الإجازة لي ولإخواني من علماء الحرمين كان هو من كتب عليه. وسيأتي نص ما كتب في آخر الرحلة عند ذكرنا للرسالة التي جمعت فيها كتاباتهم. وقد كنت لقيته سنة أربع وستين وقرأت عليه ما تيسر وأجازني. وأسانيده مستوفاة عندي في "اقتفاء الأثر" وفي "تحفة الأخلاء"².

وممن انتفعت بلقائه، وكان معظم استفادتي بمكة من تلقائه، وجل مروياتي من سماعه وإلقائه، شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، نادرة الزمان، وإمام من ضمه الحرمان، خائض بحار العلوم، ومصير مكتومها من جنس المعلوم. الموفي من الرواية على أعلى ذروتها، بعدما جلس من الرواية على أرفع منصتها. الحائز من علم الباطن أوفر نصيب، بعدما رمى في العلم الظاهر بسهم مصيب. شيخنا ومفيدنا وهادينا ومرشدنا سيدي أبو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري³ رضي الله عنه. أوجد عصره في حسن الأخلاق، وغريب الشكل في أهل دهره على الإطلاق. قائم بحق الله في نفسه وفي معاملة أبناء جنسه، لا تمل محادثته ولا تسأم مجالسته. إن حادثته في أخبار الدنيا أمتعك وفي أحوال الآخرة نفعك. لم ينتسك تنتسك المنتطعين من المتصوفين، ولا

1- زين العابدين بن الشيخ محي الدين عبد القادر محمد الحسيني الطبري (ت 1078 هـ) ترجم له أبو سالم من قبل. اقتفاء الأثر (ص 136). نشر المثنائي (ج 2 ص 170).

2- انظر أسانيده في "إتحاف الأخلاء" النسخة الملحقة بـ (ح م) لوحة 688.

3- لعل للثعالبي ولد اسمه محمد، لأنه مشهور بأبي مهدي. وهو من أكابر فقهاء المالكية في عصره، متصوف شاذلي (ت 1080 هـ). سبق.

استرسل مع العادات استرسال المسرفين. بل سلك في ديانته أقوم سبيل، واقتدى من الكتاب والسنة بأهدى دليل. مع اعتقاد تام في سالكي طريق القوم، واشتراء بضائع علومهم بأعلى سوم. يخضع عند ذكر أحدهم غاية الخضوع، ويخضع عند سماع كلامهم نهاية الخشوع. يسلم لهم غاية التسليم في كل الأفعال والأقوال، حتى ربما عيب عليه ذلك في بعض الأحوال. تلقى من عدة مشايخ، وسلك على طريقهم، إلا أنه لم يعدل عن حزب الشاذلية وفريقهم. فلذلك كان مقبولا عند أهل الباطن والظاهر، كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهير. لا يملك عينيه إذا ذكرت الآخرة وأهوالها، ولا تستفزه نضارة عيش الدنيا وأموالها. لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستتكف عن مجالسة الفقراء. لا يسأل الناس شيئا من أموالهم، ولا يرد ما آتاه الله من نوالهم. قاسى في أول مجاورته من الفقر شدة، فاتخذ الصبر عُدَّة. فلم يكشف قناع وجهه لطلب نوال أمير، وقنع بالكسرة والماء النмир¹. ثم اشتهر بعد ذلك أمره، وظهر للناس خيره. فانثال الناس عليه من كل جانب، وبُسط له في الرزق. وأشربت قلوب الخاصة والعامة محبته. وعكف في آخر أمره على سماع الحديث وإسماعه، فجمع من الطرق العوالي والأسانيد الغريبة والفوائد العجيبة ما لم يجمع غيره، وكتب الكثير وسمع وأسمع من المسانيد والمعاجم والأجزاء ما لم يتفق مثل ذلك ولا قريب منه لأهل عصره.

وكان أول نشأته رضي الله عنه في بلاده، من وطن الثعالبة قومه، وهي من عمالة الجزائر بإفريقيا، وعشيرته ينتسبون إلى الإمام جعفر² ابن أبي طالب رضي الله عنه. ومنهم الشيخ العالم الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي³ المشهور رضي الله عنه. ثم نشأ في حجر أبيه وجده، وحمله على الاشتغال بالقراءة، فقرأ في بلاده على فقهاءها. فاشتأقت نفسه إلى طلب العلم. وسمت همته إلى ما تقاصرت عنه همم أهل وطنه من الإفادة والاستفادة. فدخل الجزائر وقرأ على علمائها وتبرك

¹- قال الأصمعي: النмир النامي، وقيل: ماء نмир أي ناجع، وقيل الكثير. وفي حديث أي ذر رضي الله عنه: الحمد لله الذي أطعنا الخمير وسقانا النмир. لسان العرب - مادة نمر.

²- جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط الرسول ع، وهو سادس الأئمة الإثني عشر عند فرقة الإمامية (ت 148هـ) سبق.

³- عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري أبو زيد، مفسر له الجواهر الحسان في تفسير القرآن والأنوار وجامع الأمهات في أحكام العبادات... (ت 875هـ). هدية العارفين (ج 1 ص 532). الاعلام (ج 3 ص 331).

بصلحائها. /لو418/ وكان من مساعدة القدر له على ما رامه من ذلك أن صادف دخوله للجزائر بقصد القراءة وصول العالم العلامة حافظ وقته، سيدي علي بن عبد الواحد الأنصاري الفيلاي¹ إليها، وإقباله على نشر العلم بين أهلها وتصديه للتعليم بكليته وحصول القبول التام له عند عامتها وخاصتها. فاتصل به الشيخ أبو مهدي ولازمه لزوم الظل للشاخص، وخدمه خدمة الراغب الناصح، حتى اختص به وصار من عليّة أتباعه، وحظي عنده الحظوة التي ليس فوقها شيء؛ فزوجه ابنته وصار من جملة أهل بيته. وهو في خلال ذلك لم يدخر عنه من علومه شيئا إلا أبداه له. وقرأ عليه كتباً عديدة في علوم كثيرة، استوفى ذكرها في فهرسته المسماة "بكنز الرواة"². وكان مع لزومه لشيخه المذكور ينتفع بغيره في بعض الأحيان.

وممن انتفع به من أهل الجزائر أيضا عالمها وصالحها ومفتيها العلامة المشارك المسن سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة³، أجاز له جميع ما يرويه عن شيوخه. ومنهم سيدي سعيد المقرئ⁴ رضي الله عنه. ولم تزل حال شيخنا سيدي عيسى مع شيخه تترقى إلى أن وقع له ما أوجب تطبيق ابنة الشيخ بأمر والدها. فلم ينقطع مع ذلك عن خدمته وملازمته.

وكانت للشيخ مكانة عليّة عند والي البلد يوسف باشا، وكان ذا همة عالية وشهامة تركية، ومع ذلك يحب العلماء ويفهم بعض مقاصدهم. فعظمت مكانة شيخنا أبي مهدي عنده أيضا، واتصل به، وكان من جملة خواصه، إلى أن وقع للأمير المذكور ما أوجب عزله عن الولاية وتنقله خارج البلد في عمالاتها. فكان شيخنا في صحبته في كل ذلك إلى أن وقعت أمور وأمور. ومات الشيخ الأنصاري ومات الأمير ومات كثير من أقارب شيخنا أبي مهدي في الوباء الواقع لذلك العهد، وبقي هو

1- أبو الحسن السجلماسي فقيه مالكي، استقر بفاس، ودخل الجزائر، وبها توفي (سنة 1057هـ)، من مؤلفاته المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية واليوافيت الثمينة. شجرة النور (ص308). هدية العارفين (ج1 ص756). الأعلام (ج4 ص309).

2- فصل فيه الثعالبي أسماء شيوخه ومؤلفاتهم ومقرواتهم وأسماء شيوخهم. هدية العارفين (ج4 ص811).

3- تونسي الأصل جزائري الدار، أحد أئمة المعقول والمنقول، له شرح على السلم في المنطق وحاشية على شرح الصغرى للسوسني (ت1066هـ). نشر المثاني (ج2 ص82). هدية العارفين (ج1 ص393).

4- أبو عثمان سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني. جده الأعلى هو محمد المقرئ صاحب النفع، كان حيا سنة (1011هـ). شجرة النور (ص295).

منتقلا في تلك البلاد بين جبال زواوة وقسمطينة¹ وبسكرة² ونواحيها. ثم لقي صالح وقته ببلاد الزاب³ سيدي أحمد بن المبارك الملقب بالتواتي، وهو كبير أولاد سيدي ناجي لذلك العهد. وبقي عنده مدة معظم الحرمة إلى أن مات الشيخ المذكور.

وكنيت إذ ذاك لقبته ببسكرة أوائل سنة تسع وخمسين، ولم آخذ عنه شيئا، وإنما كانت مذاكرة ومحادثة أبانت منه عن عقل ذكي وفضل جلي. ولما توفي الشيخ التواتي ومات إخوانه وأقاربه ولم يبق له علاقة في تلك البلاد، قادت أزمه السعادة، وساقه سائق الإرادة، فألقى في قلبه التوجه إلى الأماكن المختارة لقضاء الحج والزيارة. فتوجه إلى الحج سنة إحدى وستين، فكمل الله عليه فحج وجاور بالحرمين سنتين، وأقبل على نشر العلم وبثه. وكان كامل الأدوات من نحو وتصريف ومنطق وكلام وبيان وأصول. فأعجب أهل الحرمين بحسن تقريره وتبيينه وتحقيقه، فطار له عندهم صيت، وانتشر له ذكر، وتجددت له رغبة في خدمة الحديث النبوي. وكان فيه قبل ذلك من الزاهدين. فأقبل على الرواية والأخذ والسماع، مشمرا عن ساق الجد. فأخذ عن أدرك من علماء الحرمين كشيخنا القشاشي، وشيخنا زين العابدين الطبري وأخيه أبي الحسن، والشيخ عبد العزيز الزمزمي⁴، والشيخ علي بن الجمال⁵، وشيخنا تاج الدين المالكي⁶ /لو419/، والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي المصري⁷، وكان إذ ذاك مجاورا بالحرمين الشريفين. واستقرغ

1- أو قسنطينة بين تيجس وميلة، وهي من مشاهير بلاد إفريقية، كثيرة الخصب، منيعة حصينة. الروض المعطار (ص480).

2- من بلاد الزاب بأرض المغرب، كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار... الروض المعطار (ص113).

3- على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية، به مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة ومياه وأنهار سائلة، ومن مدنها طينة وبسكرة وتهودة، وبين الزاب والقيروان عشر مراحل. وزاب الشيء إذا سال وجرى. الروض المعطار. (ص281).

4- أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي (ت 1072هـ). سبق أن تحدث عنه أبو سالم. نشر المثاني (ج2 ص122).

5- علي بن أبي بكر الجمال المصري الأنصاري الخزرجي المكي الشافعي، فقيه فرضي (ت 1072هـ). له كتاب المجموع الوضاح في مناسك الإيضاح وكافي المحتاج لفرائض المنهاج وقرة عين الرائض في فني الحساب والفرائض. هدية العارفين (ج1 ص759). الأعلام (ج4 ص267).

6- تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المكي، قاضي مكة. (ت 1070هـ). سبق.

7- أبو عبد الله، شمس الدين فقيه شافعي (ت 1077هـ)، له "الجهاد وفضائله". هدية العارفين (ج1 ص290). الأعلام (ج6 ص270).

ما عند هؤلاء من الروايات، فلم يشف ذلك غليل أوامه، ولا أبرأ عليل هيامه، وإنما زاده ذلك نهما في طلبه وتغاليا في ارتياحه وطربه. فرجع إلى مصر بقصد الأخذ عن علمائها والتبرك بصلحائها. فاستوطنها سنة أربع وستين وخمس وستين، فأكثر الأخذ عن شيخنا الإمام شيخ مشايخ الإسلام، إمام المالكية وشيخهم الشيخ أبي الحسن علي الأجهوري¹، وعن المحقق المسن شيخنا شهاب الدين الخفاجي² الحنفي، وعن شيخنا المسند أبي إسحاق إبراهيم الميموني الشافعي³، وعن جملة كثيرة من مشايخ القاهرة. وقيد الكثير، وقرأ من الأجزاء والأسانيد الغربية ما صار به فرد وقته في رواية الحديث. وأعطى القبول التام عند المشايخ وأصحابهم؛ بحيث لا ييخلون عليه بكتاب ولا يضجرون منه عند إرادة سماع، بل كان يخف على قلوبهم ويرتاحون للقاءه. وقد أخبرني أن شيخنا الأجهوري مع أخذ الكبر منه غاية وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات كان إذا دخل عليه يبتدئه قبل أن يطلب منه السماع، فيقول له: شَفِّ الأسماع. علما منه أنه لا يأتي إلا لسماع حديث أو رواية غريب. وما دخل على أحد قط من المشايخ فيخرج إلا بفائدة له وللحاضرين. ولو قيل إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم، لم يبعد. لأن غالب استفادته منهم إنما هي الرواية، وهم يستفيدون منه في درايته وتحقيق معانيه.

وقد أخبرني أن الشيخ البابلي كان يقول له: ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ المقرئ ولا أدكى منك. فأقول له: يا سيدي، إنما تقول ذلك لأنصافك.

ثم ارتحل شيخنا أبو مهدي بعدما قضى حاجته من القاهرة إلى الصعيد للقاء الشيخ الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدي أبي الحسن علي المصري رضي الله عنه. فتلقى منه وقرأ عليه من مصنفاته في القوم، وسمع عليه الحديث. وقد لقيت شيخنا أبا مهدي بالقاهرة في آخر سنة أربع وستين وأوائل سنة خمس وستين وأخذت عنه، وتلفتت منه، وسمعت منه ما تيسر، ورافقته في السماع من بعض المشايخ. وكان

1- علي بن محمد بن عبد الرحمان بن علي، أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري المالكي (ت 1066هـ). سبق.

2- أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، شهاب الدين المصري (ت 1069هـ). سبق.

3- (ت 1079هـ). سبق.

لقائي له في أواخر رمضان، فكتبت له يوم الفطر أبياتا أهنئه بالعيد، من جملتها قولي: (المتقارب)

هنيئاً لأهل الصيام الذي حباهم به اليوم مولاهم
لئن جاء إن لهم فرحتين¹ فعندي ثلاث بلياهم

وقد كتبت له أيضاً بعد رجوعنا من الحجاز قصيدة يقدمها نشر أستعطفه وأستعين به على قضاء الوطر من لقاء المشايخ والأخذ عنهم؛ إذ كان أعرف بي منهم وأجراً على الهجوم عليهم مني. وهذا نص ما كتبت له:

/لو420/ إن أولى ما استعمل به الأديب بنانه، وأرسل فيه ولا ريب عنانه. وأحلى ما تغالت فيه النفوس، من مراشف الكؤوس. وأعلى ما استخدمت فيه الأبواب، واستعملت الأوتاد والأسباب. واختير له من الألفاظ أبلغها، ومن المعاني أسبغها، ومن المباني أبرعها، ومن الحلي أبدعها. رسالة تُهدى أو تميمة تُسدى. من طالب شائق أو محب عاشق، إلى شيخ فائق أو محبوب وامق، تُحف بكل لفظ رائق، وتُزف بكل معنى لائق. فإن أصاب فمشكور، ولمثله يقال لصدقه في المقال: مُنحت جواد الفضل مَنْ هو راكبه. وإن أخطأ فمعذور. والعذر من مثله مقبول، والعفو عن زلته مأمول. فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه. وقد تحرك أشعب طمعي، وأجرى أجفان هلعي، أن أهدي قصيدة، وليتها عصيدة. لبعض من تمنطق بالجوزاء علّوا، وأخذ من الفرقدين سُمّوا. وارتدى بالمهابة والديانة، وانتزر بالعفاف والصيانة. وتوّج تاج البهاء والكرامة، ففدّم على رغم الحسود للإمامة.

وهذه القصيدة، وإن أبانت عوّاري، وفضحت ما كنت من الفهامة أوّاري. فربما استحسن منها تفضلاً منه ما استقبح، ورضي منها تكرماً قليل ما منح. فتكون ترميماً لما عفا من رسوم الوصال، وتجديداً لما ارتث من حبال الاتصال. فاغتفرت ذاك لهذا. وهب إن بان نقصي، كان ماذا؟ وأقول تطفلاً، وإن لم يجز فريضة، فتنفلاً. (الطويل)

1- إشارة للحديث (للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه) البخاري - كتاب الصوم، حديث 1771. مسلم - كتاب الصيام، حديث 1944. الترمذي - كتاب الصوم، حديث 697.

إذا غالبتك النائبات فغالـب
أجل الورى قدرا وعلمـا وفطنة
وأحسنهم خلقا إذا ما اختبرته
إمام همـام لا ترى مثله ولو
وبحر نوال لا تغيض زلاله
فحرفته التقوى وصنعتـه الندى
رئيس المعالي نخبة الدهر ماجد
وأفضل من تسمو له همة سمت
علا رتبة من دونها البدر قد غدا
وخاض بحار العلم غير مزم
فكم صاغ من در يقل نظيرها
وكم نثرت سلك البلاغة كفه
بحقك انصت هل سمعت بفاضل
فليس له مأوى تراه به سوى
فلا تلتفت يوما لقول عداته
يوفي لكل من ذوي الحق حقه
إذا رمت منه القرب يوما لحاجة
وليس من الاطراء إن قلت إنه
بفخر فحول العلم عيسى الثعالبي
وألينهم عطفـا على كل طالب
وبدر سماء المجد صدر المقانب
ضربت جميع الأرض جم
اللقاة ولو كثرت وراده كف ساكب
ومكسبه التفويض خير المكاسب
وعقد لآلى الحمد تاج المراكب
ودانت لأدناها عوال الكواكب
وزاحم فيها المشتري بالمناكب
على مركب الإنصاف أنجى
اللقاة ولم تبتذلها قبله كف ثاقب
وكم نظمته بالنجوم الثواقب
سناء سواه ساطع الدهر ثاقب
صدور الكراسي أو بطون
اللقاة ولو نقنقت منهم شيوخ محارب
ويخضع للمولى بصدر مراقب
فلا تغل في الاطرا وسدد وقارب
لأفضل من مدت له كف راغب

هو الفذ في كل العلوم وإنه
وما قلت ذا ظنا ولكن لخبرتي
فكم من تأليف له يهتدى بها
لمذهبه فخر به ومكانة
حباه الذي حلاه علما وحكمة
وبلغه في كل ما رام عاجلا
وبوَاه في دار الكرامة آجلا
وعقباه عند الله خير العواقب

/لو421/ وقد أجابني عن هذه الأبيات بما نصه:

الحمد لله. يقول كاتب الأحرف المسمي نفسه آخرًا: إن صاحبنا الأديب البليغ الناظم الناثر، ريحانة الآداب، وواسطة الأحساب. سيدي عبد الله ابن محمد بن أبي بكر العياشي وصل الله إكرامه، وبلغه من محمود المقاصد مرامه. خاطب العبد الفقير بقصيدة متمكنة الأعجاز والصدور، مسبوقة بأسجاع متناسقة، ولا تناسق القلائد في النحور على الصدور. فجرى قلم فكري الفاتر وذهنه القاصر، شاكرًا لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عن مباراة صاحب الأرضي، البائنة عن صوب معاهد البلاغة، إن لم تنظر بعين المسامحة والإغضاء. وهي هذه: (الطويل)

حبًا بابنة الفخم العلى والمناقب
أنت تتهادى في مروط ملاحه
وتأنف أن كانت يتيمة دهرها
ولا بدع في إعجاب بكر محاسن
فريدة فرد في امتطاء المناصب
تجررها تيهًا على كل كاعب
جمالًا بديعًا عن إجابة خاطب
من ابن أبي بكر أنت بعجائب

1- في (خ ع) [ممن].

سرت غررا في مشرق آي كما بهرت من مغرب بغرائب
وقد يمت فضلا عديم كفاءة^{١٠} وعاطل جيد من حُلَي المناقب
أباحته له وهي المنوع جمالها ودانت وما كانت تدين لراغب
فأهلا بها بكرا عربا قد أعربت قضايا ثناها عن براعة عارب
ومنت وما منت بود مؤيد بجازم عقد واجب غير واجب
فيا روح آداب وشخص فضائل وناظر أحداق الذكاء لطالب
جزيت بما أسديت أفضل منحة وبلغت من رغباك أسنى^{١١}
قاله وكتبه العبد الفقير إلى مولاه، الطامع في واسع رحماه، عيسى
بن محمد الثعالبي الجعفري.

وممن أجاب عن قصيدي المتقدمة أيضا صاحبنا الفقيه النبيه سيدي
أحمد القصري الملقب بالسبع، وكان إذ ذاك بالقاهرة معدودا من جملة
أصحاب شيخنا أبي مهدي. فكتب إلي قصيدة طويلة في روي قصيدي
ووزنها، تركت إيرادها أطولها ولما وقع من الانحلال في كثير من
أبياتها. فأجبتة عنها بأبيات هذا نصها: (الطويل)

أتاني نظام كالنجوم الثواقب أو الدر يجلى في نحر الكواعب
أو الزهر المزهو في الروض قد تصافح أعلاه أكف السحائب
فما هو إلا البدر أشرق نوره^{١٢} فأبدى لنا وجه الضحى في
أو الراح أبدت للعيون حبابها وقد أخذت بالثأر من عقل شارب^{١٣}
بسحر حلال واضح نفتت به قريحة خل واقد الذهن ثاقب
إمام همam فاضل متبين أديب زكي الأصل جم المناقب
ليهن بلاد الشرق وما افتخرت به قديما عليها منه أقصى المغارب

لو422/ فلا تعجبوا من غربة
وقدما نبث بالأكثريين ديارهم^{هـ}
فكم من غريب حل بعد اغترابه
هزبر العلوم اللوذعي ومن غدا
إذا أغبرت الهيجاء واحمرت القنا
هنالك يبدو حاسرا غير دارع
فيوضح منها مشكلا ويزيله
ودانت له صعب العلوم بأسرها
هو العلم الفرد الذي بجنابه
جزاه إله الخلق ما هو أهله
ولما قضى نهفته من بلاد مصر واستقرغ ما عند علمائها، كر^{الـ}
راجعا إلى الحرمين فاستوطنهما وألقى عصاه بهما، وقر عينا بتلك
البقاع المطهرة، كما قرت به عينا. ونادته السعادة: هنا امكث أزمننا.
فتفرغ حينئذ لجمع ما كتب، ونشر ما جمع¹ وما كتب، وإقراء ما قرأ
وإسماع ما سمع. وجمع من عوالي السند وغرائب المسلسلات ونوادير
التواريخ ما تقاصرت عن أدناه همم أهل زمانه. وتتبع الخزائن الكبار
بمصر والحجاز؛ فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيد الكثير منها،
وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث، وما فوق ذلك إلى
العشاريات² من كثير من المصنفات والجوامع والمسانيد والأجزاء

1- في (ح م) [نشر ما جمع وما كتب] وفي (خ ع) [لجمع ما جمع ونشر ما كتب] والتصويب من هامش (خ ع).

2- لقد اعتنى أهل الحديث بتخريج العوالي في نقل الأحاديث، وتباروا في الوصول إلى أرفعها درجة وأسناها، طلبا للإسناد العالي ورغبة في القرب من الرسول ع، وذلك لأن علو الإسناد طريقة مرغوبة مبعدة من الخلل في السند، لذلك قام المحدثون بتخريج عواليهم فخرجوا الوجدانيات والثنائيات والثلاثيات... حتى العشاريات، أي راو واحد أو ثان حتى العشرة

بحسب أزمنة مؤلفيها. فينتقي من كل مصنف أعلى ما فيه. وضبط من الأسماء والأنساب ما قل أن يوجد عند غيره. وأظهر من طرق الرواية ما كان عند غيره مخفياً.

وبالجملة، فهو نادرة الوقت ومسند الزمان. ولما علمت أنني وإن اجتهدت فوق طاقتي وطُفْتُ ما عسى أن أطوف على المشايخ لا يمكنني أن أجمع ما جمع، ولا أن أحصِلَ من النفائس ما حصل، رأيت أنه قد كفاني المؤونة، وأن الله قد جمع لي ما كان مفرقاً في واحد. فرأيت كل العالمين كأنما رد الإلاه نفوسهم والأعصرا. فعكفت على القراءة عليه والسماع منه. فيسر الله تعالى أن قرأت عليه وسمعت في أزمان قليلة ما لم يسمع غيري في عمره. وكُفِيتُ مؤونة تقييد الأسانيد بموافقتي له في كثير من شيوخه، وكثرة ما جمعت من ذلك قبلُ بحمد الله، وإن كان دون جمعه. مع تحصيلي لفهرسته المسماة بـ "كنز الرواة"¹. وهو تأليف سلك فيه مسلكاً عجيباً، ورتبه ترتيباً غريباً. جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً، وهو إلى الآن لم يكمل، وإذا منَّ الله بإكماله يطلع في عدة أجزاء. والمسلك الذي سلك فيه أنه رتبه على أسماء شيوخه؛ فيبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ وذكر مؤلفاته ومقروءاته وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك. ثم يذكر قراءته هو عليه وما قرأ عليه من المؤلفات. ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف؛ فيكتب شيئاً من أوله. ثم يعرف بمؤلف ذلك الكتاب أبسط تعريف. مع ما يستتبع ذلك من الفوائد والضبط. وكذلك يفعل في كل شيخ من شيوخه، وفي كل مؤلف قرأه عليه أو شيئاً منه. فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأئمة المؤلفين وأسانيد مؤلفاتهم. وذلك مما يدل على اعتناء عظيم وحفظ تام ومطالعة واسعة. والحاصل أن هذا المؤلف نزهة الناظرين، وغبطة السامعين، ورغبة الطالبين.

/لو423/ وقد وهب لي خليلي الشيخ حسن بن علي العجيمي نسخة بخطه مما وجد من هذا المؤلف، وأجازني به مؤلفه وناولني. وسألته: هل سمَّيته؟ فقال لي: ما سمَّيته شيئاً ولا وضعت في أوله خطبة. وقال لي: أريد منك أنت أن تضع له خطبة في أوله وتسميه. فتعلتُ

في السند. ونذكر منها: كتاب الوجدانيات لأبي حنيفة الإمام، كتاب الثنائيات للإمام مالك في الموطأ، رباعيات الإمام الشافعي، خماسيات البزار. عشاريات الترمذي والنسائي.
¹ - "كنز الرواة من درر المجاز وواقيت المسموع" وهذا الاسم سماه به أبو سالم بطلب من صاحب الفهرس أبي مهدي عيسى الثعالبي، كما سيأتي.

واعذرت، فلم يقبل عذري. فلما رأيت أن الأمر منه جدّ، قلت له: أليكون ذلك على لساني أم على لسانك، فإن لكل مقام مقالاً؟ فقال لي: أيهما شئت فافعل. فقلت: إن الذي في خاطري إنما يتيسر لي على لساني. فقال لي: انهج أي طريق شئت. فأخترت أن يكون ذلك على لساني، ليتيسر لي ما أردت من الثناء على المؤلف والتأليف. وهذا نص ما كتبت له مستعينا بالله:

بسم الله الرحمن الرحيم. إن أصح ما يستند إليه الضعيف من حسن الأعمال، وأعز شاهد يعتبره العقل ويتابعه النقل على بلوغ الآمال، حمدُ العزيز الفرد المطلق في كل أمر ذي بال، على ما تسلسل واشتهر واستفاض من آلائه عند كل ذي بال. ونشكره¹ على ما تواتر على العالي والنازل، من آحاد خلقه من مقبول الإفضال، وتحمُّله الأبناء عن الآباء من منِّه على التفصيل والإجمال. وأفضل صلاة وسلام على خير مرسل على غيره عند الله مرفوع، وأكمل من أدرج في خلقه كل مفرق من الكمال ومجموع. فالإله ينتهي كل مروي من الفضل ومسموع، وبيعته كل منكر متروك وموضوع. وكل رشاد موصول غير مقطوع ولا ممنوع. أنزل الله عليه أحسن الحديث كتاباً متشابهاً. وأخمل بظهوره ما كان من الكفر والضلال نائياً. وعلى كل هاد من أصحابه وسائق، وكل سابق من آله ولاحق، وكل تابع لهم بإحسان غير ملحد في الدين ولا مارق، وعلى كل حامل للدين بعدهم غير مجانب للجماعة ولا مفارق. خصوصاً عصاة أئمة الأثر، السالكين بعدهم على الأثر. الناظمين من درر الحديث في سلك الرواية ما انتثر، والمجددين لما عفى من رسومه واندثر.

هذا وإني قد جبت غالب البلاد بتسياري²، وحككت جل المنتحلين للعلم بها على معياري، وأسبُر غور أنجادهم بمسباري، وأسبِمُ بواتر سيوفهم بمصماري، وأسابق بين جيادهم في مضماري. عسى أن أصادف سيفاً منهم مع مقارعة النوائب لا ينبو، وجواداً إذا تصادمت الفرسان في الميدان لا يكيو. تكون له قوة إقدام على تفريق كئائب المعقولات، وجمع شوارد المنقولات. متضلعا من علوم الرواية، جامعاً لفنون الدراية. أجعله في فتح مغاقل المشكلات أميري، وأتخذ كلامه في

¹- مكررة في (ح م).

²- في (خ ع) [يتسياري].

وحشة الجهل سميري. وأصعد في سُلَّمه إلى غرف من الرواية، فوقها غرف من الدراية، تجري من تحتها أنهار من الرعاية. وأستغني بتطوافه على أعلام الرواية عن تطوافي وتردادي، وبجُوبِهِ لمهامه الدراية عن تجوابي وإِسْنَادِي¹. يكون مانعا جامعاً، وجامعاً لا مانعاً. يغني بعلمه ويُقْنِي²، ويقرب بفهمه ويُدْنِي. ويُوْنِس ولا يُوْنِس بخُلُقهِ ولا يُوْنِس، ويقوم على ساق الجد ولا يجلس، ويطلق عنان التقرير ولا يحبس. فلما كاد ظلام اليأس أن يكسف نور رجائي، وأخذ الوهم في إقصائي عن نيل المطلوب وإرجائي. هممت أن أميل إلى بعض القرى، وأستبدل من فوائد الإقراء موائد القرى. وأقتصر من التعليم على ما لا بد لي منه، ولا غنى لي عنه. وأتخذ لأورادي سبحة، ولا أطلع من أوراقى صفحة. ولم أزل في أمري متحيراً، ولَمَّا أُنْتَحِله من النحل متخيراً. إلى أن هَنَقْتُ بي هواتف السعادة: /لو424/ إِنَّ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِنْ أَقْوَى الْعِبَادَةِ، فَلَا تَنْتَرِكِ الْإِسْتِفَادَةَ وَالْإِفَادَةَ، وَامْرُجِ الطَّلِبَ بِالْإِرَادَةِ. وَاتَّخِذِ الْعِزْمَ إِمَامَكَ، فَالَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ. وَأَمَّ أُمَّ الْبِلَادِ، وَابْذُلْ فِي ذَلِكَ الطَّرِيفِ وَالتَّلَادِ. عَسَاكَ تَصَادَفَ هُنَاكَ بَعْضَ بُغْيَتِكَ، وَإِلَّا فَانْتَ عَلَى نَبْتِكَ فِي أُوبَتِكَ.

فلما بلغت البيت العتيق، وتضمخت بمسكه الفتيق. طفقت أتصفح الوجوه ببصري، وأسم البصائر بميسم فكري. فبينما أنا كذلك متفكر إذ حانت من فكري التفاتة متذكر إلى إمام الحرمين الشريفين، وعلم المغربين والمشرقين. فارس المنابر، ومخدوم الأقلام والمحابر. جامع أشتات العلوم النقلية، ومبرز خفايا لطائف الآراء العقلية. محيي رسوم الرواية بعدما عَفَّتْ آثارُها، ومشيد مبانيها الأنيفة بعدما انْهَدَمَ منارُها. وسالك مسالك أئمة السلوك، ومالك ملاك أمره في مجانبة الملوك. وهالك في محبة الله مستهلك فيه عن كل هالك وهلوك. المهاجر في الله وبالله وإلى الله عن أهله وبلاده، السائر بسيرة الإنصاف والتواضع لله في عباده. حامل راية الهداية في موكب الولاية، بكف العناية لأهل البداية والنهاية، المقتبس له بالإشارة على سبيل البشارة، من صريح العبارة، في قول خير من ركب عيسا: (لا مهدي إلا عيسى). ولا بدع

1- السَّادُ المشي، والإِسَادُ سير الليل كله لا تعريس فيه، وعكسه التَّوَيْبُ سير النهار لا تعريج فيه. لسان العرب - مادة سَاد.

2- من أَقْنَى يقني أي أعطى ما يذخره بعد الكفاية. ويقال: قَنَيْتُ به أي رضيت به. لسان العرب - مادة قَنَا.

في إشارة مثاره، لا تعفي من الظاهر آثاره. لنكتة لا تنكر، وقد لا تذكر. شيخنا الفهامة، ومعلمنا العلامة، **أبي مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري**، رأس مقانب¹ العلوم العبقري. نسب عريق في السيادة، مثمر للمتقين. ولا يزال كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين². لا زال وأغصان دوحات علومه يتفياً ظلالها العفاة، وحواس إدراكه المدركات لخفي المدركات سالمة من كل الآفات.

فلما ألقى في روعي ما ألقى من أمره، علمت أنه الحق الذي لا معدل عنه إلى غيره، فصرفت عنان الاعتناء لاجتناء جنى ثماره، وحدقت بصر البصيرة في استطلاع شوارق أقماره، فاستجزته، ولم أكن به قبل. وإن كنت ممن يخبر فيه خبيراً، فوجدته قد حصل من العلم والعمل والذوق جانباً كبيراً. فهزني ما خبرت منه وشاقني، وقادني إلى التلمذ له برقبتي وساقني. ثم قال لي الوهم: جدد النظر ولا تقلد ما يبدو للبصر، فإن الحس قد يغلط، والغث بالسمين قد يختلط، (فارجع البصر هل ترى من فطور)³ أو خلل، (ثم ارجع البصر كرتين)⁴ بلا ملل. فرأيت أن قوله الحزم، والأمر الجزم. فعاودت النظر كرة ثم أخرى، فوجدته أحق بأكثر مما ظننت فيه وأحرى، وما اختبرته في أمر ما إلا وجدته حراً. وهلم جرا، يزيد وجهك حسناً إذا ما زدته نظراً. ثم قلت للوهم المشير بالتوقف حين حصل التعرف: إليك عني، فما تريد مني! ألم تعلم بأني صيرفي أحك المدعين على محكي؛ فمنهم بهرج لا خير فيه، ومنهم من أجوزه بشكي. وهذا الخالص الذهب المصفى بتزكيتي، ومثلي من يزكي. وعندما انكشف الغيب وزال الريب، علمت أنني على الخير سقطت، وأزحت الحجاب عن مطلبي وأمطت. فتوجهت إلى الأخذ عنه بكليتي، وتركت ما كنت أتعلم به قبل من الذي والتي. فاستفدت ورؤيت، وشربت من حوضه المعين وما رؤيت. وصرت في مطلبي المزيد ذا إمعان (ومنهمومان لا يشبعان)⁵. إلى أن رأى نارَ حرصي على الأخذ بما

1- المقنب كف الأسد، وقيل مخلب الأسد في منقبه، وهو الغطاء الذي يستتره فيه، وكذلك هو من الصقر والبازي. والقنب الوعاء. لسان العرب - مادة قنب.

2- إشارة للآية 89 - سورة الأنبياء. (رب لا تنرني فرداً وأنت خير الوارثين).

3- سورة الملك - الآية 3.

4- سورة الملك - الآية 4.

5- حديث: (منهمومان لا يشبعان: منهم في العلم لا يشبع منه، ومنهم في الدنيا لا يشبع منها...). الدارمي - المقدمة، حديث 335. كشف الحجاب _ ج2 ص358).

بيديه لي لا تَنْطَفِي، وظمآن عزمي في هواجر التلقي عنه بصغار الكؤوس لا يَشْتَقِي. فأطلعني على بحر زخار وعسكر جرار. ومجموع له جموع، لو تَرَوَحْنَ لكان منتهى الجموع. جمع فيه الطم والرم من مروياته ومسموعاته ومرئياته. /لو425/ جمعه لما علم أن هذا الأمر عليه قد تعين، وأن صباح انفراده بهذا العلم لذي عينين قد تبين. وقَصَدَهُ الأشراف من سائر الأطراف للأخذ عنه والتلقي، والتسليك على يديه والترقي. فلم يكن له بد من جمع مروياته في سلك تصنيف، ليأخذ منه كل طالب حاجته من غير تطفيف. فلما سبحت في بحاره، وأجلت جواد فكري في مضماره غرقت فيه. وكنت قبل أحسن العوم، وقال الفكر النقاد: هذا شيء ما رأيته قبل اليوم. فلم أزل أتردد ما بين أزهاره وأنهاره وحياضه وأشجاره. فما أفتن من عجب إلا إلى أعجب، ولا أخرج من طيب إلا إلى أطيب. حتى أنهيته بالمطالعة، وعدت عليه ثانيا بالمراجعة. فوجدته بسائر المطالب كفيلا، وعلمت أني لا أجد له في فنه مثيلا. فاقتطفت منه على حال استعجال من الأمر، واختلاس من يد الدهر، أزهارا على تعاقب الفصول لا تدبل، ودررا لا تباع من الذهب بوزن يدبل. وكيف لا وقد اختص بأشياء لا توجد في غيره، ولا يسير فيها أحد قبله ولا بعده بسيره. وامتاز بطرائف عديدة، ولطائف حميدة. تُمَتِّطِي في اقتناء أدناها الركائب والمراكب، ويُرَاجِمُ مُحَصِّلُهَا الجوزاء بالمناكب. أحدها: ما شنف به المسامع، وانقطعت عن وجدانه مجموعا في غيره المطامع. من التعريف بكل إمام اتصل به سنده، تعريفا يصيره كالمشاهد بالحس ولو طال أمده.

ثانيها: ما أتعب الأفكار في الأصول والإبكار من ضبط غالب أسماء الرجال، وقد ضاق على كثير من الفحول فيه المجال.

ثالثها: ما طَرَّرَ به برده المحبر، حتى فاق المنظر فيه المخبر، من الإتيان بجملة من أول كل مروي، تَنْشُرُ من محاسنه بعض المطوي.

رابعها: ما أدرج في خلاله من الحكايات والطرف، الآخذة من الحسن بطرف. إلى غير ذلك مما يبرز النظر مكمونه، ويثير الفكر مدفونه.

وحاصل الأمر فيه أن متأمله لا يقف لمحاسنه على غاية، وأنه على تمهر صاحبه في العلوم أكبر آية. وقد سألت مستخرج درره من قعر

البحور إلى أعالي الأحياد والنحور: بِمَ سميَتَ هذا العقد بعد نظم جواهره، وهذا الرياض بعد انفتاح أزهاره؟ فقال لي: إلى الآن ما سميته ولا حليته بما يستحقه بعدما أُمليته. غير أنني لا أراه أهلاً للتحلية، وإليك النظر في التسمية. فبادرتُ إلى تنميق هذه الأسطار، المتأرجة بطييه المعطار. فكتبتها على حسب حالي لا على حسب حاله. وسميته لِيلاً يتطرق مُدَّعٍ إذا تطاول الأمد إلى انتحاله: "كنز الرواة المجموع من درر المجاز وبيواقيت المسموع". وجعلت ما كتبته خطبة يُدخل من بابها لهذا الحرز، وطلّسماً يُستعان به على فتح هذا الكنز. فمن أضافها إلى أول الكتاب، فلا حرج عليه ولا عتاب. وقد اقتدى بي ونعم ما فعل، وإلا فكلُّ رجله انتعل. ومن منع فلا يلام في منعه. وربما يحمد في صنعه. لأنه كره إضافة الترب للتبر، والذهب للصُفر. وأنف من إضافة الشكل إلى غير شكله، فلا حرج عليه أيضاً في فعله. إلا أن إضافة الجميل إلى الأجل، قد يكون في التنويه به أكمل. والسيف الصقيل لا ينقصه رثاء غمده، والسيد لا يواخذ بجناية عبده. فإن أحسن العبد فهو لسيده وما ملَك، وإن أساء فالعبد فيما جنى وما استهلك. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً¹، ولا يخيب لراجيه وإن أساء أملاً. (فنعم المولى ونعم النصير)². وهو حسبي وإليه المصير.

قال شيخنا أطل الله بقاءه، وأدام في أوج الكمال ارتقاءه، فيما قرأت عليه بعضه وأجازنيه، وأذن لي فيه وناولنيه: إن أول من غمرتني إفادته.... /لو426/ وشفعت الخطبة المتقدمة بقصيدة دالية أدرجت فيها إدراج القنو المذلل بين أغصان الدالية، جبرت بانسجام نظمها ما عسى أن يقع في النثر من تفكيك، وبلفظها الفصيح ما لعله وقع من معنى ركيك. وهي هذه: (الطويل)

أَتَيْتُكَ تَهْدِينِي الرِّشَادَ أَبَا مَهْدِي	فَمَثَلِي مَنْ اسْتَهْدَى وَمِثْلِكَ مَنْ
جَمَعْتَ خَصَالاً لَمْ تَكُنْ جَمَعْتَ	سَوَاكَ بِهَذَا الْعَصْرِ مَنْ خَالَصَ
جَبَلَتْ عَلَيْهَا ثُمَّ أُخْرَى اكْتَسَبَتْهَا	فَحَزَّتْ كَلَامَ الْمَجْدِينَ بِالْجَدِّ

1- إشارة للآية 30 - سورة الكهف (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً).

2- سورة الحج - الآية 78 (فاعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير).

وخضت بحارا من علوم كثيرة
فحليتني من ذلك الدر ما غدا
غنيت به بعد العنا غاية الغنى
فحسبي الذي قد نلت منك فلا أرى
شكرتك بعد الله فيما حبوتني
فقد جاء من لم يشكر الناس لم
تقبل بفضل منك تحفة قادم
فيا ليت شعري ما الذي لي عندكم
أحبك حبا صادقا أرتجي به
فلا تنسني من دعوة في تضرع
فإني محسوب عليك وإنني
فمن على فقري بعقد أخوة
وودي لو أسطيع عقد عبودة
أقل انتساب منك يكفي ولا غنى
فإنك جار الله جار رسوله
وقصدي بهذا كله أن يكون من
على أن وعد الحر عين عطائه

فأخرجت منها الدر عار من
الذئ على الرأس تاجا أو سوارا على
الذئ أثرت به كفى وأورى به زند
مدى الدهر محتاجا لعمر ولا
فأنت حر بالمدح مني وبالحمد
ليشكر رب الناس¹ وال ضد بضد
ووصلة ظمان الحشا صادق
ال من الود هل يأتي كبعض الذي
من الله ظل العرش في جنة
الكم بفناء البيت للواحد الفرد
عيال عليك اليوم في القرب
تزيد على طول المدى شدة العقد
ولكن أخاف العجز عن خدمة
ال عن أكثره للعبد لو كان ذا سعد
فإن كنت جار الجار قد فزت
ال دعائك لي سهم ولو كان بالوعد
ووعده سواه في الحقيقة لا يجدي

1- إشارة للحديث (من لم يشكر الناس لم يشكر الله). الترمذي - كتاب البر والصلة، حديث 1878. أحمد - مسند المكثرين ، حديث 7191.

أبنت لكم قصدي وأخفيت جلّه فالله ما أخفي ولله ما أبدي
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على خير هاد قد تكلم في المهد
يكونان لي في الحشر خير وسيلة إلى الله ترضيني وشيخي أبا

فلما قرأتُ عليه النثر المتقدم والقصيدة سرُّ بهما واستبشر، وتلقاها بالقبول، وأطنب في الثناء والحمد، ودعا لي بدعوات كثيرة، ووعد بأمثالها في مظان الإجابة. فحمدت الله وشكرته إذ وفقني لما أستجلب به مودة الصالحين من عبادِه، وأغتتم به بركة دعائهم، وعقد لي ما قرت به عيني من أخوته ومودته. وألبسني قباءً له كان يشهد به مواسم الخير من جمع زيارات. وحباني من بره وإكرامه ما لم أكن أهلاً لبعضه، فضلاً عن كله. وكتبت له أيضاً أنه بمولود وُلد له ونحن إذ ذاك بمكة شرفها الله تعالى هذه الأبيات مؤرخاً بها ولادته: (الكامل)

يهنيك يا مولاي بدر طالع في أفق سعد قد بدا إسعاده
أبقاه ربي نافعاً لعلاكم بآتم ما نفع امرءاً أولاده
وأدام نفعك للعباد معظماً حتى تقبل كفكم أحفاده
وأقر أعينكم به في نعمة تغشاه مقروناً بها إرشاده
تاريخه الميمون قولي صادقاً "ولد سعيد سركرم ميلاده"¹

¹ - أي سنة 1074 هـ بحساب الجُمَل.

لو/427/ ذكر بعض ما سمعت عليه من المرويات رضي الله عنه

سمعت منه رضي الله عنه جميع "معجم الطبراني الصغير" بلفظه، إلا مجلسا واحدا، بروضة الجنة من المسجد النبوي لما قدم المدينة للزيارة في شهر رجب. وسمعت من لفظه أيضا "أربعين حديثا عن أربعين شيخا" للشيخ تقي الدين الفاسي¹ مؤرخ مكة ونزيلها بالحرم النبوي أيضا. وسمعت منه أيضا بالحرم النبوي نحو الربع من "الشمائل"² بلفظه. وسمعت من لفظه أيضا بالمسجد الحرام في شهر رمضان جميع "الخلعيات"³ إلا مجلسا واحدا، [وهي "الفوائد المنتقاة الحسان من الصحاح والغرائب" تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي رضي الله عنه، وهي عشرون جزءا. وكان يسمعا كل يوم جزءا]⁴.

ولنذكر بعض أحاديث هذا الكتاب تبركا بها وبجامعها، لغرابة هذا الكتاب بقطرنا ولسماعنا لها من لفظ مسند الزمان، في أشرف مكان وزمان.

فأقول، هذا ما انتقيته من الجزء الخامس، أخبرنا الشيخ أبو مهدي عيسى ابن محمد الجعفري المالكي المغربي بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني في شهر رمضان من سنة ثلاث وسبعين وألف، عن الشيخ أبي الحسن الأجهوري عن الرملي عن زكرياء عن الحافظ ابن حجر عن أبي الفرج الغزي الشهير بابن الشيخة عن أبي الحسن علي ابن قریش المخزومي عن الزكي عبد العظيم المنذري عن أبي محمد عبد الله بن المجلى الرملي عن القاضي أبي محمد عبد الله بن رفاعة عن القاضي أبي الحسن علي بن الحسن ابن الحسين الخلعي رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله ابن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع،

¹- هو محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب القاسي المكي الحسني (ت 832هـ)، ذكر صاحب الهدية جل كنبه، وله تاريخ مكة (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) و(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام). ولم يذكر له هذا الكتاب. هدية العارفين (ج 2 ص 187). الأعلام (ج 5 ص 231).

²- الشمائل النبوية والخصال المصطفوية لأبي عيسى محمد ابن سورة الترمذي (ت 279هـ). كشف الظنون (ج 2 ص 1059).

³- "الخلعيات" من أجزاء الحديث، أو فوائد الخلعي، تخريج القاضي أبي الحسين بن علي بن حسن بن الحسين الخلعي الموصلي (ت 492هـ)، وجمعها أحمد ابن حسين الشيرازي في عشرين جزءا. كشف الظنون (ج 1 ص 722) (ج 2 ص 1297). الأعلام (ج 4 ص 273).

⁴- ما بين [] في طرة (ح م).

نا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان، نا عمر بن خالد، نا عبيد الله بن عمرو بن عبد الكريم بن مالك الجزري عن نافع عن ابن عمر عن حفصة ابنة عمر أن رسول الله ﷺ (كان إذا أذن المؤذن بالفجر قام فصلّى ركعتي الفجر، ثم خرج إلى المسجد وحرّم الطعام، قال: وكان لا يؤذن حتى يصبح) ¹.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراءة عليه وأنا أسمع، نا أحمد بن الحسين بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان، نا عمر بن خالد نا عبيد الله بن عمرو بن عبد الكريم بن مالك الجزري عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: (يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة) ².

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال نا أحمد بن الحسن ابن إسحاق الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان، نا عمر بن خالد نا عبيد الله بن عمرو بن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عطاء عن جابر أن النبي ﷺ قال: (عمرة في رمضان تعدل حجة) ³.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد البزار، نا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد الثعلبي، نا إبراهيم بن عبد الله الكجي، نا محمد بن عبد الله الأنصاري، نا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار) ⁴. أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن الخصيب القاضي، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا سعيد بن سليمان عن شريك عن جامع بن أبي راشد عن

¹ - سنن الترمذي - كتاب الصلاة، حديث 383.

² - سنن النسائي - كتاب الزينة، حديث 4983. سنن أبي داود - كتاب الترجل، حديث 3679.

مسند أحمد - مسند بني هاشم، حديث 2341.

³ - صحيح البخاري - كتاب العمرة في رمضان، حديث 1690.

⁴ - مثله: ورد عن عمر أنه قال: (... الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين، وقد ذكر أنه من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين عند الله). رواه أبو داود - مقدمة، حديث 647.

أبي وائل عن عبد الله، قال: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله /لو428/ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ولم يكن يعلمنا هذا كما يعلمنا التشهد)¹: (اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، أو قال: ذريتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين مثنيين بها عليك، قائلها، وأتمها علينا بالخير)².

أخبرنا أبو العباس منير بن محمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق البغدادي قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا مروان بن معاوية نا محمد بن أبي قيس مولى بني هاشم عن رجل عن عبد الله بن الزبير، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على منبر رسول الله ﷺ: (أكرموا المهاجرين الأولين، أكرموا الذين صاحبوني، أكرموا الذين أواوا ونصروا، ثم الذين يلونهم خير ممن بعدهم، ثم الذين يلونهم، ثم أولئك خير ممن بعدهم. ثم يظهر الكذب فيشهد الرجل ولا يُشْتَهَد ويحلف ولا يُسْتَحْلَف، ويبذل نفسه بخطب الزور ولا يدعى. ألا فمن سره بحبوة الجنة فلا يَنْتَهِر³ من جماعتكم التي أفارقكم عليها فإن ملائكة تحرسها. فمن رغب عنها برئت منه ذمة الله ورسوله وهو من الهالكين. ألا وإياكم أن يُسأل أحد عن الإيمان ليعرف الرجل نفسه، ألا فمن أشفق منكم من سيئة ورجا حسنة فذلك المؤمن)⁴. أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغدادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن

1- صحيح مسلم - كتاب الصلاة، حديث 610. سنن النسائي - التطبيق، حديث 1158.

2- سنن أبي داود - كتاب الصلاة، حديث 825.

3- كذا في النسختين، ولعله يقصد: فلا يفارق أو يخرج عن الجماعة.

4- في كلام عمر هذا إشارة إلى حديثين نبويين، الأول فيه يوصي بأصحابه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. رواه الترمذي - كتاب الفتن، حديث 2091. والثاني يتحدث فيه عن أن قرنه هو أحسن القرون ويلييه قرن الصحابة ثم قرن التابعين ثم قرن تابعي التابعين. انظر الحديث بتمامه عند البخاري، كتاب الإيمان، حديث 6166.

تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى نا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه سعد ابن إبراهيم عن محمد بن جبير، قال: (أتت امرأة عند النبي ﷺ فكلمته بشيء، فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت فلم أجدك، تعني الموت. قال: إن لم تجدني فأتِ أبا بكر) ¹.

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الخشاب نا علي بن الرعيني، نا أسد ابن موسى نا محمد بن خازم الكوفي عن عبد الله بن أبي بكر عن بن أبي مليكة عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمان بن أبي بكر: (انتهي بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يفترق عليه، قالت: فقام ليحيى بالكف، فقال: اجلس يا أباي الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر) ².

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد ابن رزيق بن جامع المديني سنة سبع وتسعين ومائتين، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي نا علي ابن هاشم بن البريد عن فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال: جمع علي عليه السلام الناس في الرحبة، فقال: أنشد الله امرءاً مسلماً سمع رسول الله ﷺ يقول لي: يوم غد يرخم ³ ما قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ⁴ إلا قام يشهد، قال: فقام أناس من الناس يشهدون، قال أبو الطفيل: فخرجت، فكان في نفسي شيء، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت: إني سمعت أمير المؤمنين علي عليه السلام /لو429/ يقول كذا وكذا، قال: وما ينكر من ذلك، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك كله.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي، نا علي بن هاشم ابن البريد عن فطر عن ابن إسحاق عن سعيد بن وهب وعمر بن ذر مر

¹ - صحيح البخاري - كتاب فضائل الصحابة، حديث 3459.

² - لم أعثر على الحديث.

³ - كذا في النسختين، والرخمة لغة في الرحمة، والرخم المحبة والعطف، والرخيم الحسن الكلام رقيقه. اللسان.

⁴ - سنن الترمذي - المناقب، حديث 3646. سنن ابن ماجه - المقدمة، حديث 118. مسند أحمد، الميشرين بالأجنة، حديث 606.

وزيد بن يثيع، قال: قال علي عليه السلام: أشهد الله امرءا مسلما سمع رسول الله يقول يوم غد يرخم ما قال إلا قام، قال: فقام ثلاثة عشر رجلا فشهدوا ستة من جانب وسبعة من جانب، قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله).

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين ابن خلف الفراء البغدادي قراءة عليه، وأنا أسمع نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي نا وهب بن بغية نا عبد الله بن سفيان الواسطي عن ابن جريح عن عطاء بن أبي الدرداء، قال: (رآني أمشي أمام أبي بكر رضي الله عنه، فقال: يا أبا الدرداء، أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيئين أفضل من أبي بكر رضي الله عنه).

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين الفراء، قال أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني نا إبراهيم بن محمد العمري، نا أحمد بن سهيل الواسطي، قال نا محمد بن ماهان، نا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله، قال: قال رسول الله (من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض، ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض، ولم يرني إلا من بعيد).

وبه إلى الدارقطني نا ابن منيع نا عبد الله بن عمر الكوفي نا عبد الله ابن حراش نا العوام بن خويش عن مجاهد ابن عباس قال: لما أسلم عمر نزل جبريل عليه السلام على النبي فقال: (يا محمد، قد استبشر أهل السماء اليوم بإسلام عمر رضي الله عنه)¹.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني نا أبو بكر محمد بن أحمد الخندري المقرئ بعسقلان، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه، وأنا حاضر، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري نا عمرو بن بكر السكسكي عن سفيان وعباد والربذي عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال سمعت

¹ - سنن ابن ماجه - المقدمة، حديث 100.

أبا القاسم يقول: (حرم الله علينا بكت من خشية الله على النار، وحرم الله علينا سهرت في طاعة الله على النار، وحرم الله علينا بكت في الدنيا على الفردوس على النار. ويل لمن استطال على مسلم فانتقصه حقه، ويل له ثم ويل له).

وبه إلى السكسكي عن الزبدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال: (هنيئاً للمتحابين في الله جنات عدن، ومن أحب أن يرافقتي فيها فلي نصف من نفسه، ومن أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثراً حشر مع اليهود والنصارى والذين (قالوا: ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)¹).

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرئ قراءة عليه وأنا أسمع، نا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بجير بن عبد الله بن أسامة الذهلي إملاء، نا أبي يعقوب ابن إبراهيم الدورقي نا عثمان بن عمر نا شعبة عن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن معاذ ابن جبل أن رسول الله، قال: (من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه وأني محمد رسول الله دخل الجنة)².

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرئ نا أبو القاسم الحسين ابن عبد الله القرشي نا أبو القاسم علي بن الحسن بن قديد الأزدي، نا أبو الربيع ابن أخي رشدين نا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، قال: قال هشام بن عبد الملك لابن شهاب: يا ابن شهاب، أبلغك أنه من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال له: يا أمير المؤمنين، كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض، فلما نزلت الفرائض فلا تنفع لا إله إلا الله إلا بآدابها.

/لو430/ أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل المقرئ، نا أبو الحسن بن أبي الحسن المعدل نا أبو علي الحسن بن علي بن الحسن السرمدي الأعسم، حدثني أشعب بن محمد الكلابي، نا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله: (من ربي صيباً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله).

1- سورة الجاثية - الآية 24.

2- مسند أحمد - باقي مسند الأنصار، حديث 22232.

أخبرنا الخطيب بن عبد الله بن عمر بن الخطيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع، قال أبي إملاء، نا يوسف بن يعقوب نا أبو الربيع نا أبو شهاب عن القاسم ابن الوليد عن داوود بن أبي عمرة أن عليا رضي الله عنه قال: لا يخافن أحدكم إلا بذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله، نا أبي، نا جعفر بن محمد الفريابي نا أحمد بن أبي الحواري، نا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمان بن يزيد بن جابر عن بشر بن عبيد الله الحضرمي، قال: إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله، نا أبي نا جعفر بن محمد نا أحمد بن عيسى نا عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس أن سعيد بن المسيب كان يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن محمد بن سعيد البزاز إملاء، نا الشيخ الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسن بن دانا ج الأصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل وموسى بن هارون ومحمد بن العباس المؤدب قالوا: نا الحكم بن موسى أبو صالح قال: نا عبد الله ابن أحمد الشيخ الصالح، نا العلاء بن أسلم ابن أخي العلاء بن زياد، عن روبة ابن العجاج قال: دخلت على النسابة البكري فقال لي: من أنت؟ قلت: ابن العجاج. قال: قَصَّرْتُ والله وعرفت، قال. ثم قال: لعلك كقوم عندي إن سَكْتُ عنهم لم يسألوني وإن حدثتهم لم يعوا عني، قلت: أرجو أن لا أكون كذلك. قال: فما أعداء المروءة. قلت: تخبرني. قال: بنو عم السوء، إن رأوا صالحا دفنوه وإن رأوا قبيحا أذاعوه. ثم قال: إن للعلم آفة ونكدا وهجنة؛ فأفته نسيانه، ونكده الكذب، وهجنته نشره عند غير أهله.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس إملاء، أنا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العبدى، نا إسحاق بن إبراهيم ابن يونس، ثنا أبو الطيب الضرير أحسبه عن الأصمعي عبد الملك: (البسيط)

العلم زين وتشريف لصاحبه
لا خير فيمن له أصل بلا أدب
كم من حسيب أخي عز
في بيت مكرمة أبأوه نجب¹
وخامل مقرف الآباء ذو أدب
العلم كنز وذخر لا نفاد له
قد يجمع المرء مالا ثم يُسَلِّبَه
وجامع العلم مغبوط به أبدا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
فاشدد يديك به محمد معيشته
فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
حتى يكون على ما زانه حدبا
فدُم لذي القوم معروف إذا انتسبا
كانوا رؤوسا فأمسى بعدهم ذنبا
نال المعالي والأموال والنسبا
نعم القرين إذا ما عاقلا صحبا
عما قليل فيلقى الذل والحربا
فلا يحاذر منه الفوت والسلبا
لا تَعْدِلَنَّ به درا ولا ذهباً
به تنال الغنى والدين والحسبا

آخر الجزء الخامس من الفوائد المنتقاة من مسموعات² الخلعي رضي الله عنه والحمد لله رب العالمين.

وكتبت من نسخة عتيقة عليها سماع جملة من المشايخ منهم عبد العظيم المنذري وعليها خطه، ومن المتأخرين الحافظ ابن حجر وعليها خطه.

/لو431/ ومما انتقيته من الجزء السادس: أخبرنا شيخنا بسنده المتقدم إلى القاضي أبي الحسن الخلعي، قال: أنا عبد الله شعيب بن أحمد بن المنهال، أنا أحمد ابن الحسن ابن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرغ بن عبد الرحمان القطان نا عمرو بن خالد نا بكر بن مضر عن عمرو ابن الحارث عن ابن الزبير المكي عن ابن الطفيل

¹ - الطمطممة العجمة، والطمطم الأعجم الذي لا يفصح.

² - في النسختين: (من مسموعاتي الخلعي).

عامر بن واثلة البكري أن معاذ بن جبل حدثه أن رسول الله ﷺ جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى رجعنا¹.

أخبرنا أبو عبد الله شعيت بن عبد الله بن المنهال نا أحمد بن إسحاق ابن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان، نا عمرو بن خالد نا بكر مضر عن عمر بن الحارث عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك أنه قال: (صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربع ركعات ثم خرج إلى بعض أسفاره، فصلّى بنا العصر عند الشجرة ركعتين)².

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد سعيد البزاز نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدني نا أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي نا عبد الله بن وهب حدثني يعقوب بن عبد الرحمان الزهري عن أبيه عن عبد الرحمان بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال: لما جاء جبريل بالبراق إلى رسول الله ﷺ قال: (فكانها صرت أذنيها، فقال لها جبريل: مد يا براق، فوالله ما ركبك مثله، فسار إلى رسول الله ﷺ فإذا هو بعجوز نائية على جانب الطريق، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال جبريل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا بشيء يدعوّه منتحى عن الطريق، هلم يا محمد، فقال له جبريل، سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، قال، ثم لقي خلقا من الخلق، فقال: السلام عليك يا أول والسلام عليك يا آخر والسلام عليك يا حاشر، فقال له جبريل: اردد السلام يا محمد، فرد السلام. ثم لقيه الثاني، فقال له مثل مقالة الأول. ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الأولين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء والخمر واللبن، فتناول الرسول ﷺ اللبن. /لو432/ فقال له جبريل: أصبت الفطرة، لو شربت الماء لغرقت ولغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت ولغويت أمتك. ثم بُعث له آدم ومن دونه من الأنبياء فأمَّهُم رسول الله ﷺ تلك الليلة. ثم قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من

1 - صحيح مسلم - صلاة المسافرين، حديث 1148. سنن ابن ماجه - كتاب الصلاة، حديث 877..

2 - سنن الترمذي - كتاب الصلاة، حديث 540.

تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل، وأما الذين سلموا عليك فذلك إبراهيم وموسى وعيسى¹.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن الحسن بن علان الحراني إملاء، نا أبو العلاء أحمد ابن صالح نا محمد بن حميد الرازي، أراه قال، نا زاهر بن سليمان نا محمد بن عتبة ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أن جبريل عليه السلام أتى النبي^ع، فقال: (إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس)².

أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي قراءة عليه، وأنا أسمع نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا عبيد الله ابن عبد الواحد بن شريك نا أبي مريم، نا ابن فروخ نا أسامة، أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء رجل إلى رسول الله^ع، فقال: (يا رسول الله، هل في الناقة من أجرٍ - تأتي وقد لَطَّت حوضي - إن سَقَيْتُهَا؟ قال رسول الله^ع: في كل كبد حرّى أجرٌ)³.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن زريق الكوفي قراءة عليه، وأنا أسمع، نا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي قراءة عليه، وأنا أسمع، نا محمد بن زياد السمسار، نا محمد بن حاتم نا محمد بن الحسن الوائلي ثقة مرضي عن معونة بن يحيى عن الزهري عن عروة عن

¹ - صحيح البخاري - في عدة مواضع - الأثرية، حديث 5245-5281. الأنبياء، حديث 3214-3254. تفسير الإسراء، حديث 4432. سنن الترمذي - كتاب الأثرية.

² - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص 257). قال: قال الصنعائي، حديث موضوع.

³ - عن سراقه بن جحشم، قال: (سألت رسول الله^ع عن ضالة الإبل تغشى حياضي، قد لَطَّتْهَا لإبلي، فهل لي من أجر إن سَقَيْتُهَا؟ قال: في كل كبد حرّى أجر) رواه ابن ماجه - كتاب الإبل، باب فصل صدقة الماء، حديث 2972. ولاحظ الحوض بالطين لوطا: طَيَّنَهُ وملسه وطلاه.

عائشة قالت: ذكر النبي ﷺ قال: (يفضل الذكر الذي لا تسمعه الحفظة عن الذي تسمعه بسبعين ضعفا)¹.

أنا أبو العباس منير بن الحسن بن علي بن منير الشاهد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق /لو433/ البغذادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد إملاء، نا أسد ابن موسى، نا ابن لهيعة، نا أبو قبيل أنه سمع شقيا يقول: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال أبو قبيل: لا أحسبه إلا عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: (هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم، ولا ينقص منهم أبدا. وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: ففيم العمل إذن إن كان هذا الأمر قد فرغ منه؟ فقال رسول الله ﷺ: سدّدوا وأبشروا، إن صاحب الجنة يُختم له بعمل الجنة، وإن صاحب النار يُختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل. ثم قال رسول الله ﷺ بيده، فمدها، فرغ ربكم من الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير)².

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن الشاهد، نا أبو الحسن علي ابن أحمد بن إسحاق البغذادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود بن عيسى بن تليد الرعيني، نا أسد بن موسى، نا الليث بن سعد عن ابن قبيل عن شقي الأصبحي عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ يعني، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: (أتدرون ما هذا؟ فقال: لا، ألا تخبرنا يا رسول الله ﷺ. فقال: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أحد. فقال بعضهم: فلم نعمل إذن؟ قال بلى، سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أنى عمل. وإن

1 - مثله: قال ﷺ: (خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي). موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، للحافظ الهيثمي. كتاب الأذكار - باب إخفاء الذكر، حديث 2323. مثله (يفضل الذكر على النفقة في سبيل الله تبارك وتعالى بسبع مائة ضعف). مسند أحمد، حديث 15093.

2 - سنن الترمذي - كتاب القدر، باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، حديث 2141. النسائي - كتاب الإيمان، حديث 3866.

صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أنى عمل. وقال بيده: فرغ ربكم من الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير).

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد إملاء، نا الشيخ الزاهد أبو العباس أحمد بن الحسين بن دانا ج الأصطخري إملاء سنة خمس وثلاثين /434/ وثلاثمائة، نا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الديري، قال: قرأنا على عبد الرزاق، أنا معمر عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمان عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ع يقول في الشونيز: (عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاءً من كل شيء إلا السام. يريد الموت)¹.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز إملاء، أنا أبو الحسن أحمد بن سعيد البغدادي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، نا أبو مسلم إبراهيم بن عبد اله بن مسلم ومعاذ بن مثنى العنبري واللفظ لأبي مسلم، قالوا: نا بكار بن محمد السيريني ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله ع دخل على بلال فوجد عنده نوى تمرتين، فقال: (ما هذا يا بلال؟ قال ثمر أدخره. فقال: ويحك يا بلال، أو ما تخاف أن يكون له بخار في النار، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا)².

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز نا أحمد بن سعد البغدادي نا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي نا عاصم بن علي نا قيس عن أبي حصين عن يحيى بن وثاب عن مسروق عن عبد الله، قال: دخل النبي ع على بلال وعنده صبر من تمر فقال له: (ما

¹ - صحيح البخاري - كتاب الطب، حديث 5255. صحيح مسلم - كتاب السلام، ما جاء في الحبة السوداء، حديث 4103. سنن الترمذي - كتاب السلام، ما جاء في الحبة السوداء، حديث 2041. ابن ماجة - الطب، حديث 3438.

² - رواه الطبراني في الكبير. كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ج1 ص243). وجاء في مختصر شرح ابن كثير (ج3 ص134)، في شرح الآية 39 من سورة سبأ، (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبذل وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث (يقول الله تعالى: أنفق أنفق عليه)، وقال رسول الله ع (أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالا).

هذا؟ قال: أعدته لك ولضيافتك. قال: أما تخش أن يكون له بخار في جهنم، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا¹.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة، وأنا أسمع، نا أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي إملاء، نا محمد بن يحيى بن سليمان، نا عاصم بن علي، نا المسعود عن الفرات بن أبي الفرات عن أبي الطفيل عن خديفة بن أسيد، قال: أطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: (ماذا تذكرون، ماذا تذكرون؟ أو قدم ذلك أو أخر الشك مني؟ قلنا: الساعة يا رسول الله. قال: إن الساعة لا تقوم حتى يكون عشر آيات: الدخان والدجال والدابة وثلاث خسوف: خسف بالمشرق وخسف/ل435/ بالمغرب وخسف في جزيرة العرب، وطلوع الشمس من مغربها، وفتح ياجوج وماجوج، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر)².

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبد الله بن محمد ابن الخصيب إملاء، نا إبراهيم بن هاشم إملاء علينا في مسجد يوم الجمعة في جمادى الأخيرة من سنة خمس وتسعين، نا شيبان بن فروخ، نا جرير بن حازم، نا الحسن نا عمرو بن تغلب أن رسول الله ﷺ قال: (من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه صغار الأعين، كأن وجوههم المجان المطرقة)³.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد سعيد البزاز نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المدني نا يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس عن النبي ﷺ قال: (لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا

¹- مثله (عن حذيفة قالك، قال رسول الله ﷺ: (ألا إن بعد زمانكم هذا زمان غوض، يعرض الموسر على ما في يده حذار الانفاق) مختصر تفسير ابن كثير (ج3 ص134).

²- سنن الترمذي - كتاب الفتن، حديث 2183. سنن ابن ماجه - كتاب الفتن، حديث 4031-4045.

³- سنن الترمذي - كتاب الفتن، حديث 2215. ابن ماجه - كتاب الفتن، حديث 4088. مسند أحمد - مسند البصريين، حديث 19754.

الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم¹.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو بكر محمد بن محمد الحندري المقرئ بعسقلان نا أبو محمد عبد الله بن أبان ابن شداد قراءة عليه وأنا أسمع نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري نا عمرو بن بكر السكسكي عن الربذي وعباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن النبي ع قال: (يصيح صائح يوم القيامة: أين الذين أكوّموا الفقراء والمساكين في الدنيا، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. ويصيح صائح: أين الذين عادوا مرضى الفقراء والمساكين، فيجلسون على منابر من نور فيحدثون الله والناس في الحساب).

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الحندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد أبو الدرداء هاشم بن أحمد الأنصاري نا عمر بن بكر السكسكي عن الربذي عن محمد ابن كعب القرظي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ع: (خيار المؤمنين القانع، وشرارهم/لو436/ الطامع)².

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد العسقلاني نا أبو بكر محمد بن أحمد الحندري، نا عبد الله بن أبان بن شداد نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمر بن بكر السكسكي عن سفيان وعباد بن منصور ابن المغيرة عن مجاهد عن كعب أن الرب تباركت أسماؤه، قال: (يا موسى إذا رأيت الغنى مقبلاً فَقُلْ ذَنْبٌ عُجِلَتْ عِقَابُهُ، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فَقُلْ مرحباً بشعار الصالحين. يا موسى إنك لن تتقرب إلي بعمل من أعمال البر خير من الرضى بقضائي، ولم تأت بعمل أحبب لحسناتك من البطر. وإياك والتضرع لأبناء الدنيا إذا أعرض عنك. وإياك أن تجود بدينك لدنياهم. إذن أمر بأبواب رحمتي فتُغلق عنك. أدن الفقراء وقرب مجالسهم منك تَكْرَم علي، وأبعد الأغنياء وبعُد مجالسهم

¹ - سنن ابن ماجه - كتاب الفتن، حديث 4029. قال الشوكاني- موضوع - الفوائد (ص510). قال الألباني- منكر (ج1 ص772). معجم الطبراني (ج1 ص174).

² - مثله: قال ع: (قد أفلح من هدي إلى الإسلام، ورزق الكفاف وقنع به) صحيح سنن ابن ماجه - كتاب الزهد، حديث 3338. وقال ع: (بئس العبد عبد طمع يفوده) سنن الترمذي - كتاب القيامة، حديث 45.

منك. لا تركز إلى حب الدنيا، فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أشد عليك من الركون إلى حب الدنيا. يا موسى قل للمذنبين النادمين أبشروا، وقل للعاملين المعجبين اخسؤوا).

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب ابن الجراب البغذادي إملاء، نا محمد بن غالب بن حرب التمام، نا أبو المعتمر عمار بن زربي، نا بشر بن منصور السلمي عن داوود بن أبي هند عن وهب بن منبه، قال: قرأت في بعض الكتب التي أنزل الله من السماء، (إن الله قال لموسى عليه السلام، أتدري لأي شيء كلمتك؟ قال: لأي شيء؟ قال: لأنني اطلعت على قلوب العباد فلم أر قلباً أشد حبا لي من قلبك)¹.

أخبرنا أبو محمد عبد الله الرحمان بن محمد بن سعيد الشاهد إملاء، نا أبو الفضل يحيى بن الربيع بن محمد العيدي، نا إسحاق بن إبراهيم بن يونس، نا الربيع بن الفضل، قال: من قول علي عليه السلام²: (الكامل)

أبني إني واعظ ومؤدب	فافهم فإن العاقل المتأدب
واحفظ وصية والد متحنن	يغدوك بالآداب لا يتغضب
أبني إن الرزق مكفول به	فعليك بالإجمال فيما
لا تجعل المال كسبك مفردا	وتقى إلهك فاجعلن ما تكسب ^{١٢٧}
واتل الكتاب كتاب ربك موقنا	فيمن يقوم فيه هناك وينصب
بتدبر وتفكر وتقرب	إن المقرب عنده يتقرب
واعبد إلهك بالإنابة مخلصا	وانظر إلى الأمثال فيما تضرب

¹ - مثله: قال الله تعالى لموسى (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي، أي على جميع الناس مع الموجودين في زمانك، وقد قيل: إن الله تعالى قال: يا موسى، أتدري لم اختصصتك بالتكليم من بين الناس؟ قال: لا، قال: لأنني لم يتواضع إلي أحد تواضعك). مختصر تفسير ابن كثير (ج2 ص471).

² - القصيدة موجودة في ديوان الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد الكريم الكرم مع اختلافات كثيرة (ص 26).

وإذا مررت بأية تصف العذا
يا من يعذب من يشاء بقدرة
بأدر هواءك إذا هممت بصالح
واعمل لنفسك إن أردت حباءها
أبني كم صاحبت من ذي غدرة
واجعل صديقك من إذا آخيته
واحذر ذوي الملق اللئام فإنهم
ولقد نصحك إن قبلت نصيحتي

ب فقل وعينك بالتخوف تسكب
لا تجعلني في الذين تعذب
وتجنب الأمر الذي يتجنب
إن الزمان بأهله يتقلب
فإذا صحبت فانظر من تصحب
حفظ الإخاء وكان دونك يضرب
في النائبات عليك فيمن يخطب
والنصح أرخص ما يباع ويوهب

ومن الجزء الثامن: أخبرنا شيخنا بسنده إلى أبي الحسن الخلعي قال: نا الشيخ أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد سعيد البزاز قراءة عليه بمكة، وأنا أسمع، نا أبو عثمان سعدان بن نصر بن منصور المخرمي، نا سفيان بن عيينة، أبو محمد الهلالي عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء ترويه عن أبي الدرداء عن النبي، قال: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير. ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حُرِمَ حظه من الخير. وقال: وإن أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن، إن الله يبيغض الفاحش البذي)¹.

أخبرنا أبو عبد الله بن المنهال، نا أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنباع روح بن الفرج بن عبد الرحمان /لو438/ القطان، نا يوسف بن عدي، نا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي صالح عن أبي الدرداء، قال: سألت رسول الله عن قول الله عز وجل:

¹- الترمذي - كتاب البر والصلة، حديث 2013. مسند أحمد - كتاب مسند الأنصار، حديث 26273-24028.

(لهم البشرى في الحياة الدنيا)¹، قال: (ما سألني عنها أحد قبلك، هي الرؤيا الحسنة، يراها المؤمن أو ثرى له)².

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عثمان الإمام إملاء، نا أبو عبد الله عبد الكريم بن إبراهيم بن حبان، نا الحسين بن الفضل بن أبي حديدة، قال: سمعت ضمرة بن ربيعة القرشي الرملي، يقول: سمعت يحيى بن أبي عمرو الشيباني، يقول: سمعت عمرو بن عبد الله الحضرمي، يقول: سمعت أبا أمانة الباهلي، يقول: سمعت رسول الله ع، يقول: (إن الله استقبل بي الشام، وولى ظهري إلى اليمن، فقال لي: يا محمد إني جعلت ما وراءك مددا لك، وجعلت ما اتجاهاك عصمة لك ورزقا. قال: والذي نفسي بيده، لا يزال الله يزيد في الإسلام وأهله وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بين النطقتين لا يخشى إلا جورا، يعني جور السلطان. قيل يا رسول الله، وما النطقتان؟ فقال: نحو المشرق والمغرب. قال: وقال النبي ع: والذي نفسي بيده ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل)³.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، قراءة عليه وأنا أسمع، أنا إسماعيل بن يعقوب بن الجراب البغدادي إملاء، نا إسماعيل بن إسحاق القاضي، نا حفص بن عمر الحوضي، نا شعبة عن واصل الأحذب عن مجاهد عن أبي ذر عن النبي ع، قال: (أعطيت الشفاعة وهي ثابتة لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا)⁴.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق ابن جامع المديني سنة تسع وتسعين ومائتين، نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع نا الأعمش عن عدي بن ثابت الأنصاري عن زر بن

¹ - سورة يونس - الآية 64.

² - سنن الترمذي - كتاب الرؤيا، حديث 2199-2201-3031. سنن ابن ماجه - كتاب الرؤيا، حديث 3388.

³ - جزء منه: (قال ع: لا يزال الإسلام يزيد وأهله حتى يسير الراكب بين النطقتين لا يخشى جورا). غريب الحديث لابن الجوزي (ج2 ص416). جزء آخر منه: قال ع: (ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل). حياة الصحابة (ج1 ص35).

⁴ - الترمذي - كتاب الدعوات، حديث 3602. أحمد - مسند بني هاشم، حديث 20463-2606.

حبيش عن علي رضي الله عنه، قال: (لعهد إلي النبي ﷺ الأمي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)¹.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا، أبو محمد الحسن ابن رشيق العسكري، نا، أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني نا عبدة بن عبد الرحيم، نا وكيع نا ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو /لو439/ عن عبد الرحمان بن أبي ليلى قال: (كان علي عليه السلام يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء. فقيل لأبي: لو سألته عن هذا. فسأله، فقال: يا رسول الله، إني أرمد العين، فقتل في عيني، وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد. فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ. فقال عليه السلام: لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ليس بفرار)². قال: فتشوق الناس إليها، فبعث إلى علي عليه السلام، فأعطاه الراية. قال: وقال ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو قال عبد الرحمان: وكان أبي يسمر مع علي عليه السلام.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب ابن الجراب البغذادي، نا الحسن بن سليمان بن نافع الدارمي، نا عبد الواحد يعني ابن غياث، نا خلد، أنا حسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله عز وجل أوجب الله له الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر. ومن عال ثلاث بنات فأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة. قال قائل: يا رسول الله أو اثنين، قال: أو اثنين، حتى لو قال: أو واحدة، لقال واحدة)³. (ومن أذهب الله عز وجل كريمته كان ثوابه على الله عز وجل، فقالوا: يا رسول الله، وما كريمته، قال: عيناها)⁴. قال: فكان ابن عباس إذا حدث بهذا الحديث قال: هذا والله من كرائم الحديث وغرره.

1 - مسلم - كتاب الإيمان، حديث 113. النسائي - الإيمان، حديث 4936. ابن ماجه - المقدمة، حديث 111.

2 - ابن ماجه، حديث 114. أحمد - مسند العشرة، حديث 1062.

3 - الترمذي - كتاب البر والصدقة، حديث 1912-1917.

4 - الترمذي - كتاب الزهد، حديث 2400. أحمد - مسند المكثرين، حديث 13510.

وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج، قال: أنا أبو القاسم علي ابن يعقوب بن إبراهيم الهمداني قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، نا محمد بن إسحاق بن الحريص، نا إبراهيم بن هشام، حدثني أبي عروة بن رويم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (من كان ذا وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام)¹.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الشاهد، نا أبو الطيب محمد بن جعفر بن در بن غندر، نا إسماعيل بن علي الشافعي، نا محمد بن إبراهيم بن كثير الصيرفي، نا أبو نواس الحسن ابن هاني، نا حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس /لو440/ بن مالك، قال: قال رسول الله (لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة)².

أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الشاهد، نا أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق البغذادي، نا أبو عمرو مقدم بن داود ابن عيسى بن تليد الرعيني إملاء، نا أسد بن موسى، نا المبارك بن فضالة حدثني ثابت البناني، أخبرني عبد الرحمان أن رسول الله صلى صلاة الصبح، فلما قضى صلاته قال: (أيكم أصبح اليوم صائماً؟ فقال عمر بن الخطاب: أما أنا يا رسول الله بت الليلة وأنا لا أحدث نفسي بالصوم، فأصبحت مفطراً. وقال أبو بكر: أما أنا يا رسول الله فبت الليلة أحدث نفسي بالصوم، فأصبحت صائماً. قال: فأيكم عاد اليوم مريضاً؟ فقال عمر: يا رسول الله، إنا صلينا الساعة ولم نبرح فكيف عودُ المرضى. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله أخبرونا بالأمس أن أخي عبد الرحمان بن عوف وجع فجعلت طريقي عليه، فسألت عنه ثم أتيت المسجد. فقال رسول الله: فأيكم تصدق اليوم بصدقة؟ فقال عمر: يا رسول الله، والله ما برحنا معك منذ صلينا، أو قال: لم نبرح منذ صلينا، فكيف نتصدق. فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمان بن عوف دخلت المسجد، فإذا سائل يسأل وابن لعبد

1- المعجم الصغير للطبراني (ج1 ص161). وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يثبت. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية. (ج2 ص520).

2- الجزء الأول من الحديث: مسلم - الجنة وصفة نعيمها، حديث 5124_5125.

الرحمان بن أبي بكر معه كسرة، فأخذتها فناولتها للسائل. [قال]:¹ أنت فأبشر بالجنة، أنت فأبشر بالجنة. فلما سمع عمر بذكر الجنة تنفس، فقال: هاه. فنظر إليه رسول الله، فقال كلمة رضي بها عمر. فقال رسول الله: رحم الله عمر، إن عمر يقول: ما سبقتُ أبا بكر إلى خير قط إلا سبقتني إليه)².

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب قراءة عليه وأنا أسمع، قال: نا أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد بن يحيى بن إسحاق، نا عبد الأعلى بن حماد النرسي، نا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، نا سعيد بن خالد عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال: قال رسول الله: (المؤمنُ واهي راقعٌ، وسعيدٌ من هلك على رُفعة)³.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله، قال: نا أبي عبد الله بن محمد إملاء، أنا يحيى ابن محمد النحري، نا عباد بن الوليد النرسي، نا عبد الواحد بن زياد نا سليمان الأعمش نا أبو نجى مولى جعدة /لـ441/ بن هبيرة يقول: قيل للنبي: (يا رسول الله، فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال رسول الله: لا خير فيها، هي في النار. قالوا: فلانة تصلي المكتوبة وتصدق بالأثوار – يعني الأقط – ولا تؤذي أحدا، فقال: أبشر، فهي في الجنة)⁴.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء البغدادي، نا أبو الحسن علي بن عمرو بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني الحافظ، نا أبو عبد الله عبيد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله، نا سيار بن نصر أبو الحكم، نا عمر بن حفص بصري، نا العلاء بن عمرو، نا الوضاح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله لأبي بكر رضي الله عنه: (يا أبا بكر، إن الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. وإن الله أعطاك يا أبا بكر ثواب من آمن بي منذ بعثني الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة).

1 - غير موجودة في النسختين.

2- ورد برواية أخرى: مسلم (ج7 ص110). أبو بكر الصديق لمحمد رضا (ص 15).

3- المعجم الصغير للطبراني (ج1 ص66). واهي: مذنب. راقع: نائب مستغفر.

4- مسند أحمد (ج2 ص 440). والأقط: اللبن المجفف.

أنا أبو حازم محمد بن الحسين بن خلف الفراء، نا أبو الحسن علي بن عمر بن مهدي الدارقطني الحافظ، نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأبو حامد الحضرمي والحسين بن إسماعيل، قالوا: نا محمد بن عمرو بن أبي مذعور، نا هشيم، نا مالك بن مغول عن الشعبي وأبو إسحاق عن الشعبي عن الحارث عن علي عليه السلام قال: (أقبل أبو بكر وعمر إلى رسول الله ع، كل واحد منهما أخذ بيده صاحبه. قال: فلما رأهما قال: هاذان سيذا كهول الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي)¹.

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو بكر محمد بن أحمد الحيدري المقرئ، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن السكسكي عن ابن المثنى عن أبي الزبيد عن أبي الدرداء عن النبي ع قال: (يصيح صائح يوم القيامة: مَنْ كانت له عند الله عُدَّةٌ فَلْيُقَمْ، أين أهل العفو فيدخلون الجنة. ثم يصيح صائح: مَنْ كانت له عند الله عدة فَلْيُقَمْ. أين أهل الصدقة، فيقومون، فيدخلون الجنة. وهم أول الناس دخولا الجنة)².

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله، نا أبو بكر محمد ابن أحمد الحيدري المقرئ، نا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد، نا أبو الدرداء هاشم / 442/ بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن عباد عن أيوب بن موسى وإسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر عن النبي ع قال: (من مكارم الأخلاق التزاور في الله، وحق على المزور أن يقرب إلى أخيه ما تيسر عنده، وإن لم يجد إلا جرعة من ماء. وإن احتشم أن يقرب إلى أخيه ما تيسر لم يزل في مقت الله عز وجل يومه وليلته. ومن استحقر ما يقرب إليه أخوه لم يزل في مقت الله عز وجل يومه وليلته)³.

¹ - الترمذي - كتاب المناقب، حديث 3666.

² - مختصر تفسير ابن كثير (ج1 ص312). مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني (ص224).

³ - مثله، قال ع: (أيما مسلم ضاف قوما، فأصبح الضيف محروما، كان حقا على كل مسلم نصرته حتى يؤخذ له بقراه من ماله وزرعه). شرح السنة للبخاري (ج11 حديث 3004).

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد بن النحوي في المسجد الأقصى قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية، نا محمد بن جابر الضرير، نا عبيد الله ابن عمر القواريري، نا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار عن الحسن، قال: ما من عبد يخطب خطبة إلا سألته الله عنها يوم القيامة: ماذا أردت بها؟ وكان الحسن إذا ذكر هذا الحديث بكى.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب ابن الجراب البغذادي، نا محمد بن يونس القرشي، نا حرم بن حفص، نا صدقة بن عبادة الأسدي، عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: (فعرّهم وهم له منكرون)¹، قال: دخل إخوة يوسف عليه السلام عليه وبين يديه جام من فضة مخصص بالذهب، وبيده حصاة يضرب بها في الجام ويطن الجام. ثم قال لهم: تدرون ما يقول هذا الجام؟ قالوا: لا أيها الملك. قال: يقول لي إنه كان لكم أخ من أبيكم، فعَلَّثُم به كذا، وفعلتم به كذا. قال: معاذ الله. قال ابن عباس: وهو قول الله عز وجل: (فعرّهم وهم له منكرون).

أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن رزيق الكوفي، نا إسماعيل بن يعقوب ابن الجراب البغذادي إملاء، نا الحسن بن سليمان بن نافع، نا هذبة بن خالد، نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، أن هارون عليه السلام مر بالسامري وهو يصنع العجل، فقال له: ما هذا الذي تصنع؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر. فقال هارون عليه السلام: اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه. فلما قَفَّى هارون عليه السلام قال السامري: اللهم إني أسألك أن يخور. فكان إذا خار سجدوا، وإذا خار رفعوا رؤوسهم. وإنما خار لدعوة هارون.

أنشدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي، قال أنشدنا القاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، قال: أنشدنا أحمد بن محمد بن مسلم، قال أنشدنا عبد الو443/ الرحمان بن صالح، قال: أنشدنا جليس لأبي بكر ابن عياش: (البسيط)

1 - سورة يوسف - الآية 58.

إن الكريم الذي تبقى مودته ويكتم السر إن صافا وإن صرما
ليس الكريم الذي إن زل صاحبه أفشى وقال عليه كل ما كتما

ومن الجزء السابع عشر: أخبرنا شيخنا بسنده إلى القاضي أبي الحسن الخلعي، أنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو سعيد أحمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري المعروف عن محمد ابن عبد العزيز عن مولى لأبي بكرة عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله: (ذنبان لا يغفران، وتعجل لصاحبهما العقوبة: البغي وقطيعة الرحم)¹.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد ابن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم بن أبي داوود، نا آدم نا إسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمان بن سنه، قال: سمعت رسول الله: (والذي نفسي بيده ليأرز الإيمان إلى ما بين المسجدين؛ مسجد مكة ومسجد المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها)².

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو الفوارس أحمد بن محمد بن الحسين الصابوني، نا إبراهيم بن أبي داوود، نا آدم، نا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن يزيد السكوني عن أبي بحرية السكوني عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله: (الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية في سبعة أشهر)³.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال، قراءة عليه، وأنا أسمع، أنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، نا أبو الزنبايع روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان نا عمرو بن خالد، نا عبد الله ابن لهيعة، عن أبي يونس عن أبي هريرة

¹ - الترمذي - كتاب صفة القيامة، حديث 2511.

² - ابن ماجه - كتاب الحج - باب فضل المدينة، حديث 2525.

³ - الترمذي - كتاب الفتن، حديث 2164. أبو داود - كتاب الملاحم، حديث 3742-3743.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: (نِعْمَ القوم الأزد، نقيّة قلوبهم، بارة إيمانهم، طيبة أفواههم)¹.

أخبرنا أبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن المنهال قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو العباس أحمد بن الحسن بن إسحاق بن عتبة الرازي، قال أبو الزنباع عن روح بن الفرّج بن عبد الرحمان القطان، نا عمرو بن خالد نا ابن لهيعة عن زيد بن أبي حبيب عن ناعم أن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من الأعراب، فقال: (يا رسول الله، إني أحب الجهاد والهجرة. فقال له رسول الله ﷺ: هل بقي من الديك أحد؟ قال: نعم، كلاهما. قال: فارجع فأحسن صحبتهما)².

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي الشاهد قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السري الرافي إملاء، نا سعد بن يحيى بن يزيد، نا مصعب ابن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا دُعي إلى جنازة سأل عنها. فإن أثنوا عليها خيرا صلى عليها وإن أثنوا عليها غير ذلك، قال لأهلها: شأنكم بها. ولم يصل عليها).

أخبرنا أبو العباس/لو445/ أحمد قال وأنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، نا علي هو ابن عبد العزيز قال، نا عثمان بن زفرح، أنا أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلي، قال: وأنا عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق بن الفراء له، نا علي ابن محمد ابن كاس، نا محمد بن خلف النيمي، نا عثمان بن زبرزاد بن جامع في حديثه الكوفي، نا محمد بن زياد، قال زكرياء عن محمد بن زياد الطحان عن محمد بن عجلان عن أبي الزبير عن جابر، قال: (أتى رسول الله ﷺ بجنازة رجل فلم يصل عليه، فقيل: يا رسول الله، ما رأيناك تركت الصلاة إلا على هذا. فقال: إنه كان يبغض عثمان)³، هذا لفظ علي. وقال زكرياء: (أتى رسول الله ﷺ بجنازة رجل ليصلي عليه، فأبى أن يصلي عليه. قالوا: يا رسول الله، ما رأيناك تركت

1 - أحمد - باقي مسند المكثرين، حديث 8261.

2 - مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، حديث 4624.

3 - الترمذي - كتاب المناقب، حديث 3642.

الصلاة على أحد غير هذا؟ فقال: إنه كان يبغض عثمان ابن عفان، أبغضه الله).

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز، نا أبو الطاهر أحمد بن محمد بن عمرو المديني، قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي، نا ابن وهب يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة أن أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ع، يقول: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة، ولا يمثل الشيطان بي) ¹، وقال أبو أسامة: قال أبو قتادة: قال رسول الله ع: /لو446/ (من رآني فقد رأى الحق).

أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى الإشبيلي، نا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم بن يوسف الميانجي إملاءً بمصر، نا محمد ابن طاهر بن أبي الدميك، نا سليمان بن الفضل الرندي أبو الفضل نا عبد الله ابن المبارك عن همام عن قتادة عن أنس أن النبي ع، قال: (من حسن عبادة المرء حسن ظنه) ².

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف الفراء، نا أبو بكر أحمد ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن زياد المعروف بابن الحداد إملاء، نا زكرياء ابن يحيى السنجري ويعرف بخياط السنة، نا أبو مروان العثماني محمد بن عثمان، نا أبي عن ابن أبي الزيات عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ع لقي عثمان وهو عند المسجد فقال: /لو447/ (يا عثمان، هذا جبريل عليه السلام يُخبرني أن الله تبارك وتعالى زوّجك أم كلثوم على مثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها) ³.

أخبرنا الخطيب بن عبد الله بن محمد بن الخطيب القاضي قراءة عليه، وأنا أسمع، قال أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخطيب، نا أحمد ابن يحيى الحلواني، نا علي بن جعفر الأحمر، نا عبد السلام عن يونس بن عبيد عن زياد بن جبير عن سعد قال: قامت إلى

¹ - الترمذي - كتاب الرؤيا، حديث 2276.

² - مسلم - الجنة وصفة نعيمها، حديث 5124. أحمد - مسند المكثرين، حديث 1364.

³ - (لما توفيت رقية بنت رسول الله ع عقب غزوة بدر بكى عثمان بن عفان فسأله رسول الله ع: ما يبكيك؟ قال: أبكي على انقطاع صهري منك، فقال ع: فهذا جبريل يأمرني بأمر الله أن أزوجه أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشيرتها) فقيل له (ذو النورين). نساء الصحابة لعبد العزيز الشناوي (ص147). تراجم سيدات بيت النبي (ص554).

النبي ﷺ امرأة جليلة كأنها من نساء مُضَر، فقالت: (يا رسول الله، إِنَّا كُلُّ عَلِيٍّ أَبَائُنَا وَأَبْنَاؤُنَا وَأَزْوَاجُنَا، فَمَا الَّذِي لَنَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ؟ قَالَ: الرِّطْبُ تَأْكُلْنَهُ وَتَهْدِيْنَهُ) ¹.

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، نا يحيى ابن عبد الله بن الضحاك، نا الأوزاعي، وحدثني الزهري وحدثني سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول: (قرأ الناس مع رسول الله ﷺ في صلاة جهر فيها بالقراءة، فلما قضى صلاته أقبل عليهم، فقال: هل قرأ معي منكم أحدٌ أنفاً؟ فقالوا: نعم، يا رسول الله. /لو448/ قال رسول الله ﷺ: إني أقول ما لي أنزع القرآن) ². قال الزهري: فاتعظ المسلمون بذلك فلم يكونوا يقرؤون.

أخبرنا القاضي أبو الحسن الخصيب بن عبد بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا الحسن بن علوية القطان، نا إسماعيل بن عيسى العطار، نا إسماعيل ابن زكرياء عن سفيان ومسعد عن زياد بن علاقة عن يزيد بن الحارث عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (فناء أمتي بالطعن والطاعون. قيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن، وفي كلِّ شهاداء) ³.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق ابن جامع المديني، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن عبد الملك بن حميد عن الحكم بن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة، قال: (غزوت مع علي عليه السلام اليمن فرأيت منه جفوةً. فلما قدمت على النبي ﷺ ذكرته فتنقَّصْتُهُ، فرأيت /لو449/ وجه النبي ﷺ يتغير، فقال: يا بريدة، أَلَسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه) ⁴.

1- سنن أبي داود - كتاب الزكاة، حديث 1436.

2 - النسائي - باب ترك القراءة خلف الإمام، حديث 881.

3 - المعجم الصغير للطبراني (ج 1 ص 50).

4 - الترمذي - كتاب المناقب، حديث 3712.

أنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار، نا أبو محمد الحسن ابن رشيق العسكري، نا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع، نا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي، نا علي بن هاشم بن البريد عن أبي هلال الراشدي عن قتادة عن سعيد بن المسيب، قال: خرج رسول الله سفرًا، فخلف عليا عليه السلام، فقال: (إنك مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا يوحى إليك)¹.

أخبرنا أبو حازم محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء البغذادي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن المهدي الدارقطني الحافظ قراءة عليه، نا علي بن عبد الله بن مبشر، نا محمد بن حرب النشاي، نا وكيع عن سفيان ومسعود، ونا القاضي الحسين بن إسماعيل، نا يعقوب بن إبراهيم وسلم بن جنادة ويوسف بن موسى، قالوا: نا وكيع، نا مشعر ابن كدام وسفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة الوالبي عن أسماء بن الحكم الفزازي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: كنت إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعتني الله بما شاء. فإذا حدثني عنه غيري /لو450/ استحلفته، فإذا حلف لي صدقته.

وحدثني أبو بكر الصديق وصدق أبو بكر أنه قال: (ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غُفِرَ له)².

أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن محمد الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ، نا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي، نا محمد بن يزيد الأدمي، نا عبد المجيد بن عبد العزيز أبي رواد عن ابن جريج عن الزهري عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله: (عُرِضَتْ علي أجورُ أمتي حتى

¹- مسلم - فضائل الصحابة، حديث 4418 (إلا أنه لا نبي بعدي). الترمذي - المناقب، حديث 3663. أحمد - مسند العشرة، حديث 1514.

²- شرح السنة للبغوي - باب الصلاة عند التوبة، حديث 1015.

القذاة يخرجها الرجل من المسجد. وعُرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من آية أو سورة أوتيها رجل ثم نسيها)¹.

قال الدارقطني: هكذا قال الآدمي في هذا الإسناد عن الزهري عن أنس وغيره يرويه عن عبد المجيد عن ابن جريج عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس وهو الصواب، أخبرنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد الكاتب إملاء، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ إملاء بمصر، نا أبو بكر أحمد بن نصر يعرف بحبشون البندار، نا إبراهيم بن الآدمي، نا داوود بن مهران، نا عمر بن يزيد عن أبي إسحاق عن عبد خير عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت أبا بكر الصديق وهو الصدوق يقول: سمعت رسول الله يقول: (ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتوضأ فأحسن الوضوء وقام فصلى ركعتين، ثم استغفر الله تبارك وتعالى إلا كان حقاً على الله أن يغفر له). قال: فجعل ينادي بها على المنبر، صدق أبو بكر، صدق أبو بكر، فإن الله يقول: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)²³.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه، وأنا أسمع في المسجد الأقصى، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي بقيسارية في رجب سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، نا علي بن حرب، نا/451 أسباط بن محمد نا سليمان التميمي عن قتادة عن أنس أن النبي، قال: (إن منكم قوماً يتعبدون حتى يتعجب الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)⁴.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو أحمد محمد بن محمد بن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر

1- قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهو غريب لأن عبد الله بن عبد الرحمان قال: أنكر علي بن المديني أن يكون المطلب سمع من أنس. سنن الترمذي - كتاب فضائل القرآن، حديث 2916.

2 - سورة النساء - الآية 110.

3 - الترمذي - كتاب الصلاة عند التوبة، حديث 406.

4 - ترمقون: تنفذون. البخاري - كتاب التوحيد، حديث 6880. مسلم - الزكاة، حديث 142. فتح الباري (ج 13 ص 416). غريب الحديث لابن الجوزي (ج 2 ص 354). قال الألباني: حديث ضعيف. سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج 4 حديث 1915).

بن محمد بن سهل الخرائطي، نا أبو بدر عباد بن الوليد الغبري، نا أبو عمر الحوضي، نا عبد الحكم بن ذكوان عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: (شر البرية عند الله منزلة يوم القيامة من أذهب آخرته بدنيا غيره)¹.

أخبرنا أبو الفرج عبيد الله بن محمد النحوي، نا أحمد محمد بن محمد ابن عبد الرحيم القيسراني، نا محمد بن جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي نا إبراهيم بن الجنيد نا سعيد بن أبي مريم، نا نافع بن يزيد، حدثني عياش بن عباس القتابي عن عيسى بن عبد الرحيم عن يزيد بن أسلم عن أبيه، قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مسجد رسول اللهﷺ، فإذا هو بمعاذ ابن جبل يبكي عند قبر رسول اللهﷺ، فقال له: ما يبكيك يا معاذ؟ قال يبكيني شيء سمعته من رسول الله صاحب هذا القبر، قال: وما هو؟ قال سمعته يقول: (يصير الرياء شركا، وإن من عادى أولياء الله قد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يُفقدوا وإن حضروا لم يُدعوا ولم يُقربوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة)².

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن راشد المقرئ قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني الحافظ إملاء، نا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، نا علي بن الجعد ابن عبيد الجوهري، نا الفضل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: (إن الله تبارك وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا، وإن الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)³، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)⁴. ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يده إلى السماء: يا رب، يا رب، أشعت

1- ابن ماجه - كتاب الفتن، حديث 3956.

2- البخاري - كتاب الرقائق، حديث 6137.

3- سورة المؤمنين - الآية 51.

4- سورة البقرة - الآية 172.

أَغْبَرَ، مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي/لُو452/ بحرّام. فأنى يستجاب لذلك¹.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي، قراءة عليه في الجامع، نا خلف بن عمرو العكري، نا المعلى بن مهدي الموصلي، نا عمران بن خالد الخزاعي، نا ثابت عن أنس قال: دخل سلمان على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو متكئ على وسادة فألقاها له، ثم قال: يا سلمان، ما من مسلم يدخل على أخيه فيلقي له وسادة إكراما له إلا غفر الله له.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد المالكي، نا أبو الحسن شعبة بن الفضل بن سعيد الثعلبي البغدادى، نا محمد بن عثمان ابن أبي شيبة، نا علي بن المديني، نا حاتم بن إسماعيل عن ابن مجمع عن أبي الزبير عن علقمة ابن سفيان الثقفي، قال: قال أبو أيوب: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه)².

أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن رجاء بن سعيد بن عبيد الله العسقلاني قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو بكر محمد بن أحمد الحندري المقرئ بعسقلان، أنا أبو محمد عبد الله بن أبان بن شداد قراءة عليه وأنا أسمع، نا أبو الدرداء هاشم بن محمد الأنصاري، نا عمرو بن بكر السكسكي عن إبراهيم ابن أبي عبلّة قال: سمعت أبا أبي ابن أم حرام يقول: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بالسنا والسنوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام، قالوا: يا رسول الله، وما السام؟ قال: الموت)³، قال أبو الدرداء، قلنا: لعمرو، وما السنوت؟ قال: في غريب كلام العرب: رَبُّ عكة السمن تعصر فتخرج خطوطا سوداء مع السمن، وقال الشاعر: (الطويل)

1- مسلم - الزكاة، باب الصدقة من الكسب الطيب. الترمذي - كتاب تفسير القرآن، حديث 2989. مختصر تفسير ابن كثير (ج 1 ص 151).

2- ابن ماجّة - كتاب الوضوء، حديث 231.

3- ابن ماجّة - كتاب الطب، حديث 3448.

هُمُ السَّمْنُ بالسَّنوت لا أَلَسَ فيهم وهم يمنعون جارهم أن يتقردا¹

قلنا: لا أَلَسَ فيهم؟ قال: لا عسر فيهم. قلنا: ما يتقردا؟ قال: لا يُستذل جارهم. قال الشاعر: (الطويل)

وجاءت به شكلاء ذات أسرة يكاد عليها رَبَّة النحر تَكْمُدُهُ

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب القاضي قراءة عليه وأنا أسمع،/لو453/ نا أبي القاضي أبو بكر عبد الله بن محمد بن الخصيب إملاء، نا أحمد ابن الحسن بن أحمد الحداء، نا أحمد بن إبراهيم، حدثني أبو الوليد خلف بن الوليد، نا المحاربي عن بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن، قال: (قراء القرآن ثلاثة: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس. وقوم قرؤوا القرآن حروفه وضيعوا حدوده، واستندروا به الولاة واستطالوا به على أهل بلادهم، فقد كثر هؤلاء في حملة القرآن، لا كثرهم الله. ورجل قرأ القرآن فبدأ بدواء القرآن فوضعه على داء قلبه، فسهر ليله وهملت عيناه، تسربلوا بالحزن وارتدوا بالخشوع، ركدوا في محاربهم، وحثوا برانسهم. فبهم يسقي الله الغيث، وينزل النصر، ويرفع البلاء. والله لهذا الضرب في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر)².

أخبرنا الخصيب بن عبد الله بن محمد بن الخصيب، نا أبي، نا أحمد ابن الحسين بن نصر نا أحمد بن إبراهيم، حدثني أبو النصر عن الأشجعي عن سفيان عن عمران المنقري، قال: سألت الحسن عن مسألة، قال: فلما أجابني، قلت: إن بعض هؤلاء الفقهاء يقول فيها غير هذا. فقال: وهل رأيت فقيها يَفْتِيكَ، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة، البصير بدينه المداوم على عبادة ربه.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز قراءة عليه، وأنا أسمع، نا أبو الحسن أحمد بن بهاذ بن قهران، قراءة

¹ - السَّنَا = نبت، والسَّنوت العسل أو الكمون. لسان العرب - مادة سنا. قَرَدَه انتزع قردانه (الدَّوْيَةُ التي تعض الإبل). والبيت في فصوص صاعد (ج3 ص178). وكذلك في لسان العرب منسوب للحسين بن القعقاع. - مادة قرد.

² - لا يصح عن الرسول ع وإنما يروى عن الحسن البصري كما قال الألباني (ج3 ص531) وكما هو في النص.

عليه يوم الاثنين سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، نا محمد بن زكرياء الغلابي، نا عبد الله بن الضحاك الهادي، نا الهيثم بن عدي، قال: أوتي الحجاج بن يوسف برجل من الخوارج، فأدخل عليه والحجاج يتغذى، فجعل الخارجي ينظر إلى حيطانه وما قد نجد، فجعل يقول: اللهم اهدم، اللهم اهدم، اللهم اهدم. فقال له الحجاج: هيه، كأنك لا تدري ما يُراد بك؟ فقال الخارجي: هيه، نزع الله ما صغيك¹، وما عليك لو دعوتني إلى/لو454/ طعامك! أمّا أن فيك ثلاث خلال مما نعت الله به عاداء؛ فقال: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين)². فامتأ الحجاج غيظاً، فأمر بقتله. فأخرجه³ الحراس إلى الرحبة ليقتلوه فقال لهم: دعوني أتمثل بثلاثة أبيات. فقالوا: تمثّل بما شئت. فأنشأ يقول: (الوافر)

ما رغبة النفس في الحياة وإن عاشت طويلاً فالموت لاحقها
أو أيقنت أنها تعود كما كان براها بالأمس خالقها
إلا تمت غبطة تمت هرما للموت كأس والمرء ذائقها

ثم مد عنقه فضربت. فانصرف قاتلوه إلى الحجاج فأخبروه بقوله، فقال: لله دره، ما كان أصرمه في حياته وعند وفاته. انتهى ما انتقيته من الأجزاء المتقدمة تبركا بلفظها، فاغفرت طولها لفائدتها.

وقد اقتديت في الإكثار من النقل من هذا الكتاب بإمام المرتحلين وشيخ المحدثين الشيخ محمد ابن رشيد السبتي⁴ في رحلته "ملء العيبة بما جُمع من طول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة". وقد أكثر فيها من الفوائد خصوصاً من هذا الكتاب، فربما ينقل جزء بكماله تكثريراً للفائدة. وقد علمت أن الناظر فيما كتبت لا يسأم من مطالعة هذه الأحاديث

¹ - من صَغَا يَصْغِي وَيَصْغُو صَغْوًا أي مال، وصاغية الرجل أي الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده وَيَغْشَوْنَهُ، ومنه قولهم: أكرموا فلانا في صاغيته. لسان العرب - مادة صغا.

² - سورة الشعراء - الآية 128.

³ - في النسختين [فأخرجوه].

⁴ - (ت 721هـ) رحالة عالم بالأدب، عارف بالتفسير والتاريخ. سبق.

وأمثالها من الفوائد، إلا أن يكون ممن قصده الإسمار من الجهلة الأغمار، ولا عبرة بهم عند العلماء المحصلين.

ومما رويته عنه وكتبته من خطه رسالة الإمام أبي القاسم القشيري¹ المسماة بـ "شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة"²، وهي غريبة. ذكر فيها أشياء مما نسبته أهل البدعة للإمام الأشعري. أخبرني بها بسنده إلى ابن حجر عن الزين العراقي عن أبي محمد المقدسي العطار، قال: أخبرنا الفخر ابن النجاري عن ابن الفاخر، قال: أنا زاهد بن طاهر السحامي قال: أنا أبو القاسم القشيري قال:

الحمد لله المجمل في بلائه/لو455/ المجزل في عطائه، العدل في قضائه، المكرم لأوليائه، المنتقم من أعدائه الناصر لدينه، بإيضاح الحق وتبيينه، المبيد للإفك وأهله، المسحق للباطل من أصله. فاضح البدع بلسان العلماء، وكاشف الشبه ببيان الحكماء. وممهل الغواة حيناً غير مهملهم، ومجازي كل غدا على مقتضى عملهم. نحمده على ما عرفنا من توحيده، ونستوفقه على أداء ما كلفنا من رعاية حدوده. ونستعصمه من الخطأ والخلل، والزيغ والزلل في القول والعمل. ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد المصطفى، وعلى آله مصاييح الدجى وأصحابه أئمة الأورى.

هذه قصة سمينها "شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة" بخبر عن بثة مكروب، ونفثة مغلوب. وشرح ملم مولم، وذكر فهم موهم. وبيان خطب فادح، ونشر سافح للقلوب جارح. رفعها عبد الكريم بن هوازن رحمه الله إلى العلماء الأعلام بجميع بلاد الإسلام.

أما بعد، فإن الله تعالى إذا أراد أمراً قدره، فمن ذا الذي يمسك ما يسره أو يقدم ما أخره. أو يعارض حكمه بغيره، أو يغالبه على أمره بقهره. كلا، بل هو الله الواحد القهار، الماجد الجبار. ومما ظهر ببلاد نيسابور من قضايا التقدير في منسلخ سنة خمس وأربعين وأربعمائة من الهجرة، ما دعا أهل الدين إلى شق صدر صبرهم، وكشف قناع ضيرهم. بل ظلة الملة الحنفية تشكو غلبها، وتبدي عويلها. وتنصب عزالي رحمة الله تعالى على من يستمع شكواها، وتصغي ملائكة السماء

1 - عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي (ت 465هـ). سبق.

2 - هدية العارفين (ج 5 ص 607).

حين يندب شجواها. ذلك مما أحدث من لعن إمام الدين، وسراج ذوي اليقين، محيي السنة، وقامع البدعة، وناصر الحق، الزكي أبي الحسن الأشعري، قدس الله روحه، وسقى بالرحمة ضريحه. وهو الذي دب عن الدين بأوضح حجج، وسلك في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبين منهج. واستنفذ عمره في النصح عن الحق، وأورث المسلمين بعد وفاته كتب الشهادة بالصدق. وسمعت الأستاذ الشهير أبا علي الحسن بن علي الدقاق رحمه الله تعالى، يقول: سمعت أبا علي زاهر بن أحمد الفقيه رحمه الله يقول: مات أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه ورأسه في ججري، وكان يقول في خلال نزاعه من داخل حلقه، فأدنيته إليه رأسي، وأصغيت إلي ما كان يقرع سمعي، فإذا هو يقول: لعن الله المعتزلة، مؤهوا وغرقوا.

وإنما كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى يتكلم في أصول الدين على جهة الرد على أهل الزيغ والبدع، تأدياً لما أوجبه الله سبحانه على العلماء من النصح في الدين وكشف تمويه الملحدين والمبتدعين، ولما من الله الكريم على أهل السنة بركاب السلطان المعظم، المحكم في رقاب الأمم. الملك الأجل شاهنشاه ظغرلنك السلجوقي¹. وقام بإحياء السنة، والمناضلة عن الملة. حتى لم يبق من أصناف المبتدعة حزباً، إلا سل لاستئصالهم سيفاً عضباً. خرجت صدور أهل الزيغ عن محمل هذه النقم، وضاق صدورهم عن مقاساة هذا الألم. ومثوا بلعن أنفسهم على رؤوس الأشهاد بالسنتهم، (وضاقت عليهم الأرض بما رحبت)^{2/لو456}، بانفرادهم بالوقوع في مهواة محنتهم. فسولت لهم أنفسهم أمراً، وظنوا أنهم بنوع تلبيس وضرب تدليس يجدون لعسرهم يسراً. فسعوا إلى عالي مجالس السلطان المعظم بنوع نميمة، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة. وحكوا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها ثر³⁻⁴ في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلى زماننا هذا المنشئ منها حكاية ولا وصفاً. بل كل ذلك تصوير بتزوير، وبهتان

1- مادة السلاجقة. الموسوعة العربية الميسرة (ج 1 ص 993).

2- سورة التوبة - الآية 25.

3- في (خ ع) [ثد].

4- من ثر أي غزر، وعين ثرة غزيرة الماء، وسحابة ثر أي كثير الماء.

بغير تقرير. وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)¹.

قال: ولما رفعنا إلى المجلس العلي هذه الظلّامة، وكشفنا قناع هذه الخطة. وذكرنا أن هذه المقالات لم تُسمع من السنة الزمرة، ولم توجد في كتبهم من هذه الجملة. ورجونا منه لهذه الظلّامة نقض بنيانها، وإبطال بطلانها. كان الجواب بغير ما أردنا، وعما رجونا وأملنا. صددنا إلى أن قال، ثم انصرفنا. وما نقموا من الأشعري إلا أنه قال بإثبات القدر لله خيره وشره، ونفعه وضره، وإثبات صفات الجلال له من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وبقائه وسمعه وبصره، وكلامه ووجهه ويده، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى موجود تجوز رؤيته، وأن إرادته نافذة في مراداته. وما لا يخفى من مسائل الأصول التي يخالف طريقه طريق المعتزلة والمجسمة فيها. وإذا لم يكن في مسألة لأهل القبلة غير قول المعتزلة وقول الأشعري، فإذا بطل قول الأشعري، فهل تتعين بالصحة لقول المعتزلة! وإذا بطل القولان فهل هذا إلا تصريح بأن الحق مع غير أهل معاشر المسلمين! الغياث الغياث، سعوا في إبطال الدين، ورأوا هدم قواعد المسلمين. وهيئات هيهات (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره)²، وقد وعد الله الحق نصره وظهوره، والباطل محقه وتبوره. إلا أن كتب الأشعري في الآفاق منشورة، ومذاهبه عند أهل السنة من الفريقين معروفة مشهورة. فمن وصفه بالبدعة علّم أنه غير محق في دعواه، وجميع أهل السنة خصمه فيما افتراه. فأما ما حُكي عنه وعن أصحابه أنهم يقولون: إن محمداً ليس بنبي في قبره، ولا رسول بعد موته، فبهتان عظيم، وكذب محض. لم ينطق به أحد منهم، ولا سُمع في مجلس مناظرة ذلك عنهم، ولا وجد في كتب لهم. وكيف يصح ذلك! وعنهم أن محمداً حي في قبره.

قال الله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله³ الآية، فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم، والأنبياء أولى بذلك، لتقاصر رتبة

1- عن ابن مسعود قال: كان آخر ما حفظ من كلام النبوة (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري (ص154).

2- سورة الصف - الآية 8.

3- سورة آل عمران - الآية 169.

الكافة عن درجة النبوة. قال الله تعالى: (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)¹. فرتبة الشهداء ثالث درجة النبوة.

ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة؛ فمن ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض تبلغني عن أمتي السلام)². ولا يُبلغ السلام إلا لمن كان حيا. ومنها ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من نبي يموت فيقوم³ في قبره إلا أربعين صباحا حتى يرد الله إليه روحه)⁴.

ومنها عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ما من أحد/لو/457/ يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام)⁵. دل الخبر على أن الميت لا يعلم حتى يرد الله عليه الروح، ودل على أن النبي ﷺ حي في قبره.

ومنها عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي غائبا بلغتنني)⁶. ومنها عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (أتيت على موسى ليلة أُسري بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره)⁷. ومنها حديث الإسراء ومروره بالأنبياء في السماوات وخطابهم إياه. ومنها ما رواه ابن قتيبة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

فإذا ثبت أن نبينا حي، فالحي لا بد أن يكون إما عالما أو جاهلا. ولا يجوز أن يكون النبي ﷺ جاهلا، لقول الله تعالى في صفته (ما ضل

1- سورة النساء - الآية 69.

2- ضعيف. الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ج2 ص975).

3- كذا في النسختين، وعند الألباني [فيقيم].

4- قال الألباني: (موضوع وباطل كما أقره في تهذيب التهذيب وكذلك نقله عنه الذهبي في الميزان). الأحاديث الضعيفة والموضوعة (ج1 حديث 201).

5- سنن أبي داود - حديث 1795.

6- مثله: (من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا وكل الله بها ملكا يبلغني، وكفى أمر دنياه وآخرته، وكنت له شهيدا وشفيعا). قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص325): رواه الخطيب عن أبي هريرة مرفوعا، قال العقيلي، لا أصل له: وقد أخرجه البيهقي في الشعب من الطريق الأولى، وفي إسناده كذاب.

7- صحيح مسلم - كتاب الفضائل، حديث 4379. سنن النسائي - قيام الليل والتطوع، حديث 1613.

صاحبكم وما غوى¹. وقال: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه)²، فثبت أنه مؤمن. ورتبة النبوة رتبة الشرف وعلو المنزلة، وهو يزدد كل يوم شرفاً ورتبة إلى الأبد. فكيف لا يكون عارفاً ولا نبياً، والرسول فعول بمعنى المرسل، ولا نظير له في اللغة، والإرسال كلام الله، وكلامه قديم، وهو قبل أن خلق كان رسولاً بإرسال الله، وفي حالة النوم، وإلى الأبد رسول، لبقاء كلامه وقدم قوله واستحالة البطلان على إرساله الذي هو كلامه. ولقد سئل رسول الله ﷺ فقيل له: متى كنت نبياً؟ فقال: (وآدم منجبل تحت طينته)³، وقال ع: (إني لخاتم النبيين وإن آدم سجد لي في طينته).

فإن قيل: فأين وقعت هذه المسألة إن لم يكن لها أصل؟ قيل: إن بعض الكرامية⁴ ملأ الله قبره [ناراً]⁵ - وظني أن الله قد فعل - ألزم بعض أصحابنا، وقال: إذا كان عندكم الميت في حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون ع في قبره غير مؤمن؟ لأن الإيمان عندنا المعرفة والتصديق، والموت ينافي ذلك، ومن لا يكون مؤمناً لا يكون نبياً. وما ألزموه باطل، لأن عندنا أن رسول الله ﷺ حي يحس ويعلم، وتعرض عليه أعمال أمته، ويبلغه الصلاة والسلام على ما بينا.

ثم الأشعري لا يختص بقوله: إن الميت لا يحس ولا يعلم، بل جميع الطوائف - ما عدا الكرامية - عليه. وجواب الأشعري كجواب جميع الناس. وأما ما قالوه من أنه يقول: إن الله لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعتهم، ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم، فذلك أيضاً بهتان. وكيف يصح من قول أحد يقر بالقرآن، والله

¹ - سورة النجم - الآية 2.

² - سورة البقرة - الآية 285.

³ - سنن الترمذي - كتاب المناقب، حديث 3610. ومثله، (كنت نبياً وآدم بين الماء والطيب).

قال الألباني: موضوع، (ج1 حديث 302). شرح علل الترمذي لابن رجب (ج2 ص645).

⁴ - هم أتباع أبي عبد الله بن كرام، وكان من زهاد سجستان، وله أتباع، يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث، ويثبتون له جهة ومكاناً، ولهم في الفروع أقوال وتزوير وإظهار تزهد. والكرامية فرق متعددة منها الطرايقة والإسحاقية والحماقية، والعبادية اليونانية والسومرية والهيصمية. اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للرازي (ص87).

⁵ - ساقطة في (ح م).

يقول (جزاء بما كانوا يعملون)¹، (جزيناها بما كفروا)²، (جزاء من ربك عطاء حساباً)³، (كذلك نَجْزِي من شكر)⁴، وغير ذلك من الآيات.

وليس الخلاف في ذلك، وإنما الخلاف في أنه: هل يجب على الله أن يثيب المطيعين وأن يعذب العاصين، حتى تكون الطاعة والمعصية علتين في استحقاق التواب والعقاب، كما يقول المعتزلة. أو لا يجب شيء من ذلك، وهو مذهب أهل السنة لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، والحكم حكمه، فله أن يتصرف كيف شاء (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)⁵.

وقد وعد المؤمنين الجنة، وقوله صدق. فلا محالة أنه يجازيهم؛ فالمطيعون لا محالة لهم جزاء الطاعة، ولكن بفضل الله عليهم لا باستحقاقهم. والعاصون لا محالة لهم ما توعدهم به، ولكن بعدله لا باستحقاقهم. فالطاعات والمعاصي علامة للتواب والعقاب، لا علل ولا موجبات. قال الله تعالى حكاية عن أهل الجنة الذي أحلنا دار المقامة من فضله، وقال: (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً)⁶، وقال: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً)⁷، وقال: (ولو شئنا آتينا كل نفس هداها)⁸، وقال: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)⁹ الآية. وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس أحدكم ينجي عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه ومغفرة)¹⁰.

وهذه المسألة من شُعَب مسألة القدر. وأهل الحق لا يقولون بوجوب شيء على الله، ويقولون: لله أن يحكم على عباده بما يريد أو يخص من شاء بما شاء. ولقد روى ابن الديلمي قال: (أتيت أبا بن كعب، فقلت:

1- سورة الأحقاف - الآية 14.

2- سورة سبأ - الآية 17.

3- سورة النبأ - الآية 36.

4- سورة القمر - الآية 35.

5- سورة الأنبياء - الآية 23.

6- سورة النور - الآية 21.

7- سورة يونس - الآية 99.

8- سورة السجدة - الآية 13.

9- سورة الأنعام - الآية 125.

10- سنن ابن ماجه - كتاب الأدب، حديث 3386.

إنه وقع في نفسي من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهب من قلبي. فقال: لو أن الله عز وجل عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم كانت رحمته خيرا من أعمالهم. ولو أنفقت/لو458/ مثل أحد ذهباً ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. ولو مُتَّ على غير هذا دخلت النار¹. ثم لقيت عبد الله بن مسعود فقال من ذلك. ثم لقيت حذيفة فقال مثل ذلك. ثم لقيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ع بمثل ذلك.

ورويانا عن حذيفة قال: قال رسول الله ع: (سيكون قوم يقولون: لا قدر، أولئك مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، فإنهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم به)².

وأما ما يقولون عن الأشعري أن مذهبه أن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله. فسبحان الله، كيف لا يستحيي من يأتي بمثل هذا البهتان الذي يشهد بتكذيبه كل مخالف وموافق! إذ حد ما يجوز أن يُسمع عند الأشعري هو الموجود، وكلام الله موجود قديم. وكيف لا يجوز والله يقول: (وكلم الله موسى تكليماً)³. وإنما هذا على مذهب القدرية القائلين: إن كلامه مخلوق في الشجر. فلزمهم أن موسى سمع كلام الشجرة لا كلام الله.

وهذا كما يقال في المثل: رمتني بدائها وانسلت⁴. ومن نسب إلى أحد قولاً لم يسمعه منه، ولا حُكي له عنه، ولا وُجد في كتبه، ولا ناله أحد من أصحابه، ولا وُجد في كتب المغالات لموافق ولا مخالف، عُلِمَ أنه بهتان وكذب. وقد قال تعالى: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا)⁵ الآية.

وأما ما قالوا: إن مذهبه أن القرآن لم يكن بين الدفتين، فهذا أيضاً تشنيع فظيع وتلبيس على العوام؛ فإن الأشعري وكل مسلم غير مبتدع

¹- الترمذي - كتاب القدر، حديث 2144.

²- ابن ماجه - حديث 75. حسن.

³- سورة النساء - الآية 164.

⁴- مجمع الأمثال (ج1 ص367). ويقال لمن يرمي الآخر بعيب والعيب فيه.

⁵- سورة النور - الآية 16. (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك، هذا بهتان عظيم).

يقول: إن القرآن كلام الله، وهو على الحقيقة مكتوب في المصاحف، لا على المجاز، قديم غير مخلوق. ولم يزل ولا يزال ولا يجب انفصاله عن ذات الله تعالى، ولا الحلول في المحال. وكونه مكتوبا على الحقيقة في الكتاب لا يقتضي حلوله فيه ولا انفصاله عن ذات المتكلم، قال الله تعالى: (النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا [عندهم]¹ في الثوراة والإنجيل)². فالنبي ع على الحقيقة في الثوراة والإنجيل وكذلك في القرآن مكتوب على الحقيقة في المصاحف. كما أن الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز معبود في مساجدنا، معلوم في قلوبنا، مذكور بالسنن. وهو واضح بحمد الله، ومن زاعغ عن هذه الطريقة فهو قدرى معتزلي يقول بخلق القرآن.

وأما ما قالوا: إنه يقول بتكفير العوام، فهو أيضا كذب وزور، وهو أيضا من تلبيسات الكرامية على العوام، فإنهم يقولون: الإيمان هو الإقرار المجرد، ولا فرق بين المؤمن والكافر إلا بالإقرار. وغيرهم من أهل القبلية يقول: الإيمان هو جميع الطاعات؛ فرضها ونفلها والانتفاء عن جميع ما نهى الله عنه تحريما وتنزيها. وهذا مذهب أصحاب الحديث. وعند الأشعرى: الإيمان هو التصديق. وهو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله تعالى في أخباره، وأنهم عارفون بالله، مستدلون عليه بآياته. فأما ما تنطوي عليه العقائد ويستكن في القلوب من اليقين والشك فالله تعالى أعلم به.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: (ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن)³ الآية، فمن أقر حكم بإيمانه، فعلم أن الإقرار هو الإيمان. قيل: هذا لا يختص الأشعرى بجوابه بل هو وغيره فيه أسوة، فالجواب أنا نحكم في الظاهر بإيمانه والله أعلم بحقيقة حاله. وهذا كقوله: (ولا تقربوهن حتى يطهرن)⁴، فإذا قالت: قد طهرت جاز قربها، وإن كانت في نفس الأمر على خلاف ذلك. فإن قالوا: الأشعرى يقول: إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام فهم أصحاب تقليد فليسوا بمؤمنين. قيل: هذا أيضا تلبيس، فإن الأشعرى لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا، بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلية يقولون: يجب على المكلف أن يعرف الصانع

1- ساقطة في النسختين.

2- سورة الأعراف - الآية 157.

3- سورة البقرة - الآية 221.

4- سورة البقرة - الآية 222.

المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده. وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين من الجوهر والعرض، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله عز وجل. وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب والتسهيل، والسلف الصالح وإن لم يستعملوها لم يكن في معارفهم خلل، والمستعملون ليس بينهم وبين السلف مباينة في الحق، ولا ما استعملوه بدعة في الدين. وهذا كاصطلاح الفقهاء على ألفاظ مثل العلة والمعلول والقياس وغيره، واصطلاح النحاة وأهل التصريف وغيرهم.

فإن قيل: إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريقة المسلمين. قيل: لا يختص الأشعري بهذا دون غيره من متكلمي أهل القبلة. ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تفصيل لهم. وكيف يُظنُّ بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر وأنهم رضوا بالتقليد! حاشى أن يكون ذلك وصفهم.

وبالجملة، لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك أهل التحصيل وخلا عن طرق أهل النظر. والناس أعداء ما جهلوا. أو رجلٌ يعتقد مذاهب فاسدة، فينطوي على بدع خفية يُلبسُ على الناس عُوار مذهبه ويَعْمَى عليهم فضائح عقيدته. انتهى باختصار.

ل/459/ ومنها قصيدة "ما شأن أم المؤمنين وشأني" لأبي عمران موسى ابن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي¹ في فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. سمعتها عليه بكمالها. وأخبرني بها بسنده المعروف إلى شيخ الإسلام زكرياء عن ابن الفرات عن العز بن جماعة، نا أبو عبد الله محمد بن أبي الحرم مكّي السمسار سماعاً، أنا الحافظ الرشيد أبو الحسين يحيى بن علي القرشي عرف القطار عن ناظمها إجازة، قال رضي الله عنه: (الكامل)

ما شأن أم المؤمنين وشأني هدي المحب لها وضل الشاني
إني أقول مبيّناً عن فضلها و مترجماً عن قولها بلساني

¹ - لعله: أبو عمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد الأندلسي المعروف بالمرتلي (ت 604هـ). تحفة القادم لابن الأبار (ص 132). المغرب في حلل المغرب (ج 1 ص 406).

فالبيت بيتي والمكان مكان
بصفات برّ تحتهم معان
فالسبق سبقي والعنان عناني
فالיום يومي والزمان زماني
الله زوجني به وحباني
وأحبني المختار حين رأني
وضجيعه في منزلي قمران
وبراءتي في محكم القرآن
وعلى لسان نبيه برأني
بعد البراءة بالقبيح رمان
إفكا وسبح شأنه في شاني
ودليل حسن طهارتي إحصاني
وأذل أهل الإفك والبهتان
من جبرئيل ونوره يغشاني
فجتا علي بثوبه وخباني
ومحمد في حجره رباني
وهما على الإسلام مصطحبان
فالنصل نصلي والسنان سنان

يا مبغضي لا تأت قبر محمد
إنني خصصت على نساء محمد
وسبقتهن إلى الفضائل كلها
مرض النبي ومات بين ترائي
زوجي رسول الله لم أر غيره
وأناه جبريل الأمين بصورتي
أنا بكره العذراء عندي سره
وتكلم الله العظيم بحجتي
والله خفرنني وعظم حرمتي
والله في القرآن قد لعن الذي
والله وبخ من أراد تنقصي
إنني لمحصنة الإزار بريئة
والله أحصنني بخاتم رسله
وسمعت وحي الله عند محمد
يوحي إليه وكنت تحت ثيابه
من ذا يفاخرني وينكر صحبتي
وأخذت عن أبوي دين محمد
وأبي أقام الدين بعد محمد

والفخر فخري والخلافة في أبي
وأنا ابنة الصديق صاحب أحمد
نصر النبي بماله وفعاله
وجنى الغنا حتى تخلل بالعبا
/لو460/ وتخللت معه ملائكة
والله الذي لم يخش لومة لائم¹
قتل الألى منعوا الزكاة بكفرهم
سبق الصحابة والقراية للهدى
والله ما استبقوا لنيل فضيلة
إلا وطار أبي إلى عليائها
ويل لعبد خان آل محمد
طوبى لمن وإلى جماعة صحبه
بين الصحابة والقراية ألفة
هم كالأصابع في اليدين توأصلا
حصرت صدور الكافرين بالذي
حب البتول وبعلمها لم يختلف
نسجت مودتهم سدا في لحمه
الله ألف بين ود قلوبهم

حسبي بهذا مفخرا وكفاني
وحبيبه في السر والإعلان
وخروجه معه من الأوطان
زهدا وأذعن أيما إذعان
وأنته بئسرى الله بالرضوان
في قتل أهل البغي والعدوان
وأذل أهل الكفر والطغيان
هو شيخهم في الفضل والإحسان
مثل استباق الخيل يوم رهان
فمكانه منها أجل مكان
بعداوة الأزواج والأختان
ويكون من أحبابه الحسنان
لا تستحيل بنزعة الشيطان
هل يستوي كف بغير بنان
وقلوبهم ملئت من الأضغان
من ملة الإسلام فيه اثنان
فبناؤها من أثبت البنيان
ليغيظ كل منافق طعان

رحماء بينهم صفت أخلاقهم
فدخلهم بين الأحبة كلفة
جمع الإلاه المسلمين على أبي
وإذا أراد الله نصرة عبده
من حبي فليجتنب من سبني
وإذا محبي قد أَلظ¹ بمبغضي
إنني لأم المؤمنين فمن أبى
الله حبيني لقلب نبيه
والله يكرم من أراد كرامتي
والله أسأله زيادة فضله
يا من يلوذ بأهل بيت محمد
صل أُمات المؤمنين ولا تحل
إنني لصادقة المقال كريمة
/لو461/ خذها إليك فإنما هي
صَلَّى الإلاه على النبي وآله
انتَهت القصيدة في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإنما
أثبتها بكمالها لحسنها وغرابتها.

¹ - من لظ بالمكان وألظ به وألح، وألظ بالكلمة لزمها، والإلظاظ لزوم الشيء والمثابرة عليه. لسان العرب - مادة لظظ.

وسمعت منه أيضا بلفظي الأحاديث الدالة على الخصال المكفرة لما تقدم أو تأخر من الذنوب، جمع الإمام الحافظ ابن حجر في جزئه المسمى بـ "الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة"¹. رويتها عنه محذوفة الأسانيد بعد أن كتبتها من خطه. واتفق لي فيها اتفاق عجيب وأمر غريب، اغتبطت به اغتباطا كثيرا، وحمدت الله عليه حمدا أثيرا؛ وذلك أني قرأتها بلفظي على شيخنا أبي مهدي، وكلانا محرم بالحج والعمرة يوم عرفة بعرفة. وكنت تحينت ذلك الوقت وذلك المكان رجاء أن يغفر الله لي وله المتقدم والمتأخر من ذنوبنا، فإنه لا يتعاضمه شيء سيما في الوقت الذي تُنصب فيه رحمته انصبابا، وتتكب الخلاق على موائد أفضاله انكبابا. وتتسع الأطماع، وتمتلئ بالتضرع إلى الله الأسماع. والله يحقق رجاءنا فيه. فإنه الكريم الذي لا يخيب راجيه.

ولنذكر الأحاديث بتمامها تبركا محذوفة الأسانيد كما رويتها، فأقول: أخبرني شيخنا بسنده إلى الحافظ ابن حجر إلى حمدان بن أبان مولى عثمان بن عفان، قال: دعا عثمان بماء فأكثر ترداد الماء على وجهه ويديه، فقلت: حسبك، قد أسبغت الوضوء والليللة شديدة البرد، فقال: صب فإنني سمعت رسول الله ع يقول: (لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)²، أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" و"مسنده".

وأخرج أبو عوانة في مستخرجه على مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ع: (من سمع المؤذن فقال: أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وفي رواية: رسولاً، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)³ فقال له رجل: يا سعد، ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال: هكذا سمعته من رسول الله ع.

وأخرج أبو داود أن رسول الله ع قال للعباس بن عبد المطلب: (يا عباس، يا عماء، ألا أعطيك ألا أمنحك، ألا أحبوك، ألا أفعل بك عشر

¹- المجموع المسمى (الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة). لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852هـ). كشف الظنون (ج1 ص705).

²- مثله: قال ع (ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به في الحسنات، قالوا، بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكرهات، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة). سنن الدارمي - كتاب الطهارة (ج1 ص177).

³- سنن الترمذي - حديث 210.

خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، خطاه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلائيته؛ أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة. فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة. ثم تركع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا [فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، فذلك خمس وسبعون مرة، في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات. إن استطعت أن تصلها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة¹]. انتهى².

وأخرج ابن وهب في "مصنفه" عن أبي هريرة أن رسول الله ع قال: (إذا آمن الإمام فأمنوا فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمئنه تأمئن الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)³.

وأخرج آدم بن إياس في كتاب التواب له عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ع: (من صلى سبعة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له بها مائتي حسنة، ومحا عنه مائتي سيئة، ورفع له مائة درجة، أو مائتي درجة، وغفر له ذنوبه كلها، ما تقدم وما تأخر إلا القصاص)⁴.

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ع: (من قرأ إذا سلم يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، سبعة سبعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطى من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر)، وفي إسناده ضعف شديد جدا.

¹- سنن ابن ماجه - كتاب الصلاة، حديث 1139. سنن أبي داود - الصلاة، حديث 1152.

²- ما بين [] في طرة (ح م).

³- صحيح البخاري - كتاب الأذان، حديث 738. مسلم - الصلاة، حديث 618. الترمذي - الصلاة، حديث 232.

⁴- مثله: عن نعيم بن همار، قال: سمعت رسول الله ع يقول (يقول الله عز وجل، يا ابن آدم، لا تعجزني من أربع ركعات في أول نهارك، أكفك آخره). أبي داود - كتاب الصلاة، حديث 1146. مثله، عن أبي هريرة، قال رسول الله ع (من حافظ على ركعتي الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) شرح السنة للبغوي (ج4 حديث 1008).

/لو 462/ وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ع قال: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)¹.

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ع قال: (ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتها فإن الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو إحدى وعشرين)².

وأخرج أبو سعيد النقاش في "أماليه" عن ابن عمر قال: قال رسول الله ع: (من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)³.

(من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة)⁴، أخرجه أبو داود عن أم سلمة.

(من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشفع فيمن دعا له)، أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود.

(إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله، فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، أخرجه أبو يعلى وأحمد بن منيع عن جابر.

(من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وحشر يوم القيامة من الأمنين)⁵، ذكره القاضي في "الشفاء".

(من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، أخرجه الثعلبي وابن مردويه في تفسيرهما.

(من علم ابناً له القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن علمه إياه ظاهراً فكلما قرأ آية رفع الله بها الأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن) أخرجه الطبراني عن أنس.

¹- صحيح مسلم - كتاب الصوم، حديث 174. سنن الترمذي - كتاب الصوم، حديث 808.

²- صحيح البخاري - كتاب فضل ليلة القدر، حديث 1035. مسلم - الصوم، حديث 219. الترمذي - فضل ليلة القدر، حديث 792.

³- سنن الترمذي - كتاب الصوم، حديث 749.

⁴- ضعيف - الأحاديث الضعيفة للألباني (ج1 حديث 211).

⁵- سنن ابن ماجه - كتاب الصلاة، حديث 2394 - 2395. وفي الشفاء (ج2 ص220).

وأخرج أبو محمد عبد الله بن محمد في "فوائد الأصبهانين" عن أم هانئ وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة، فدخل عليها رسول الله ﷺ فشكت إليه ضعفها، فقال: (سأخبرك بما هو عوض من ذلك، تسبحين الله مائة فتلك مثل مائة رقبة تعتقها متقلبة، وتحمدن الله مائة مرة فتلك مثل مائة بدنة مجلله تهديها متقلبة، وتكبرين الله مائة مرة، وهناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)¹.

(من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، وإن الأمواج لتحت الذنوب حثا) ذكره أبو الحسن الربيعي في "فضائل الشام".

وروي أيضا عن أنس عليه السلام (مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا، من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه، وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملأ الله بطنه نورا، ومن أفاض عليه منها كان طاهرا إلى يوم القيامة)، هذا حديث منكر جدا.

(من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)²، أخرجه ابن منده في "أماله" عن ابن عمر.

(من سعى لأخيه المؤمن في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق)³، أخرجه ابن الناصح في "فوائده" عن ابن عباس.

(ما من عبيدين متحابين في الله، وفي رواية: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر)⁴، أخرجه أبو يعلى عن أنس.

(من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني من الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن

1- سنن ابن ماجه - كتاب الأدب، حديث 3072.
2- كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ج2 ص371). الفوائد المجموعة (ص76). (روي في إسناده كاذبان).

3- الفوائد المجموعة (ص84). (وقال في الذيل: موضوع).

4- سنن الترمذي - كتاب الاستئذان، حديث 2727.

لبس ثوبا جديدا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر¹، أخرجه أبو داود عن أنس.

وأخرج الحكيم الترمذي عن عثمان، قال: سمعت رسول الله
يقول: (قال عز وجل: إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلى
الثلاث: من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته
حسابا يسيرا، فإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة
أحبته الملائكة، فإذا بلغ الثمانين سنة كتبت حسناته وألغيت سيئاته، فإذا
بلغ تسعين سنة قالت الملائكة: أسير الله في أرضه، وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر، وشفع في أهله)². قال الحكيم: وهذا من جيد الحديث،
انتهى.

لـ 463/ وأخبرني شيخنا أبو مهدي بحديث وضع اليد على الرأس
عند خاتمة الحشر، وكتبته من خطه، قال: أخبرني به شيخنا أبو محمد
عبد الكريم الفكون القسطيني عن أبي زكرياء يحيى بن سليمان
الأوراسي عن الشيخ طاهر بن زيان عن الشيخ زروق عن أبي زيد عبد
الرحمان الثعالبي عن أبي القاسم البرزلي، قال: أخبرنا شيخنا أبو الحسن
البطرنجي عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم اللبيري عن الأستاذ أبي
العباس أحمد بن علي البلاطي عن المحدث أبي عمرو عثمان بن حسن
بن علي بن دحية الكلبي عن الحافظ أبي القاسم بن بشكوال عن القاضي
الشهيد أبي علي الصدف عن أبي منصور عبد المحسن بن محمد بن
علي المالكي عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب عن أبي نعيم
أحمد بن عبد الله الأنصاري الحافظ عن أبي الطيب محمد بن أحمد
المقري عن إدريس بن عبد الكريم الحداد، قال: قرأت على خلف، فلما
بلغت هذه الآية: (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل)³، قال لي: ضع يدك على
رأسك. فإني قرأت على حمزة فلما بلغت هذه الآية قال لي: ضع يدك
على رأسك. فإني قرأت على الأعمش فلما بلغت هذه الآية، قال لي: ضع
يدك على رأسك. فإني قرأت على علقمة والأسود فلما بلغت هذه الآية
قالا لي: ضع يدك على رأسك، فإنا قرأنا على عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه فلما انتهينا إلى خاتمة سورة الحشر قال: ضعا أيديكما على

1- الترمذي، حديث 3458. حديث حسن غريب.

2- مسند أحمد - باقي مسند المكثرين، حديث 12802.

3- سورة الحشر - الآية 21.

رؤوسكما. فإني قرأت على النبي ع فلما بلغت هذه الآية، قال: (ضع يدك على رأسك، فإن جبريل عليه السلام لما نزل بها إلي قال لي: ضع يدك على رأسك، فإنها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت).

ورويت أيضا عنه هذه القصيدة وكتبتها من خطه، وهي للشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ذكر فيها المسائل التي اختلف فيها الأشعري¹ والماتريدي². وهي ثلاث عشرة؛ سبعة منها الأولى الخلاف فيها بينهما لفظي، والستة الباقية الخلاف فيها معنوي، لكنه لا يؤدي إلى تبديع وتضليل. وهذه القصيدة غاية في الحسن والسلاسة والإفادة. وقد رأيتها في محل آخر أطول من هذا، إلا أن هذا القدر منها هو الذي يتعلق بما ذكرنا من الخلاف بين الإمامين. أخبرني بها إجازة إن لم يكن سماعا، بسنده إلى زكرياء عن ابن الفرات عن المؤلف تاج الدين السبكي، قال: (الكامل)

يا صاح إن عقيدة النعمان ³	والأشعري حقيقة الإيقان
وكلاهما والله صاحب سنة	بهدي نبي الله مقتديان
لا ذا يُدِّعُ ذا ولا هذا وإن	تحسب سواه وهمت في الحساب
من قال إن أبا حنيفة مبدع	رأيا فذلك قائل الهذيان
أو ظن أن الأشعري مبدع	فلقد أساء وباء بالخسران
كل إمام مقتدى ذو سنة	كالسيف مسلولا على الشيطان
والخلف بينهما قليل أمره	سهل بلا بدع ولا كفران
فيما يقل من المسائل عدة	ويهون عند تطاعن الأقران

¹- في (خ ع) [الأشعريون]. أبو الحسن علي ابن إسحاق من نسل أبي موسى الأشعري (ت 324هـ) سبق. ولابن عساكر كتاب في الموضوع: (تبیین كذب المقتري فيما نسب للإمام الأشعري).

²- نسبة إلى محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، نسبة إلى ما تريد (محلة بسمرفند)، له كتب رد بها على المعتزلة "أوهام المعتزلة" و"الرد على القرامطة" و"الجدل" و"تأويلات أهل السنة" (ت 333هـ). الأعلام (ج 7 ص 19).

³- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أحد الأئمة الأربعة (ت 150هـ). سبق.

ولقد يؤول خلفهم إما إلى لفظ كالاستثناء في الإيمان
لو464/وكمنعه أن السعيد يضل يشقى ونعمة كافر خوان
وكذا الرسالة بد موت إن تكن صحت وإلا أجمع الشيخان
وقد ادعى ابن هوازن أستاذنا فيها افتراء من عدو شان
وهو الخبير الثبت نقلا والإرا دة ليس يلزمها رضى الجنان
فالكفر لا يرضى به لعباده ويريده أمران مفترقان
وأبو حنيفة قائل إن الإرا دة والرضى أمران متدان
وعليه أكثرنا ولكن لا يصح وقيل مكذوب على النعمان
وكذاك إيمان المقلد وهو مما أنكر ابن هوازن الربان
ولو أنه مما يصح فخلفهم فيه للفظ عاد دون معان
وكذاك كسب الأشعري وإنه صعب ولكن قام بالبرهان
من لم يقل بالكسب مال إلى اعتزال أو مقال الجبر ذي الطغيان
أو المعاني وهي ست مسائل هانت مداركها بدون هوان
لله تعذيب المطيع ولو جرى ما كان من ظلم ولا عدوان
متصرف في ملكه فله الذي يختار لكن جاد بالإحسان
فنفى العقاب وقال سوف أثيبهم فله بذاك عليهم فضلان
هذا مقال الأشعري إمامنا وسواه مأثور عن النعمان
ووجوب معرفة الإلاه الأشعري يقول ذاك بشرعة الديان

والعقل ليس بحاكم لكن له
وقضوا بأن العقل يوجبها وفي
وبأن أوصاف الفعال قديمة
ورأيت فيهم من يقول بأن ذا
وبأن مكتوب المصاحف منزل
والبعض أنكر ذا فإن يصدق فقد
هاذي ومسألة الإرادة قبلها
وكما انتفى هذان عنهم هكذا
قالوا وليس بجائر تكليف ما
وعليه من أصحابنا شيخ العرا
وراه مجتهد الزمان محمد القوسي رأيا واضحا السبلان
قالوا وتمنع الصغائر من نبي للإلاه وعندنا قولان
والمنع مروي عن الأستاذ والقاضي عياض وهو ذو رجحان
وبه أقول وكان رأي أبي كذا
والأشعري إمامنا لكننا
نقول ونحن على طريقته ولـ
بل قال بعض الأشعرية إنهم
وأبو حنيفة هكذا مع شيخنا

إدراك لا حكم على الحيوان
كتب الفروع لصحبنا وجهان
ليست بحادثة على الحدثان
كذب عليه جاء من فتان
عين الكلام المنزل القرآن
ذهبت من التعداد مسألتان
أمران فيما قيل موضوعان
عنا انتفى مما يقال اثنان
لا يستطيع فتى من الفتیان
ق وحجة الإسلام ذي الإقتان
وراه مجتهد الزمان محمد القوسي رأيا واضحا السبلان
قالوا وتمنع الصغائر من نبي للإلاه وعندنا قولان
والمنع مروي عن الأستاذ والقاضي عياض وهو ذو رجحان
وبه أقول وكان رأي أبي كذا
والأشعري إمامنا لكننا
نقول ونحن على طريقته ولـ
بل قال بعض الأشعرية إنهم
وأبو حنيفة هكذا مع شيخنا

متناصران وذا اختلاف هَيِّن عار عن التبديع والخذلان

/لو465/ وسمعت من لفظه أيضا نحو النصف من كتاب "الشفاء"¹ للقاضي عياض رواية ودراية، يقرره أحسن تقرير ويبين مقاصده، ويطالع عليه شرح شيخنا شهاب الدين الخفاجي². وكنت أمسكه عليه في حال التقرير وأسرد له المحتاج منه. ويحضر مجلسه فيه غالب النجباء من متفقي أهل مكة. وكان يوم ختمه يوما مشهودا حضره أكابر الفقهاء، وأديرت فيه كؤوس من الأشربة الحلوة، وأطلقت فيه أنواع البخور والروائح الطيبة. وهذه هي أنهي تكربة عند أهل ذلك القطر. وسمعت من لفظه أيضا كتاب "الدعاء" لابن أبي الدنيا³ بكماله، وأجازنا به وبكل ما اشتمل عليه من أدعية وأذكار، وبالأربعين الإدريسية خصوصا، إذ هي من جملة الأذكار الواردة فيه. وسمعت عليه جملة صالحة أيضا من "صحيح مسلم" بلفظه، رواية ودراية. كان يكتب نسخة من صحيح مسلم بخطه، فيصحح منها في كل يوم حصة، بحضرة الفقهاء وإحضار غالب المحتاج إليه من شروح الكتب.

وسمعت من لفظه أيضا جملة صالحة من "سنن أبي داود" ومثلها من "جامع أبي عيسى الترمذي"، ومثلها من "سنن ابن ماجة"، وسمعت من لفظه أيضا جميع السنن للنسائي المسمى بـ "المجتبى". كل ذلك بالمسجد الحرام قبالة الركن اليماني بإزاء منزله الذي كان يسكن فيه رضي الله عنه. وأنشدت له رضي الله عنه يوم ختم كتاب "المجتبى" هذه الأبيات: (الطويل)

ختمنا كتاب المجتبى وأتمه وأسمناه شيخنا مسند الدنيا
محدث هذا العصر شيخ شيوخه ومن نال بالتحديث منزلة عليا
قبالة بيت الله في المسجد الذي جميع عباد الله يأتونه سعيا
شكرناك فيما قد حبوت فزد لنا إلى أن نرى ما بين أظفارنا ريا

¹ - "الشفاء في تعريف حقوق المصطفى" لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي القاضي (ت544هـ).

² - أحمد بن محمد الخفاجي الأفندي شهاب الدين (ت1069هـ). سبق له شرح على الشفاء.

³ - عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا القرشي الزاهد الشافعي (ت281هـ)، له عدة مؤلفات ليس كتاب الدعاء منها. هدية العارفين (ج5 ص441).

اجزنا وكل الحاضرين جميع ما رويتم بلا شرط يخص ولا ثنيا¹

وسمعت عليه بلفظ غيري جملة صالحة من "مناسك"² الخطاب الكبيرة، تفقها بالمسجد الحرام. وكان يحضر مجلسه فيها أرباب المذاهب غير المالكية. وكان يقرأ المناسك في أشهر الحج في غالب السنين، وسمعت يقول: إن عشنا إلى قابل – أو كلاما هذا معناه – قرأنا إن شاء الله "منسك" ابن جماعة³ الكبير، ويحضر جماعة أصحابنا من أهل المذاهب ليكون أتم نفعاً. وهذا المنسك التزم صاحبه فيه ذكر كلام أرباب المذاهب الأربعة في المناسك، فأراد رضي الله عنه تحقيق مناسك الحج على المذاهب الأربعة كلها بحضور أصحاب المذاهب المحققين لفروع مذاهبهم، لأنه اليوم ملجأ الناس في الاستفتاء في المناسك.

ل/466/ وسمعت منه خطبة كتاب "القاموس"⁴ في اللغة، وأجازني باقيه. وسمعت منه خطبة كتاب "نفح الطيب في أخبار الأندلس"⁵ لأبي عبد الله ابن الخطيب الحافظ المتقن سيدي أحمد المقرئ. وهو كتاب حافل جمع فيه من أخبار علماء الأندلس وشعرائها وأحوالها شيئاً كثيراً. واستوفى فيه أخبار لسان الدين بن الخطيب⁶، وكأنه هو المقصود أولاً

1- نوع من البيوع وقع حوله اختلاف في إباحته أو كراهيته. ومصطلح الثنيا يعني: المجهول في البيع. وورد في حديث جابر أن النبي ع نهى عن المحاقلة والمزابنة والثنيا إلا أن تعلم. الترمذي - كتاب البيوع، حديث 1211. النسائي - كتاب الأيمان، حديث 3320. والثنيا أن يبيع الشخص شيئاً ويستثنى بعضه، فإن كان المستثنى معلوماً كشجرة معلومة من بين الأشجار صح البيع، وإن كانت مجهولة لن يصح.

وهذا النوع هو من بيع الوفاء أي البيع بشرط، متى رد الثمن يرد المشتري المبيع إليه، ويسميه المالكية بيع الثنيا والشافعية بيع العهدة والحنابلة بيع الأمانة وبعض الحنفية بيع المعاملة... الموسوعة الفقهية (ج 9 ص 95 - 260).

2- (هداية السالك المحتاج لبيان فعلي المعتمر والحاج). في المناسك، لمحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسين الأندلسي المعروف بالخطاب الرعيني المالكي (ت 954هـ). هدية العارفين (ج 2 ص 242).

3- (هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك). لعز الدين ابن بدر الدين محمد الحموي الدمشقي الشافعي (ت 767هـ). كشف الظنون (ج 2 ص 1829).

4- "القاموس المحيط والقوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط" لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت 817هـ).

5- "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب" لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ). تح د إحسان عباس - دار صاندر - في ثمان مجلدات.

6- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الغرناطي، لسان الدين ابن الخطيب، وزير مؤرخ أديب، من أهم كتبه الإحاطة، والأعلام والحلل الموسوية في ذكر الأخبار المراكشية. وعدة. (ت 776هـ). نفح الطيب (ج 5-6-7).

بالتأليف. وهذا التأليف فيما قيل لي يطلع في نحو من أربعة أسفار، ولم أشاهده كله. وقد أجاد في خطبته غاية، وجمع فيها من علوم البلاغة ما سحر العقول، فلا يمل سماعها سماعها مع طولها، لما اشتملت عليه من النثر الرائق، والنظم الفائق.

وسمعت من لفظه أيضا وصية¹ لسان الدين ابن الخطيب لأولاده الثلاثة، وهي من جملة ما اشتمل عليه التأليف المتقدم. وهي في غاية الحسن والسلاسة والجمع لمقاصد الوصية بما فيه صلاح الدين والدنيا. وقد أخبرني أنه سمعها على شيخنا تاج الدين المكي²، قال لي: ومن عجيب الاتفاق وإن كان سماعها بحضور أولاده الثلاثة، وكأنها وصية منه لأولاده، إذ لم يعيش بعد السماع إلا أمدا قليلا. وكان يخيل لي أن ذلك بالقصد منه رحمه الله.

وعرضت عليه قصائدي المدحية المرتبة على حروف المعجم، وقد تقدم بعضها أول الرحلة، وراجعته فيما يحتاج إلى المراجعة منها، فاستحسنها. ولقوة انصافه استجازني فيها رضي الله عنه، وصححت بمراجعته ضبط ألفاظ لغوية فيها.

وسمعت بلفظي "الدعاء في سجدات القرآن" للحكيم الترمذي³. ولنذكره لغرابته لأنه لا يوجد في كثير من نسخ "نواذر الأصول"⁴. فأقول: أخبرني به سماعا وقراءة عليه شيخنا أبو مهدي عيسى الثعالبي، قال أخبرني سماعا وإجازة شيخنا أبو الحسن علي الأجهوري رحمه الله تعالى عن القاضي بدر الدين القرافي وعن الجمال يوسف بن شيخ الإسلام زكرياء قال: نا أبو يحيى زكرياء الأنصاري عن أبي الفضل ابن حجر بإجازته مشافهة من أبي الحسن علي بن محمد ابن أبي المجد عن سليمان بن حمزة عن عيسى بن عبد العزيز وهو آخر من حدث

1- وصية لسان الدين ابن الخطيب لأولاده - نفح الطيب (ج7 ص391).

2- تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم ابن تاج الدين الأنصاري المالكي المكي، القاضي، (ت1070هـ). سبق.

3- محمد بن علي بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي، أبو عبد الله، محدث حافظ، صوفي، من كتبه: الأكياس والمغترين، ورياضة النفس، ونواذر الأصول في أخبار الرسول ع، وشرح الصلاة. تذكرة الحفاظ (ج2 ص645). لسان الميزان (ج5 ص308). هدية العارفين (ج6 ص15). معجم المؤلفين (ج10 ص315).

4- نواذر الأصول في أخبار الرسول ع للحكيم الترمذي. ولعل دعوات سجدات القرآن جزء منه.

عنه، عن أبي سعيد عبد الكريم ابن محمد السمعاني وهو آخر من حدث عنه بإجازته، من أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر قال: أنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن محمد البرقي الخطيب قال: أنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمان المقرئ، قال: أنا أبو نصر أحمد بن أحمد بن حمدان البيكندي، قال: أنا الحكيم محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه قال: **فضل ما يقرأ في السجود**، روي عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا سجد يقول: (سجد لك سوادبي وخيالي وآمن بك فؤادي، أبوأ بنعمتك علي، وأبوأ بذنبي، هذا ما جنيت على نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت) ¹.

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل مرارا (سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته) ².

وأيضا روت عائشة أنه كان يقول في سجوده: (أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ /لو467/ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، يا عظيم) ³.

وأيضا كان يقرأ في سجوده (اللهم اغفر لي ذنبي كله دفيقه وجليله، أوله وآخره، سره وعلا نيته) ⁴.

قال الشيخ رحمه الله: فهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، ولا نعلم أنه وَقَّتَ شيئا في ذلك. فهذه الأشياء التي ذكرها كلمات ضَرَعَ ومَلَقَ يريد أن يخرج بها إلى ربه من الأجدات، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته، وبذلك يناجي ربه، ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم. وأما ما تراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن، فهو ما ذكرناها هنا:

5 سجدة الأعراف: (طابت لهم منازل القربة عندك فتطهروا عن الاستكبار، وأذعنوا لك خضوعا بما عاينوا من عظيم كبريائك وعزيز جبروتك في الملكوت، فتلقوا عظمتك واستكانوا بالسجود لك خشوعا).

¹ - أحمد - باقي مسند الأنصار، حديث 21935.

² - جزء من حديث طويل: مسلم - كتاب صلاة المسافرين، حديث 1290. سنن الترمذي - كتاب الجمعة، حديث 529.

³ - النسائي - كتاب الاستعاذة، حديث 5439.

⁴ - سنن أبي داود - كتاب الصلاة، حديث 1105.

⁵ - السجدة في (ح م) مرقمة هكذا:

هؤلاء بديع كلمتك ونحن ولد بديع فطرتك، وصنع يدك. وأمة حبيبك. الممدوحين في الثروة والموصوفين في الإنجيل، بما منحتنا من منك وفضلك، وأهديت إلى المخبئين منا هداياك وكراماتك رافة. سجدنا لك بحظنا من رافتك ورحمتك، وألقينا بأيدينا سلماً نرجو مددك وسبيك ومعروفك. يا معروفا بالعطايا الجزيلة، ومحمودا على صنائعك الجميلة).

سجدة الرعد: (سجدت الأحباب طوعا والأعداء كرها، سجد لك شخص الأحباب وظلال الأعداء. أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت السجود وانزوت عن الأعداء، فخرمت. سجدت لك ظلالهم بالغدو والأصل، تميل مع ميل الأظلة والأفياء. طهرت تلك الأجرام والأشباح، بطهارة قلوبهم بنور التوحيد فأهلتهم للسجود لك، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست برجاسة الشرك وتمكن العدو منها. فلك الحمد على ما اصطنعت إلي، وإليك الرغبة يا إلهي في دوامها علي. فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعا وسلما، فاجعلني في متقلبي في محياي لك كذلك طوعا وسلما).

سجدة النحل: (لك سجدت الملائكة، وخافوك من فوقهم، وفعلوا ما أمرتهم. ذلك بأنك عريتهم من الشهوات، وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات، فخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم، ولم يسبقوك بقول، وهم من خشيتك مشفقون. فهم عبادك المكرمون، ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون. بالرافة ابتدأتنا، ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعف خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللآفات عرضتنا، وبالوعد والوعيد في الوحي أدبتنا، وبجودك ومننتك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباء بالمنازل القربة لديك. فخوفنا لك مع الشهوات/لو468/ وأفعالنا مع الوسوس والخطوات والآفات. فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد، يا خير من أشفق علينا ورحمنا).

سجدة سبحان: (لك خرت العلماء سجدا، وحق لهم، بأنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعابنوا بنور علم القربة ماهيات لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخروا لأذقانهم سجدا مع البكاء والعويل، وسبحوا لربوبيتك، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك. وزادهم بكاؤهم لك خشوعا، فخشعت لك جوارحهم، لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية، ذلك

بأنك جعلت للبائي من خشيتك من عاجل التواب أن تملأ جوارحه في الدنيا والآخرة ضحكا. فيا حنان تحن علينا بعطفك وزدنا علما يقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا).

سجدة مريم: (يا خير المنعمين، أنعمت على النبيين والمهدين والمخبتين بالنبوة والهداية، والخبائة فيك. وصاروا إلى محبوبك من الأعمال، وخروا لتلاوة آيات الرحمان لك سجدا وبكيا، تلك خشعة الأحباب. وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقا إليك وقلقا بطول الحبس عنك في سجون الدنيا، يا ودود. فليس من لقيك في السجن عبدا قنّا في العبودة كمن لقيك في دارك دار السلام حرا ملكا محبورا مسرورا. يراك جهرا قد كشفت الغطاء، وتجليت لأهل الوداد عن عجب الكبرياء والجلال، فأنبأتنا عن أحوالهم، فليت شعري من أين بكأؤهم، وما الذي أبكاهم، وأين أصول ذلك المنبع وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك. إلهي فسهل لنا السبي إلى ذلك من فعلهم ظاهرا وباطنا، ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا).

سجدة أول الحج: (سجد لك الخلق والخلقة علوا وسفلا وبراء وبحرا، والحجر والمدر والدواب والشجر وكثير من الأدميين وكثير حق عليه العذاب. ثم قلت: ومن يهن الله فما له من مكرم. فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك، ولم تجعلنا من أهنته، فما له من مكرم. ثم قلت: إن الله يفعل ما يشاء، فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا، وعلى الرحمة التي جرت بمشيئتك فينا، وبإكرامك إيانا. إلهي، فلا تهنا بعدما أكرمتنا على تفريطنا وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا. ولا تسلبنا خير ما أوليتنا. يا عظيم الرجاء، يا حسن البلاء، يا كثير النعماء، يا جزيل العطاء، يا جليل الثناء).

الثانية من الحج: (بك آما ولك ركعنا، ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا، وإياك عبدنا، وإليك أنبنا ربنا، وفعل الخير قصدنا، والفلاح رجونا وأملنا، والنجاح لك بك طلبنا فأعنا، ولا تقطع مددك وعنايتك عنا، وخذ إليك بنواصينا، واجعل فيما لديك رغبتنا. نور قلوبنا، واشرح صدورنا، وحسن أخلاقنا، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا).

سجدة الفرقان: (للرحمان سجدنا، وإياه وَحَدَّنَا، وما عنده أملنا، وبما أمرنا من السجود انتمرنا. فالرحمان مولانا، والرحمان خالقنا، والرحمان هادينا وناصرنا، والرحمان مَنْ عَلَيْنَا بِاسْمِهِ الرَّحْمَانُ، ووفر منه حظنا، وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمان حظنا، فالله ولينا ومولانا، والرحمان أحيانا، والرحيم أعاشنا، والقيوم/ل469/ آوانا. فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك، تَمَّمْ عَلَيْنَا مَعْرُوفَكَ وما ابتدأت من الإحسان، وتَوَلَّ منا ما توليت من أهل رأفتك ورحمته، وتعطف علينا بجودك وكرمك. تبارك اسمك الرحمان ذو الجلال والإكرام. علمت القرآن، وخلقت الإنسان، وعلمته البيان، فَلَاكَ الْآلَاءُ وَالنِّعَمَاءُ. يا ذا الملك والملوك، يا عزيز الجبروت، إليك الرغبوت، ومنك الرهبوت. هديتنا لاسمك الرحمان، ووفرت منه حظنا، فأحييت به قلوبنا، ونورت به أفئدتنا. فالفرح الدائم لمن وصل له اليوم الرحمان قلبا، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غدا بَدَنًا. غمرتني رحمتك العظمى، فزادني اسمك سرورا، وزاد أعداءك نفورا، وإنما نفرهم عن اسمك الرحمان حرمان حظهم من الرحمان، فلم تنلهم رحمتك، فجهلوا اسمك، ونفروا من ذكره، وهو الاسم الذي به حييت القلب، فتمكنوا به في دارك دار السلام).

سجدة النمل: (سجدت لمن يخرج الخبء في السماوات والأرض عالم الخفيات، محصل ما في الصدور، ومبلي السرائر. ولم تَخَفْ عليه حركات جوارحنا، ومكتوم ضمائرنا، وخواطر قلوبنا، وهم نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا. سجدت لله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، يا ذا الأمثال العلى، والأسماء الحسنى. فأنت رب العرش العظيم، واستويت عليه، وأنت عال على العرش. وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية، يا حي يا قيوم، فمن دون العرش إلى ما تحت الثرى في جوف العرش العظيم. يا شاهد كل نجوى، ومن حبل الوريد إلينا أقرب وأدنى. هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفناه على أنفسنا، وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والإفضال).

سجدة السجدة: (أما بآياتك، وخررنا لك سجدا، فسبحانك اللهم وبحمدك، تعاليت، ولك الكبرياء في السماوات والأرض، وأنت العزيز الحكيم. نبرأ إليك من أن نتكبر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننزع أمرك، أو أن نسبقك بقول، أو نخالفك عن أمرك، أو نلجأ إلى أحد

سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو نعلق قلوبنا بمن دونك. لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت أنفي، ولعظمتك خرت قامتي ساجدة، ولربوبيتك أسلمت شخصي عبودة ورقا. فاجعل مولاي حركاتي ومتقلبي وهمي لك خالصا وعلى حقوقك عكوفاً، وبالعبودة لك قائما فانيا، وبقلبي إليك هائما. لا أؤثر على حبك أحدا وعلى أمرك أمرا).

سجدة ص: (لك خررت راکعا وساجدا، مفتونا وغير مفتون، مستغفرا تائبا منيبا. وأنت الذي مننت على عبدك داوود في وقت حلول الفتنة؛ بأن جعلت له السبيل إلى التوبة والاستغفار حتى خر راکعا وأناب، فغفرت له ذلك. وأعلمت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب. وهذا في كرمك وفضلك على أحبائك، موجود يا جواد، وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعة به إلا أنك رجيت/لو470/ عبيدك، وأملتهم ما أوليته من معروفك، لئلا يقنط المفتونون، ولا يتحير الخطؤون، ولا ييأس المذنبون).

سجدة فصلت: (سبح لك من عندك فلم تلحقهم سامة ولا فتور، ذلك بأنك قربت مقامهم، وعريتهم من أشغال النفوس، وأنقذتهم من الوسواس والآفات، وخلقتنا بموضع رحمة من الشهوات والآفات، تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء. فنعوذ بك أن نتكبر عن عبادتك أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك، والإلقاء بين يديك سلما. فمن رام عزا فإنما ناله بالتذلل لك، وكيف لا يعز من انتصب لك خادما، وألقى نفسه بين يديك عبودة وتسليما. إلهي لو كانت لي نفوس غير واحدة يحق لي أن ألقيا بين يديك وأجود بها كلها عليك. وكيف وإنما هي واحدة، وكيف لا أجود بها عليك وإنما نلتها من عندك. وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكفها وتحوطها وتغذوها برأفتك لتصلح لجوارك غدا. والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيارة فيك. أعوذ من جماعات نفسي وحرنها عن حقوقك. يا أكرم داع يا حق مجاب).

سجدة النجم: (لك سجدنا وإياك عبدنا وبأمرك ائتمرنا، وحق أن نسجد. إلهنا خلقتنا من تراب ثم من نطفة ثم من علقة في ظلمات ثلاث، في بطون الأمهات والأرحام والمشيمات. وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الأخطار وفتن دار الغرور وكيد العدو. وأمور الغيب في مشيئتك، يا ذا القدرة والعلو والرفعة. دعوتنا إلى دار السلام، وأنذرتنا

سجون الأعداء، ومننت علينا منة الأحباب، وأبهمت العواقب علينا من أمورنا. فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، ومن ذا يكشف ضرنا إن لم تكشف. يا خير مدعو وأكرم مسؤول، يا أرحم المذنبين، تفضل علينا بعفوك).

سجدة الانشقاق: (المين والشقاء أحاط بهم، مولاي، فاستكبروا عن توحيدك وفوّت حظ منك، نالهم إلهي فتعظموا على الإيمان بك وجعلوا معك إلهاً مغترين بقول العدو. فلا إله إلا أنت سبحانك. وكيف يسجدون إذا قرئ عليهم القرآن وهم المطردون من بابك ينادون من مكان بعيد. إنما يسجد لك أحبابك وأهل رافتك ورحمتك والممنونون عليه بذلك، قربتهم، ووفرت حظهم منك، ونورت قلوبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلمهم بحبلك. فكلما تلوا آياتك فذكروك ذكر الصفاء رموا بأنفسهم، إليك خروا لوجوههم، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسكنوا بلطائف مقالاتك. ظمأ الشوق إليك منهم، وتلقوا أمرك بالقائهم بين يديك مترضين لك. فاجعلني ممن يترضاك فترضى، يا خير المقصودين).

سجدة القلم: (لك سجدنا وبأسباب وسائلك تعلقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا، قصدا للاقتراب منك. مولانا قد أنزلت في وحيك علينا أن (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)¹، ثم قلت لنبيك (واسجدوا اقترب)². فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً. من ذا يستحق القربة منك مولاي إلا مَنْ رَحِمْتُهُ فَقَرَّبْتُهُ، فقد اقتربتُ بفعلي وإلقاء نفسي بين يديك تأميلاً لفضلك وطعماً فيما رجيت عبيدك). انتهى.

1- سورة المائدة - الآية 35. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة).

2- سورة العلق - الآية 19.

2- تحقيق إقامته بالقدس

ذكر الخروج من المدينة المشرفة

فكان سفرنا من المدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عشية يوم الخميس الثاني من محرم فاتح سنة أربع وسبعين وألف. واكثرنا جملين من رجل من المغاربة القاطنين بأرياف مصر، وكانت فيه مروءة، فأحسن وأجمل. فكان خروجنا من المدينة بعد صلاة العصر، وودعنا النبي^ع. وخرجنا نعثر في أذيال الحشرات، ونتبع الزفرات بالزفرات. وعطف الشوق علينا رجله وخيله، وكأننا لم نبت بطيبة ولا ليله.

فكان خروجنا على باب الشامي، لأن منزل المغاربة كان به. فوجدناهم قد قوضوا¹ وذهب المكارى بالأمّعة. فانعطفنا من وراء المدينة إلى ناحية المناخة حتى ودعنا شيخنا الملا إبراهيم في منزله، وخرج معنا إلى قرب داره، وأذن خلفنا. وذهبنا على أرجلنا، ولم نلحق بالإبل. فلما هبطنا إلى واد العقيق تعبت غاية، فلحقنا هناك رجلا من الفلاحين ومعه جمل يسوقه، وحان وقت المغرب والمحل محل خوف، فخاف أن يذهب أصحابنا عنه ويبقى وحده، فقال لي: تعال يا شيخ تركب على الجمل، وأقسم علي، وعلم أن أصحابي لا يذهبون ويتركونني. فركبت وتعجبت من لطف احتياله، وما قدر الله لي في ذلك من اللطف، لأنني لولا الجمل ما ظننت أنني ألحق بالركب، إلا أن يكون بعد مشاق عظيمة. فسرنا وما لحقنا بالركب إلا في ذي الحليفة قد نزلوا بعد صلاة العشاء، فبتنا بها، ثم ارتحلنا صباحا. وأعد الناس السير، ولم يقلوا إلا سويعة قدر ما أكلوا شيئا قريبا من الفريش². ومررنا بشرف الروحاء قبل المغرب، ولم نبت إلا قرب منصرف الروحاء. وفي الغد ارتحلنا ومررنا بمسجد الغزالة، وسرنا حتى نزلنا بالجديدة، بعدما اشتدت القائلة. ووقفنا الناس بها هنيئة ريثما أخرجوا أمتعتهم التي اختزنوها، فارتحلوا ولم ينزلوا إلى قرب الصفراء، حيث تنصرف الطريق يمينا إلى ينبع.

1- قَوَّضَ البناء: نقضه من غير هدم، وتقَوَّضَ انهدم مكانه، وتقوضت الحلق انتقضت وتفرقت، والخلق جمع خلقة من الناس. لسان العرب - مادة قوض.

2- تصغير فرش، وهو قرب واد ملل على أحد وعشرين ميلا من المدينة. وفاء الوفا (ج4 ص1281).

وفي الغد ارتحلنا وملنا يميننا مع شعاب متوعدة. وعند المنصرف قبر يقال إنه قبر عبيدة بن الحارث¹ سيد شهداء بدر، أحد المبارزين في ذلك اليوم، وزرناه. وسرنا إلى قريب من الظهر، فوصلنا بسيط الدهناء، ووجدنا البركة المحمولة هناك ممتلئة ماء. ووقع شأن بين المغاربة الإفريقيين والجوانيين، ولم ينزلوا حتى كان يبدو لهم نخل ينبع، وانحاز كل إلى ناحيته في النزول. وما سرنا قط مثل هذه المراحل طولا، إلا أن الله لطف بالركب، فلم يروا فيها محاربا ولا سارقا. وفي الغد نزلنا ينبع صباحا، وبات الركب فيه ليلتين، واشتد الحر يوم إقامتنا غاية، وحمدنا الله تعالى، إذ لو صادف ذلك اليوم الرحيل لكان فيه فناؤهم.

ثم ارتحلنا من ينبع، واشتد الحر أيضا وسط النهار، وبقيت من الركب إبل. ونزل الناس عصرا بعد ما جاوزوا وعرتين من السبع وعرات، ولم ينزلوا حتى عاينوا الهلاك، وخافوا من الاستيصال. ووقعت عن الجمل وقعة منكرة يومئذ بسبب الدخول بين قطارين من أقطار الجمال، أدمت وجهي وأوهت مفاصلي. وتزايد الحر بعد النزول، وخافوا بعدما نزلوا، فأذنوا بالرحيل ليلا، ونادى المنادي أن تعشوا بعد المغرب وتهيئوا للرحيل، فشق ذلك علينا، وكانت من أعظم الليالي التي قاسيناها في سفرنا. فارتحل الناس بعد العشاء، وصاروا ليلهم خائفين من اللصوص ومن إدراك الحر لهم غدا قبل بلوغ المنهل، فأناخوا هنيأة قبل السحر في وسط واد النار، ولم يحطوا الأحمال إلى أن طلع الفجر، فارتحلوا وساروا سيرا حثيثا. ولما طلعت الشمس ووقع شعاعها على الأرض تار منها لهيب، وونت الركائب كما هو شأنها غب السرى. فلم يصلوا إلى المنهل حتى قرب الزوال، وضاع ناس من الفقراء بقوا في الوادي بمضيعة، وهلك إبل. ولكن لطف الله أتم، ما كان الناس يظنون إلا أنه يتلف معظم الركب. وتخوفوا مثل ما وقع في العام الماضي للركب في ذلك المحل؛ فقد تلف فيه آلاف من الخلق، سيما الركب المصري. وسلم الله المغاربة في هذه السنة. ووقع مثل ذلك للمصري في الخضير²؛ فمات منهم نحو السبعمئة على ما زعموا؛ وهم نازلون هبت عليهم ريح، فكان الرجل يتصرف في حوائجه حتى يقع ميتا.

1- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، قتله عتبة بن ربيعة، قطع رجله، فمات بالصفراء، وهو من المهاجرين. سيرة ابن هشام (ج3 ص262).

2- لعلها تصغير الخضر وهي اسم لتهامة. السهمودي.

لـ551/ ثم قِيلَ الركب على منهل النبط حتى استقوا، وسقوا إبلهم، فارتحلوا بعد العصر. ونزلوا قريبا من المغرب، لأنهم رأوا لصوصا على رؤوس الجبال، فتخوفوا عاديتهم إذا اختلط الظلام. وفي الغد نزلنا الحوراء قرب العصر وباتوا بها. وفي الغد نزلنا الحوراء قرب العصر وباتوا بها. وفي الغد ارتحلنا. فلما طلعنا من العقبة السوداء اشتد الحر غاية، وسرنا سويعة فنزل الناس قهرا وتفرقوا في العضاء¹ يستظلون. فنزلنا تحت سمرة² وتفرق عنا أصحابنا، ولم نجد من نستعين به في نصب الخيمة، فبسطنا ثوبا على أغصان رتمة³، وأدخلنا رؤوسنا تحته. ولم يرتحل الناس إلى قريب من العصر، فخافوا معرفة العطش لبعد المنهل وقبح المياه التي وردوها والتي أمامهم، فأسروا ليلهم. وخسف القمر في تلك الليلة، وسار الناس إلى أن ذهب أزيد من نصف الليل فنزلوا. وفي الغد نزلنا أكرى قرب الزوال، وبات الناس به. وفي الغد سار الناس ولم يبيتوا إلى قرب الوجه. وفي الغد نزلنا الوجه عند طلوع الشمس، ووجدنا به أول الملاقي، ورخص السعر وكثر العلف. وارتحل الناس منه عشاء، وباتوا بعد أن خرجوا من تلك الشعاب وقربوا من واد الأراك. وفي الغد ممرنا بإصطبل عنتر، واستقى الناس منه وتجاوزوه. وفي الغد مروا بالأزلم وتجاوزوه، وفي الغد مررنا بكفافة. فلما قرب الناس من شق العجوز ودخل معظم الركب فيه ولم يبق إلا القليل أغار اللصوص على أواخر الركب قرب بئر الدويدر. فلم يجدوا هناك حماية إلا طائفة قليلة من أعراب برقة ورجلان من أصحابنا ذهبوا لسقي ماء من البئر، فقاتلوهم أشد قتال، وقتل من اللصوص رجلا، ومع ذلك أخذوا جملة من الإبل قريب من الثلاثين بأحمالها، ودخلوا في مضيق تلك الشعاب، وتعدر الغوث. بيد أنه ليس في الركب في هذه السنة من يدفع بل لا من ينفع!

وكان شيخ الركب سيدي أبو زيان حفيد سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وهو رجل لين وليست له عُصبة قوية، إنما كان يتأخر في بعض الأحيان هو وفارس آخر من أصحابه. فكان من قدر الله أن ركب في ذلك اليوم على جمل لإراحة فرسه، وتقدم. وما رأى الناس قط لصا

1- العضاء الشجر العظيم الذي به شوك. لسان العرب.

2- السمرة شجر الطلح، وهو ضرب من العضاء، وهو جيد الخشب.

3- الرتم شجر واحدته رتمة، وهو نبات من دق الشجر.

في ليل ولا نهار من مكة إلى هذا المحل، وكأنهم أمنوا وقل حذرهم. فساروا حتى تجاوزوا دار أم السلطان وباتوا.

وفي الغد أتينا المويلح ضحى بعدما اشتد الحر، ولما قربنا من البندر تقدمت أمم الإبل وملت إلى حائط¹ من نخل لأستريح، فوجدت حارسه رجلا من المغاربة من زناتة إفريقية تعوق هناك. فأدخلني الحائط، وآواني إلى عريش له حوله جابية ماء بارد، وقدم لي من رطب الحائط. فأكلت وقيلت هناك عنده واسترحت حتى ذهبت سورة الحر، فتقدمت إلى المنزل. فجزى الله أهل الإحسان خيرا وأتابهم.

وبات الركب تلك الليلة في المويلح في أرغد عيش، وفي الغد ارتحلنا بعد النزول، ونزلنا حيث تنعطف الطريق يمينا عن البحر. وفي الغد مررنا بعيون القصب واستقينا، وفُتّناه غير بعيد ونزلنا. وفي الغد نزلنا مغارة شعيب قرب المغرب. وفي الغد ارتحلنا بعدما طلعت الشمس وارتفعت، وبتنا أعلى الوادي دون شرف بني عطية. وفي الذي يليه نزلنا أسفل الوادي قريبا من البحر حيث تميل الطريق إلى ظهر الحمار. وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهرا، ووجدنا أهل غزة وأهل معان² قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة، وأقاموا غدا. وهناك تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف وزيارة ثالث الحرمين ومشاهدة الروضة المقدسة المباركة ومعينة آثار الأنبياء وزيارة الخليل وبنية عليهم الصلاة والسلام. وكان ذلك يختلج في أفكارنا أيام المجاورة كلها، ونرغب إلى الله تعالى في تيسير ذلك في مظان الإجابة، وهي إحدى المسائل التي سألت الله تعالى فيها بالملتزم، وجعلنا /لو552/ هذه عنوان ما غاب منها، فمن الله بالإجابة. إلا أنا مع ذلك كنا نرى الوصول إلى تلك الأماكن متعسرا ومتعذرا على أمثالنا، لقلة ذات اليد وعدم القدرة على مقاساة المشاق العظيمة التي يوجبها الانفراد عن الطريق المألوفة، والسلوك في بلاد غير معهودة، والمعارف بها مفقودة، والرفقة إليها غير مأمونة، والمخاوف فيها إن لم تحقق فهي مظنونة. فكنا نمني أنفسنا بعد الوصول إلى مصر واستقرار الأركاب بها: نجدد رحلة من هناك

1- البستان من النخيل إذا كان عليه حائط أي جدار، وفي الحديث: على أهل الحوائط حفظها بالنهار. يعني البساتين عامة لسان العرب- مادة حوط.

2- المعان المنزل، يقال: الكوفة معاني أي منزلي، ومعان مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. معجم البلدان (ج5 ص178).

إلى القدس. (وكان أمر الله مفعولاً)¹، ومن اختار له كان على كاهل السلامة محمولاً.

فلما نزلنا بالعقبة ووجدنا بها رفقة أهل غزة قوي عزمنا على ما كنا نأمله، وتركنا الالتفات إلى ما كانت النفس تسوله، وفوضنا الأمر إلى الله وتوكلنا عليه. وأعاننا على ذلك صاحبنا الحاج العجين الطرابلسي، وكان معنا في الركب، وقوى عزائمنا، واكثرى لنا [جملين للركوب وحمل الماء من رجل اسمه صبح الرباب من عرب الحوك]²، وهم أهل تلك الناحية³، وسلف لنا ما نحتاجه من النفقة في الطريق، وبعثنا كتبنا وأمتعنا مع بعض أصحابنا في الركب إلى مصر، وفارقنا ركب المغاربة هناك. وارتحلوا صبيحة يوم الأحد التاسع والعشرين من محرم، وأقمنا بعده يوماً. وزرنا في ذلك اليوم قبر الشيخ إبراهيم اللقاني⁴، وهو دون البندر في مقبرة هناك معلم عليه بأحجار، وما عرفناه إلا في هذه المرة، دلنا عليه بعض أصحابنا الإفريقيين. فلما خلا المنزل منهم ولم يبق داع ولا مجيب، اشتدت علينا الوحشة، وتسوغنا مرارة الاغتراب في الغربة، وبقينا منفردين ليس لنا خباء يكتننا⁵ من الحر، وثلاثتنا مثل الأثافي⁶ لا رابع لنا إلا عناية الله التي شملتنا ولطفه الذي حف بنا. فحملنا أمتعنا على ظهورنا إلى حائط نخل قرب الركب المصري، ونزلنا فيه حتى جاء صاحبنا المكارى عشاء، فأرانا مأواه في قافلة أهل غزة، فنقلنا إليه أمتعنا وبتنا عندهم.

وفي الغد أخذ الركب المصري في الارتحال من العقبة من نحو نصف الليل، وما خرج آخره من الدار حتى زالت الشمس. وكان أول من رحل باشة الأزلمية، وهو الأمير الذي يقدم مع أول الملاقين إلى

1- سورة الأحزاب - الآية 47.

2- فرقة من التياها، إحدى قبائل بئر السبع بفلسطين، وهي عدة قبائل منها حوك الهزيل، وحوك الأسد... معجم قبائل العرب (ج 1 ص 296).

3- ما بين [] في طرة (ح م).

4- أبو الأمداد إبراهيم ابن حسن اللقاني، متصوف مالكي مصري، (ت 1041 هـ) سبق.

5- الكنّ والكئة والكنان وقاء كل شيء وستره، والجمع أكنان وأكنة. لسان العرب - مادة كنن.

6- الأثفية والإثفية: الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافي وأثاف، وثقيبت القدر إذا وضعت على الأحجار، وقولهم: رماه الله بثلاثة الأثافي فسرّها ثعلب أن الله رماه بالجبل أي بداهية مثل الجبل، والمعنى أنهم إذا لم يجدوا ثلاثة من الأثافي أسندوا قدورهم إلى الجبل. وامرأة مؤثفة أي لزوجها امرأتان سواها وهي ثالثتهما، تشبيهاً بأثافي القدر. لسان العرب - مادة أثف.

الوجه. ولم يزل الناس يرحلون بعده شيئاً فشيئاً. وقبل الظهر رحل المحمل وبعده باشة العقبة، وهو آخر من رحل. ولم يبق بعده إلا من أراد المشي إلى غزة. فلما خرجوا من المنزل ولم يبق به أحد منهم تأخر رُفَقَتُنَا الشاميون حتى غابوا عن أعينهم ودخلوا في شعاب العقبة أخذوا في الاتحال، وارتحلوا في خفارة أمير عرب الوحيدات¹ وما والاها من عرب غزة المسمى الشيخ بشير، وكان ورد العقبة في نحو من عشرين فارساً من أصحابه، وهو صاحب درك الركب المصري والشامي في تلك البلاد. وكانت بينه وبين كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي معرفة، فتكلم معه على أن يذهب بهم بإتوة إلى غزة يؤدون لها، فخاف الحجاج غدره وعدوانه، فتكفل لهم صاحبه الحاج حسن المغربي بكل ما يقع منه نقض وغدر، وثوقاً منه بصاحبه، وذهبوا به إلى أمير الحاج المصري حتى تكفل لهم بذلك بين يديه، وكتبوا عليه سجلاً على ما زعموا. وسبب ذلك أن هؤلاء الأعراب نافقوا على عسكر غزة في هذه السنة، ووقع بينهم وبينه قتال، ونهبوا عسكر أمير غزة، وخرجوا عن طاعته، فلذلك خاف منهم الحجاج الشاميون. ولولا توثقهم بضمان حسن المغربي ما ذهبوا معه. ومع ذلك فقد ذهب أكثرهم إلى مصر، ولم يأمنوا أن يذهبوا معه. وكانت الجعالة التي تكلموا بها معه ثلاثة قروش لكل جمل، وفي الرفقة أزيد من مائة جمل، ولحسن المغربي منها نحو من أربعين.

وسرنا من العقبة بعدما صلينا الظهر واستقينا الماء سيرا رقيقاً لا خوف فيه ولا قلق، ووصلنا فم النقب عند صلاة المغرب، وصليناها في المضيق الذي هو مبدأ الصعود، وطلعنا العقبة رويداً، ووافينا دروتها قريباً من ثلث الليل الأول. ولم نر فيها لصاً ولا سارقاً ولا طارقاً إلا طارقاً يطرق بخير، لأن غالب المكاريين من عرب تلك الناحية، وكل من في تلك الناحية من الأعراب في درك خفير الركب بشير. وسُرق في تلك الليلة جمل من الفلفل للحاج حسن المغربي، فبعث بشير من قص الأثر، فأتى به ولم يضع منه شيء.

فلما طلعنا لسطع العقبة فارقنا أواخر ركب المصري، وكنا أدر كناهم في العقبة، وعدلنا ذات اليمين. وقد وجدنا من الإبل الباقية من

1- معجم قبائل العرب (ج1 ص1247).

الركب المصري في صعود العقبة ما ينيف على المائتين بين حي وميت؛ فربما يكون في الموضع الواحد خمسة أو ستة مصرّعين، كأنما جزرهم جازر. فقضينا العجب من ذلك. وما ذلك إلا من الثقل والسوق العنيف. وما كانت إبل الأعراب الذين معنا إلا دون تلك في السمن بكثير، ومع ذلك لم يضع منها واحد. ولم نزل نسير تلك الليلة في سطح العقبة إلى قريب من ثلث الليل الآخر، فأخذنا في صحاصص¹ أسود لا ماء به ولا كلاً ولا ظل، وأصبحنا فيه. وجعل الأعراب يعدون الإبل والأحمال لأخذ الغفر الذي/لـ553/ شارطوهم عليه؛ فأخذوا على كل جمل قرشين وعلى كل جمل من جمال الأفوام² ثلاثة. والأفوام عندهم هم الفلاحين. وكنا توهمنا أنهم يأخذون منا فصرفهم الله عنا. وليس معنا متاع يأخذون عنه. والإبل التي ركبنا عليها هي لهم، فلم يتعرضوا لنا بسوء. ولم نرحل من ذلك المنزل إلا بعد العصر. وسار الناس سيرا شديداً طول ليلهم. وقل الماء في القافلة، وأضر بنا السهر حتى وقعت مني خيزرانة كانت عندي حجبت بها وشهدت بها المشاهد، فتألمت لفقداءها، ولم أصب في طريقي كلها بمثلها.

ولما كان آخر الليل ذهب مكارينا سلمان وهو ابن أخي صبح المتقدم بعثه معنا، ورجع هو حين قل الماء، وقال لنا: إني أعلم هنا مورداً كنا حفرناه في هذه السنة لنعمنا، وذهب معه بالجمل ليأتينا بالماء، فلم يدركنا حتى نزلنا ضحى قريباً من ماء آخر، فأتانا بماء بارد حلوا.

وأقمنا يومنا هناك إلى العصر، فارتحلنا. فلما كان الثلث الأول من الليل دخلنا في جبال وعرة، وسلطنا في عقاب إلى آخر الثلث الثاني، فنزلنا على ماء يسمى مائق، وهو ماء بارد حلوا في مسيل واد في حفائر، وكان أصله ماء المطر المتحقم في باطن الأودية، وأقمنا فيه إلى العصر، فارتحلنا. وحصر شيخ العرب الناس حتى عاود لحساب الإبل والأحمال. فأراد أن يعد إبلنا فقال شيخ القافلة حسن المغربي: هؤلاء حجاج فقراء لا شيء معهم، فتركها. فلما كان بعد المغرب رأوا سواداً عقبهم إلى الماء فظنوهم عدواً، فرجعت الخيل إلى الماء وبات الناس

1- الصَّخَصِخُ والصَّحَصاح والصَّحَصاحان ما استوي من الأرض وجرد، والجمع الصحاصح وهي الأرض الجرداء المستوية ذات حصّى صغير، وليس بها شيء ولا شجر ولا قرار للماء. لسان العرب - مادة صحح.

2- من الفوم أي الحنطة.

هناك، فإذا هم قوم من العرب معهم أحمال للتجار فروا بها من الغفر¹، فأتوا بها وغفروها. ثم ارتحلنا صباحا وقيلنا في واد قرب موضع يقال له العين. فلقيني قرب المنزل شيخ العرب، وقال: يا حاج يا مغربي، هات القرشين يدا عيني؟ فقلت: إن شاء الله. ولم يذكرها لي بعد. وعطشت خيل العرب، فأخذوا من الناس الماء قهرا لسقيها. ثم ارتحلنا من هناك نقطع أرضا بها أثر العمارة والحرث أشبه الأرضين بأرض برقة. ومررنا تحت الموضع المسمى بالعين. وبعد نصف الليل نزلنا على ماء يسمى ببيرين، وهو أبار غزيرة المياه باردة حلوة، عليها أدواح عظيمة من شجر البطم²، وأصبحنا بها وأقمنا إلى العصر. فارتحلنا وانحذرت بنا الأرض إلى سواحل الشام. وفي الثلث الأول من الليل وصلنا إلى كثنان رمل وجبال منه ممتدة، ولم نزل نقطعها إلى أن غاب القمر في السادسة، ونزلنا إلى الصباح. فارتحلنا وقيلنا في موضع يسمى الرحيبة، وبه آثار عمارة كبيرة ومدينة خالية نزلنا عن يسارها.

ثم ارتحلنا عند العصر، ومررنا بموضع يسمى الرايبة عند الاصفرار. فلما كان عند المغرب أمر شيخ العرب الناس، فنزلوا قرب الوادي المسمى بالفارغ. وكانت إبل حسن المغربي قد تأخرت، فلما جاء وجد الناس قد نزلوا، وأبى عن النزول. فارتحل الناس بعدما حطوا رحالهم، وفارقهم شيخ العرب وجماعته لأنهم خافوا من باشة غزة؛ فإنهم قتلوا منه في الشهر الذي قبل هذا نحو ثلاثمائة، وسار الناس على حالة وجل ليلهم أجمع لأن المحل موضع بين الفريقين. فلما طلع الفجر صبيحة الاثنين السابع من صفر أناخوا بباب غزة. فنزلنا خارجها، واطمأنت القلوب بعدما كانت في وجل، ورأينا البساتين والأشجار والمنازل والقصور وكأنما نُشِرنا من القبور، ودخلنا في عالم آخر سوى الذي كنا فيه. وحمدنا الله كثيرا وشكرناه شكرا أثيرا.

ودخلنا المدينة بعد طلوع الشمس، وتلقانا أول ما دخلنا رجل من تجارها، فأدخلنا داره تبركا، وأطعمنا. ثم ذهبنا إلى المسجد الكبير ونزلنا به. وما شعرنا أن به الدؤيبة المسماة عندهم بالدلم، وهي أضر شيء

1- أصل الغفر التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي سترها.

2- البطم شجر الحبة الخضراء، مفردة بطم، وأهل اليمن يسمونها الضرو. لسان العرب— مادة بطم.

لبدن الإنسان؛ تلسع لسعا، تسري سميته في البدن فيحكه أياما، وكثيرا ما يعقب مرضا رديا، والعياذ بالله. فتأثر من ذلك بعض أصحابنا.

ورأينا من غزة بلدا فسيحا ومنظرا رائقا، وأسواقا حافلة وأسعارا رخيصة وفاكهة كثيرة. مع ما هم فيه من التشويش من أجل العرب المخالفين؛ فإنهم يغيرون على القرى التي حول المدينة وينسفون زروعها. وعجز الباشا عن مقاومتهم. وكان في تلك الأيام يضم البيارق من النواحي ويتهاى للخروج إليهم. والبيرق عندهم عبارة عن جماعة من الخيل لهم رئيس يقدمهم. ولكن الباشا مع كثرة ما جمع لا يقدر على البروز إليهم لنجدتهم وشجاعتهم. وكانوا يحكون عن بشير وجماعة من أقاربه الأبطال أمورا غريبة من الشجاعة. وقد رأيت عند بشير فرسا أنثى كُحَيْلِيَّة زعموا أنه اشتراها بألف قرش. والكحيلية نوع من الخيل عندهم معروف بالعناقة.

/لو554/ وقد كنت استصحبت كتابا من عند صاحبنا الشيخ إسماعيل النابلسي الحنبلي لما افترقت معه في العقبة، كتبه إلى صالح علماء غزة وعالم صلحائها ذي البيت الشهير والجاه الكبير الشيخ عبد القادر بن الغصين¹، أوصاه فيه بشائي وعرفه فيه بحالي. فلما دخلت المسجد الكبير، وكنا تعبنا ليلنا وأثر فينا السرى لم أطق حراكا، ولم أخرج من المسجد حتى صلينا الظهر. وسألت عن الشيخ عبد القادر، فعُرِّفْتُ بصفته، فلما جاء وقت العصر ودخل المسجد للصلاة ناولته الكتاب، فأخذه وذهب به إلى منزله. وبتنا تلك الليلة بالمسجد، ولم يرجع إلينا بشيء. وهذا المسجد من أحسن المساجد رُواءا؛ عالي البناء، فسيح المنظر، له صحن رائع مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة، وفيه دالية عنب قد غطت أغصانها الناعمة جهة منه. وفيه شجرتان كبيرتان من الزَّان² بسقتا في السماء بسوقا مفرطا، كأنهما نخلتان سحوقتان. وعلى يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوتة، وهو مفصول عن الصحن بشبابيك غريبة الصنعة،

1- عبد القادر الغزي الشهير بابن الغصين شافعي المذهب، رفاعي الطريقة (ت 1087هـ). إتحاف الأخلاء. بإجازة المشايخ الأجلاء (لو695) أجاز أبا سالم وقرأ عليه منظومة الشيخ المقرئ في العقائد وأجازه بها وبسائر مروياته.

2- الزَّان : البشم، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به، وفي حديث عمرو بن دينار: لا بأس من نزع السواك من البشامة، وورقه يدق ويختلط بالحناء للتسويد، وهو شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار. لسان العرب - مادة بون - ومادة بشم.

ولا يصلون فيه إلا في أيام الشتاء. ووجدنا الفعلة مجتهدين في تبييضه وتجديد نقوشه. وأما بنيانه فلا يحتاج إلى تجديد لفخامته ووثاقه. وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل، إلا أن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد. وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام.

ومما عيب على أهل هذا البلد عدم احترامهم للمساجد؛ فإن لهذا المسجد - وهو أعظم مساجدهم - أبوابا بعضها إلى ناحية السوق وبعضها إلى ناحية الدور، فلا يكون لأهل الدور مروراً إلى السوق إلا في وسط المسجد، ويمرون في صحنه بنعالهم، ويستعملون فيه الدخان الذي يشربونه. وقد قال بعض المغاربة المجاورين هناك مداعبا: إن هؤلاء لا يعدون المسجد إلا الحصير بنفسه، فإنهم يحترمون ما دام مبسوطة ولا يطؤونه بنعالهم، وما سوى المكان المفروش لا فرق عندهم بينه وبين الأزقة.

ولما كان الغد من يوم وصولنا دخلت على الشيخ عبد القادر في مدرسته، فسلمت عليه، وقال لي: أين الرجل الموصى عليه في الكتاب الذي ناولتني أمس، أين نزل، فإني لم أجد من يدلني عليه؟ وكان لا يظنني إياه لما رأى من رثاءة هيأتي. فقلت: أنا هو. فأعاد السلام ورحب، واعتذر عما صدر منه من التغافل. وبعث في الحين من أتى بامتعتنا وأصحابنا من المسجد، وأنزلنا في مكان واسع مهيب للمرافق من مدرسته. وأحسن غاية الإحسان. ومدرسته هذه في قبلة المسجد الأعظم، ليس بينه وبين المسجد إلا الطريق. وغالب جلوسه فيه، ويأوي إليه أصحابه فيه، ويقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس مناوبة. وفيه خزانة كتب، وتقرأ فيه كتب علمية. وأخبرني رضي الله عنه أن أمير البلد هو الذي بنى هذا الرباط، وأوقفه عليه، وجعل له أوقافاً. وأخبرني أن الشيخ أبا العباس المقرئ¹ رضي الله عنه هو السبب في ذلك، وأنه لما جاء من مصر إلى الشام، وكان نزوله عند والد الشيخ الغصين، وكانت للشيخ المقرئ مكانة عند الأمير. قال: وكانت دارنا بعيدة من المسجد، فأتي إلى المسجد أقرأ فيه وأقري. فسألته أن يطلب لي الإذن من الأمير في بناء بيت ببعض رحاب

1- أحمد بن محمد بن سعيد المقرئ صاحب النفح (ت1041هـ) سبق.

المسجد، وأشتغل فيه بالمطالعة والقراءة. فقال لي: لا بد من حضورك معي عند الدخول على الأمير. قال: فلما دخلنا عليه قدم له الشيخ مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر. وقال له: إنه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله، وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويُقَرَأ. فقال الباشا: مثلك لا يليق له البناء في المسجد، ولكن هنا موضع نُحَيِّسُهُ عليك. وهو موضع المدرسة الآن. وكان يسكنه أقوام لا خلاق لهم من أعوان الدولة. فقال له الشيخ المقري: لما هممت بهذا فأمضيه الآن ولا تؤخر. فلم يبرح من المحل حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود. وأخرج من كان في ذلك المحل. وحبس على المحل أوقافا يتحصل منها نحو خمس قطع في كل يوم. ولم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة والله الحمد. قال: فما نحن فيه كله من بركة الشيخ المقري.

قال لي: ومن قوة تواضع الشيخ المقري رضي الله عنه أنه لما أتى من مصر جاء بكتاب من عند شيخ التجار بمصر أبو طافية إلى والدي. فأنزله والدي عندنا وأكرمه غاية. فلما أنس بنا وتداخل معنا قال له والدي يوما: يا سيدي أحمد، إنا نشتهي الطعام المسمى عند المغاربة بالكُسْكُس، فهل في أصحابكم من يحسن صنعته؟ فقال له: فيهم، ولكن والله لا يصنعه لكم أحد غيري. قال: فأتينا بشاة لحم¹ ودقيق وسمن وما يحتاج إليه، فصنع لنا بيده طعاما من أجود ما يكون من ذلك النوع.

ومما حكي لي عنه أن والده أتى إليه بولده الصغير المسمى عبد الرحمان²، وسأله أن يدعو له. قال: فدعا له وبرَّك، وكتب له وقفا في صحيفة من فضة، وأمر بتعليقه عليه. فقال: يحصل لذلك الولد جاه عظيم وحظوة كبيرة عند الأمراء /لو555/ وأرباب الدولة. وهو الآن شيخ التجار بتلك البلاد وكلمته نافذة عند العام والخاص. وله أخ بمصر هو من كبار تجارها. وأخوهم الثالث هو الشيخ عبد القادر مشتغل بالعلم والعبادة، لا يشتغل بشيء آخر من أمور الدنيا، قد كفاه إخوانه مؤونة كل شيء. فانتشر له صيت وجاء بتلك الديار من قِبَل علمه وصلاحه ومن قبل جاه أخويه الدنيوي. فجمع له جاه الدين والدنيا معا.

1- كذا في النسختين. ولعل الصواب: بلحم شاة.

2- أخو عبد القادر بن الغصين. أي أن الغصين أتى بولده الأصغر عبد القادر إلى الشيخ أحمد المقري ليدعو له ويبركه.

وقد استجزته فأجازني حسبما أذكره في جملة الإجازات في آخر الكتاب. وقرأت عليه بلفظي منظومة شيخه المقرئ في العقائد المسماة بـ "إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة"¹ كلها، وأخبرني بها عنه، وقال لي: أنا ممن كان السبب للشيخ في نظمها؛ فإني كنت أقرأ عليه "صغرى"² الشيخ السنوسي بمصر، فسألنا منه نظماً في العقائد، فكان كلما قرأ درساً نظمته فيقرئه غداً، كذلك إلى أن ختمها.

وعند الشيخ الغصين نسخة من هذه المنظومة عليها خط الشيخ في أماكن، وعليها إجازة لمالكها الشيخ عبد القادر. ولنذكر بعض ما رأيته مكتوباً في هوامشها بخط المؤلف تبركاً به وزيادة للإفادة. فمن ذلك قوله: واستجل معنى من لنفسه عرف، ما نصه حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه)³، قال النووي فيه: إنه غير ثابت. وقال بعضهم، وأظنه السمعاني⁴: من كلام يحيى ابن معاذ⁵. وألف بعض شيوخنا المغاربة فيه مصنفًا سماه "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه". قال مؤلف "العقيدة" الفقير أحمد بن محمد المقرئ وفقه الله: وممن صرح بأنه حديث: العارف سيدي محيي الدين بن عربي، فإنه صرح في "المسامرات"⁶ في غير ما موضع⁷ بنسبته إلى النبي ع. وأظن أنه صرح به أيضاً في "وصايا الفتوحات"، والله أعلم. كتبه أحمد المقرئ، انتهى.

1- لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد المغربي المقرئ المالكي (ت 1041هـ). كشف الظنون (ج 1 ص 94).

2- هي "العقيدة الصغرى": أو عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد) لمحمد بن يوسف السنوسي الحسني (ت 895هـ). وضع عليها صاحبها شرحاً سماه: (عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد). ثم اختصر هذا الشرح. كشف الظنون (ج 2 ص 1157). ولعل هذا المختصر هو الصغرى المقصودة.

3- جاء في الأحاديث الضعيفة للألباني (ج 1 ص 96). (لا أصل له كما قال في المقاصد الحافظ السخاوي).

4- لعله منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني التميمي، من علماء الحديث (ت 489هـ). الأعلام (ج 7 ص 303).

5- يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكرياء، الواعظ الزاهد (ت 258هـ). طبقات الصوفية للسلمي (ص 107).

6- "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات وال نوادر والأخبار" لمحيي الدين بن عربي (ت 628هـ).

7- جاء في "محاضرة الأبرار" (ج 1 ص 394) (... ثم قال: اسمع، ليس الإنسان إلا أن يصفي قلبه، ويعلق خاطره، ويحضر لبه، فيعثر على قول سيد البشر ع: من عرف نفسه فقد عرف ربه، فهذا أقصى درجات السير والعلن، وإليه الإشارات من جانب الطور الأيمن، فإذا

وكتب أيضا على قوله (آخرها وفاء عده بنصف الألف) البيتين، ما نصه: قولي (وفاء عده بنصف الألف) معناه الثاني المرموز إليه أنك إن حسبت أحرف هذا الشطر أعني قولي: وفاء عده بنصف الألف، ألفيتها خمسمائة. وهذا لم أسبق إليه فيما علمت، والله أعلم. وقولي: (وكان إتمامي له في القاهرة) هو جملة التاريخ، لأن عدة حروفه بالجمال 1036. قاله وكتبه مؤلفه أحمد المقرئ.

وكتب أيضا في آخرها ما نصه: يقول مؤلف هذه العقيدة العبد الفقير أحمد المقرئ المالكي جبره الله، إني صحت هذه النسخة جهد استطاعتي، وأصلحت فيها ما عثرت عليه. وقد كُتِبَ من هذه العقيدة فيما علمت بمصر المحروسة والشام والحجاز والمغرب نيف على ألف نسخة، والله الحمد. وكتبت خطي على نحو المائتين منها. وقد كتبها غالب طلبة مكة لما قرأتها هناك، وأهل بيت المقدس لما قرأتها به أيضا، وأهل دمشق حين درّسْتُها بها. وأخذ منها أصحابنا إلى المغرب والصعيد نسخا. وكتب لي بعض أصحابنا بالصعيد أنه كُتِبَ منه هناك نيف على مائة نسخة، وكذلك برشيد والإسكندرية. جعلها الله خالصة لوجهه الكريم. وكتب لشوال سنة 1037هـ.

وعرض علي شيئا من منظومة أبي الحجاج الضرير في العقائد، وسألني عن تفسير أبيات منها.

وكان فيه قوة انصاف وزيادة تواضع رضي الله عنه. وله ولد نجيب مشارك في العلوم، حافظ للقرآن، نهج نهج أبيه في اكتساب الأخلاق الحميدة. وغالب من له مشاركة في علم من العلوم، يحضر عند الشيخ عبد القادر في هذه المدرسة أحيانا كثيرة. وبالجملة، فهو الملحوظ والمنظور إليه في البلد علما وصلاحا وحسن سمت وهدى. وهو ملجأ الواردين من العلماء والفقهاء، وإليه يأوون، فهو محط رحالهم، ومنتهى آمالهم، (إذا أحب الله عبدا أحببه إلى خلقه)¹.

/لو556/ وقد كتبت له أبياتا بعدما أنست به وأنس بي، وعمني بره. وهي هذه: (الكامل)

صحت هذه المعرفة، وصلت إلى المعروف، وإذا نظرت إلى غير هذا كنت المحير المتلوى).

¹ - صحيح البخاري - كتاب الأدب، حديث 5580. مسلم - كتاب البر والصلة والآداب. الأحاديث القدسية (ج 1 ص 79).

لدى الشيخ الغصين أنخت رحلي	بغزة ما أعز بها مكاني
فأكرمني وأتحفني بنزل	ونلت بقربه كل الأمان
ولم لا وهو شيخ العصر علما	وجودا وهو نادرة الزمان
فمن خاف الردى وأتاه جارا	أجير وبات في ظل الأمان
إمام عارف بالله حقا	سخي قلبه بسط البنان
له الحسب الصميم وحسن خلق	إذا تلقاه يظهر للعيان
فمن خلق الكرام له صفات	حسان ليس تحصر باللسان
جزاه الله عني كل خير	يكون ختامه سكاني الجنان

وهذه الأبيات وإن كانت في الرتبة الوسطى من البلاغة فقد ابتهج بها سرورا وبالعجس جلساؤه في إطرائها وتناقلوها. وذلك لشغور البلد من أهل الصناعة، بل وممن يحقق غيرها من العلوم؛ فإن أمثل ما فيها شيخنا هذا، إنما له مشاركة حسنة وديانة ظاهرة، أكسبته وقارا وهيبة ووجاهة عفت ما عسى أن يظهر أثره من قصور أو تقصير.

وقد رأيت قريبا من مقابلة المكان الذي يجلس فيه في المدرسة بيتين في رق ملصق في حائط ذكر لي أنهما لبعض الواردين هناك، وهما: (مجزوء الرجز)

ياسائلي عن غزة	ومن بأرضها مقيم
فابن الغصين إنه	على صراط مستقيم
وسائل عن غزة	ومن بها من الكرام
أجبتته مختصرا	نجل الغصين والسلام

[وكتبت¹] بإزائهما ما هذا قريب منه إن لم يَكُنْه: (مجزوء الرجز)
مدرسة ذات جمـــــ ال وبهاء باهـــــ
لكن كمال حسنـــــها بالشـيخ عبد القادر

وممن لقينته بغرة أيضا قاضي الحنفية بها الشيخ عمر المشرقي، وهو صهر الشيخ عبد القادر، وله مشاركة أيضا، ويشار إليه في المعقولات على حسب مقتضى الحال. وبيتهم بيت علم، وأسلافه بغزة كانت لهم رئاسة علمية. فانضاف إليها موالاته في الوقت لآل الغصين. فاكسب رئاسة تولى بها خطة القضاء؛ فعظمت بها منزلته. وكان أولا على مذهب الإمام الشافعي كأسلافه، ثم اتفق موت قاضي الحنفية في البلد، ولم يكن معه في البلد من يقوم بوظيفة القضاء، فرُشِّح لذلك. فانتقل لمذهب أبي حنيفة بسبب ذلك على ما أخبرني به بعض أهل البلد. وغالب من يتمذهب بمذهب أبي حنيفة في هذه الأعصار وما قبلها بأزمان إنما ينتقلون لمثل هذه الأغراض. بل هذا من أحسنهم عذرا، لأنه ما انتقل إلا بعد أن احتيج إليه في ذلك المذهب، وغيره ينتقل رجاء في التقرب إلى أرباب دولة ولينال خطة يوما ما من الدهر. وقد حذر العلماء حتى الحنفية بأنفسهم من الانتقال في المذاهب لأغراض سوى ظهور ترجيح المنتقل إليه، سيما إن كانت الأغراض دنيوية. وسيأتي بقية الكلام على ترجمة هذا الشيخ عند ذكر لقائي له عند الرجوع من القدس.

وفي غزة مزارات كثيرة، ومساجد فاضلة في أطراف البلد، قد استولى الخراب على أكثرها. فإن هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والإسلام، وقد أثر الهرم فيها لوقتنا غاية، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية. ولم يبق بها إلا رسوم ماثلة تدل على أبهة كاملة في قصور الأمراء والمساجد والرباطات والمشاهد. ومعظم عمارتها اليوم إنما هو في قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة وما يقرب من ذلك، مما هو في أعلى الربوة² التي هي فيها، لأنها في رابية³

1- غير موجودة في (ح م).

2- الربوة والربوة كل ما ارتفع من الأرض وبا.

3- الرابية هي الرابية، وهي التي لا يعلوها الماء، وفي المثل: قد بلغ السيل الزبي. لسان العرب - مادة زبي.

مشرفة على بساتين وجنات من نخيل وأعناب وفواكه كثيرة مما يشتهون. ومعظم أجنحتها في زماننا هذا/لـ557/ من جهتها البحرية متصلة إلى قريب من عسقلان¹. وهي على ساحل البحر بينها وبين غزة نحو من ثلاثة فراسخ، وبين غزة والبحر نحو من فرسخ.

فمن المزارات التي زرناها مولد الإمام الشافعي² رضي الله عنه، وهو في مغارة تحت الأرض قرب الجامع الكبير. وقد ذكر المؤرخون أنه ولد بغزة.

فمنها قبر هاشم بن عبد المطلب³ جد رسول الله ﷺ وإليه تنسب غزة إلى الآن، فيقال غزة هاشم، وهو في طرف المدينة من الناحية البحرية. وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة. إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زماننا هذا! ولا شك أن هامشا رئيسا في قومه جوادا سخيا، ممدحا عظيما في قريش لا تجهل مكانته، والعرب كانت تعتني بتعظيم مقابر عظمائها، فلو كان في بلاد العرب ما بعد كل البعد أن يتعين في الجاهلية، ثم يبقى كذلك في الإسلام، لمكانته من رسول الله ﷺ. وإلا فكيف من قبر لعظيم من عظماء العرب كان مشهورا في الجاهلية يُنحر عنده ويُستجار به كما هو مذكور في مآثرهم قد محا الإسلام بنوره آثار ذلك كله، وجرت عليه الرامسات ذيولها. (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا)⁴. وزرنا هذا المكان بحسن النية لقرابته من رسول الله ﷺ. وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

¹ - مدينة بالشام بينها وبين فلسطين مرحلة وهي على ساحل البحر.

² - أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ).

³ - هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، أحد من انتهت إليه الرسالة الجاهلية، وهو جد النبي ﷺ، وهو أول من سن الرحلتين لقريش للتجارة رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى غزة وبلاد الشام، تولى سقاية الحجاج ووفادتهم، مرض في طريق الشام، فتحول إلى غزة ومات بها، فسميت غزة هاشم. (ت 102ق.م). طبقات ابن سعد (ج 1 ص 75). سيرة ابن هشام (ج 1 ص 9).

⁴ - سورة مريم - الآية 98. والركز: الصوت الخفي.

ومن المزارات أيضا بغزة قبر الإمام الأوزاعي¹ رضي الله عنه، ومكانته في العلم والصلاح مشهورة. وهو إمام أهل الشام في زمانه. وله مذهب مُتبع. وزرنا أماكن كثيرة سوى هذه نسأل الله أن ينفعنا بذلك، آمين.

واكثرينا حمارين لركوبنا إلى الرملة². وخلفنا بعض ما يثقل من حوائجنا. وكتب لنا شيخنا الشيخ عبد القادر كتابا إلى الرملة وآخر إلى القدس وآخر إلى الخليل يوصي بنا. فخرجنا ضحى مع قافلة، وسرنا في أجنة غزة وكرومها قريبا من فرسخ. ثم خرجنا إلى فحص واسع ذي مزارع وزيتون كثير. ومررنا بقري متعددة. وتركنا عسقلان على الشمال بيننا وبين البحر. وكنت أود زيارتها وزيارة ما فيها من المساجد فلم يقدر لي ذلك. وكانت في العصر الأول من أمهات المدن إلى أن خربها السلطان صلاح الدين بن أيوب بعد فتح القدس³ خشية استيلاء الإفرنج عليها، فيجعلونها ذريعة إلى التوصل إلى القدس. وقد عجز المسلمون عن حفظها في ذلك الوقت كما ذكر المؤرخون. ولم أر من ذكر أنها عُمِّرت بعد ذلك عمرانا معتبرا.

وسرنا ذلك اليوم إلى العصر، فوصلنا محلا يسمى خان أزدود، وهو منزل معلوم تنزله القوافل الآتية من مصر على الطريق السلطانية أو من الشام. ولهم منازل معلومة لا يتعدونها، طالت الرحلة أم قصرت من مصر إلى الشام، بل وإلى إصطنبول، على ما أخبرني من مارس تلك البلاد. وبجانب هذا الخان مسجد فيه قبر ولي الله تعالى الشيخ إبراهيم المتبولي⁴، وهو من أكابر الأولياء. وقد أطنب سيدي عبد الوهاب الشعراني في التعريف به، وذكر له كرامات. وإلى جانبه من

1- عبد الرحمان بن عمرو بن يحمى الأوزاعي، فقيه زاهد، له كتاب السنن، والمسائل، دارت عليه الفتيا بالاندلس زمنا إلى وقت الحكم بن هشام، (ت 157هـ). سبق.

2- واسطة بلاد فلسطين وهي مدينة مسورة لها اثنا عشر بابا، وبها نزل صالح عليه السلام ومن آمن معه بعد أن أهلك الله قومه حين عفروا الناقة. الروض المعطار (ص 268).

3- في سنة 583هـ، فتح بيت المقدس واستنقذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة 92 سنة، انظر أخبار ذلك وخبر وقعة حطين بالتفصيل وتخريب عسقلان في: الكامل (ج 9 ص 182-215). البداية والنهاية (ج 12 ص 323 وبعدها).

4- قال الشعراني (... وكان يعارض السلطان قايتباي في الأمور حتى قال له يوما السلطان: إما أنا في مصر أو أنت، فخرج سيدي إبراهيم متوجها نحو القدس، فقال له: إلى أين؟ فقال إلى موضع تقف فيه حمارتي فوقفت بخان أسدود تجاه قبر سيدي سليمان رضي الله عنه، فمات هناك سنة نيف وثمانين وثمانمائة، وخلق عليه سيدي سليمان الشهرة...) الطبقات الكبرى (ج 2 ص 83).

جهة القبلة مسجد صغير تحته مغارة يقال إن فيها قبر سلمان الفارسي¹. ونزلنا في ذلك المسجد، وصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقرأنا فيه من القرآن ما تيسر. وكنت جهدت أن أختم فيه

كان ابتداءؤها من مكة المشرفة، فلم يتيسر ختمها إلا بالمسجد الأقصى.

ثم ارتحلنا منه نصف الليل ونزلنا الرملة حين ارتفعت الشمس، ومررنا بقرب الرملة بقبة عتيقة يقال إن فيها كان باب المدينة في قديم العصر، وقد انهدم رأس تلك القبة. وأخبرنا من معنا من أهل الرفقة أن سبب هدمه أن كان مكتوبا فيه: العقل في الرأس. ولا يعلم أحد معنى ذلك إلى أن جاء رجل ليلا فهدم رأس القبة، ووجد فيه مالا على ما زعموا.

فلما دخلنا الرملة نزلنا عند محبنا الفقيه الصالح السيد محمد بن أبي الوفاء الأشعري الحسيني، وإليه كتب لنا الشيخ عبد القادر الغصين. فأكرمنا غاية الإكرام، وقام بالحق الواجب، فجزاه الله خيرا. /لو558/ وهذا السيد من أمثل فقهاء الشافعية في تلك البلاد، وقد تولى القضاء مرة بالقدس. ومنزله بالرملة مألّف الأفاضل، إليه يأوون، وعنده ينزلون. وهو محترم يقصده الناس للزيارة، وأسلافه كانوا أهل فضل وبركة. وهو الآن منفرد في منزله، أعد فيه مكانا للوضوء والصلوات، يقيم الصلوات الخمس بمنزله مع من حضر.

وصادفنا وقت اجتناء القطن عندهم، فكان يمتهن نفسه في ذلك مع من حضر في المنزل، ولا يأنف من ذلك. ولم يحوجنا مدة إقامتنا إلى شراء شيء من النفقة، فجزاه الله خيرا.

ولما كان الغد من يوم نزولنا بالرملة توجهت مع السيد محمد إلى لقاء الشيخ المسن العلامة المتقن المسند الراوية إمام الحنفية ومفتيهم

¹- صحابي، كان يسمى نفسه سلمان الإسلام، كان عبدا قبل إسلامه، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق. (ت36هـ). طبقات ابن سعد (ج2 ص66). الإصابة ترجمة رقم 3350. عمّر طويلا، وقال عنه الشعراحي: (عاش رضي الله عنه مائتين وخمسين سنة، وتوفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه). الطبقات الكبرى (ج1 ص23).

وإليه مرجعهم في تلك الديار الشيخ خير الدين الرملي¹. وكان لقائي له يوم الاثنين الرابع عشر من صفر بداره الجديدة التي شرع في عمارتها بمدينة الرملة. فسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية، وأوائل كل من الكتب الستة، ومسند الشافعي وأحمد وأبي حنيفة، والسنن للدارقطني. وكان يورد أبحاثاً رائعة في خلال ذلك تدل على تمهره. وأجازني عن شيخه الجنبلاطي وعن الشيخ سالم² وغيرهما ممن كان في عصرهما. وأخبرني أنه دخل الأزهر المعمور للإشتغال سنة سبع وألف، وعمره أربع عشرة سنة، وخرج منه وعاد إلى الرملة سنة سبع عشرة.

ومما أخبرني أنه غرس بيده المباركة ما يزيد عن مائة ألف شجرة، كلها أطعمت وأكل من ثمرها. وهذا أغرب ما يكون وما سمعنا بمثله. وأغرب ما ذكر البلوي في كتابه "ألف با"³ عن بعضهم أنه غرس ثلاثين ألف شجرة. قال لي: وكان ابتداءه في الغرس من سنة سبع عشرة وألف. وكان هذا الشيخ مباركا له في عمره، وجمع له فيما بين الدين والدنيا. وليس في تلك السواحل كلها أكثر منه عقارا، ومع ذلك فلم يترك ما هو فيه من الاشتغال بالعلم، تدريسا وفتوى.

أخبرني الثقة أنه بنى في الرملة ما يزيد عن ألف عتبة، وغالب خانات الرملة وكرومها له. أخبرني أنه أدرك الرملة وليس بها من الفاكهة إلا القليل، فلما اشتغل بالغرس تابعه الناس، فصارت الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة. وأخبرني أنه لا يدخر شيئا مما يدخل بيده من المستغلات، فما فضل عن حاجته أنفق. وأخبرني الثقة أن مدخوله كل يوم يزيد على مائة قرش. وما ولي قط ولاية ولا منصبا. وإليه انتهت الفتوى ببلاد الشام، فيجيب عنها بلا أجر. وله ملكة وقوة عارضة في مذهب أبي حنيفة. وكان بين يديه صهره الشيخ محمد بن تاج الدين الرملي، شاب صالح له مشاركة، يكتب الأسئلة ويجيب عنها الشيخ. ولما

1- نشر المثاني (ج 2 ص 368). نقل بعض ما قاله أبو سالم عنه. وفي الهامش من قول المحقق: أنه وجد في نسخة مخطوطة: (مولد الرملي في أوائل رمضان سنة 933هـ، وتوفي في آخر رمضان سنة 1081هـ).

2- سالم بن محمد عز الدين بن ناصر الدين السنهوري المصري، مفتي المالكية، له اختصار على مختصر خليل (ت 1015هـ). سبق

3- "ألف با" في المحاضرات وفي الألغاز، لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي المعروف بابن الشيخ المالقي الأندلسي المالكي صاحب رحلة "تاج المفرق في تحلية عاماء المشرق" (ت 604هـ). كشف الظنون (ج 1 ص 150).

اكثريت إلى القدس نادى المكارى وقال له: لا تأخذ منه كراءً، ودفعه من عنده واعتذر إلي.

ومما أخبرني به أن عند علماء الحنفية إذا لم يوجد حكم الفرع منصوصا عليه عندهم ووجد حكم ذلك الفرع في مذهب مالك فإنه يجب العمل به عندهم، لأن أصول الإمامين متقاربة.

أخبرني أيضا أن مما جرى به العمل في مملكة بني عثمان كلها ويكتب في عهد العمال أنه لا تسمع دعوى بعد خمسة عشر سنة إلا في وُقْفٍ أو حق يتيم أو غائب. وقال لي: إن الحاكم إذا حكم بغير ذلك فُسَخ حكمه لأنه معزول في غير ما عهد به إليه، فلا ولاية له.

ونص ما كتبت من خطه في هذه المسألة: سُئِلْتُ عن مسألة كثر وقوعها والسؤال عنها. وهي: إذا منع السلطان نصره الله عن سماع كل دعوى مضى عليها خمسة عشر سنة إلا مال اليتيم والغائب والوقف، هل يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة أم لا؟ فأجبت: يمتنع على القاضي سماعها في غير هذه الثلاثة، والقاضي فيها كالرعية، ولو سمعها لا ينفذ قضاؤه، لأن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحوادث والأشخاص، صرح به كثير من علمائنا، وهو مما أجمع عليه فقهاؤنا؛ فكان القاضي فيه كواحد من الرعية، والله أعلم. وكتبه الفقير خير الدين أحمد الحنفي الأزهرى، حامدا مصليا مسلما.

وأنشدته في المذاكرة لبعض الأقدمين: (البسيط)

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم الله يعلم أني لم أقل فندا
إنني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

فأنشدني في معناه لبعضهم: (الرجز)

ما أكثر الناس وما أقلهم وما أقل في القليل النجبا
يا ليتهم إذ لم يكونوا خلقوا مهذبين صحبوا المهذبا

وهما أخصر من الأولين وأتم فائدة.

وكتبت له يوم لقائي أبياتا، وهي هذه: (الطويل)

إلى الشيخ خير الدين أمت ركائبي	فَأَبْنُ وَمَنْ يَحْمَلُهُ خَيْرَ أَئْب
وَرَدْنٌ خَفَافًا ثُمَّ عُدْنٌ كَمَا تَرَى	ثَقَالُ الْمَتُونِ مِنْ سَنَى الرِّغَائِبِ
وحاشا لمن قد مد كفا إليكم	تَرْدُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ كَفُ خَائِبِ
هو البحر في أي العلوم اختبرته	تَجْدُهُ عَابَا زَاخِرًا بِالْغَرَائِبِ
على أنه عذب زلال لوارد	فَلَمْ يَخْشَ مِنْهُ غَصَّةَ كُلِّ شَارِبِ
يفيدك في أي العلوم استفدته	بَذْهَنَ ذَكِي حَاضِرٍ غَيْرِ غَائِبِ
ولا سيما علم الحديث فإنه	إِمَامٌ هَدَى فِيهِ عَظِيمُ الْمَنَاقِبِ
وقد رام هذا العبد منه إجازة	وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِتِلْكَ الْمَرَاتِبِ
بكل الذي يرويه عن فئة مضوا	وَنَالُوا مِنَ التَّحْقِيقِ أَعْلَى
وإن كان من بعد السماع لبعض	الْإِذَا خَفَّ عَلَيْكُمْ كَانَ أَسْنَى مَطَالِبِ
جَزاكم إله العرش عن نشر دينه ¹	بِأَزْكَى تَحِيَّاتٍ وَأَسْنَى الْمَوَاهِبِ
وأزكى صلاة الله ثم سلامه	عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُبْعُوْثِ مِنْ آلِ
يدومان ما دامت نجوم علومه	وَأَقْمَارُهُ تَجْلُو ظِلَامَ الْغِيَاهِبِ

انتهى. وسيأتي نص إجازته لي وكتبها نظاما.

/لو559/ ومن المزارات المشهورة بالرملة قبر الصحابي المشهور
الفضل سيدنا الفضل بن عباس¹ ابن عم النبي ع. وقد ذكر المؤرخون أنه

1- الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، من شجعان الصحابة، لقب (ردف رسول الله ع) لأنه أردفه وراءه في حجة الوداع، اختلف في مكان وفاته، ف قيل بناحية

مدفون بفلسطين؛ وكانت الرملة قاعدة فلسطين في العهد القديم. وقد من الله علي بزيارته، وحصل لي من السكينة والوقار والتعظيم له عند زيارته، ما لا أشك إذ ذاك معه أن ذلك قبره. وقد ذهب معي لزيارته صاحبنا الذي نزلت عنده السيد محمد الأشعري، وكان من أهل الخير ومن أفاضل أهل النسبة إلى الله. أقمنا عنده في منزله ثلاثاً، فرأينا منه خلقاً باهراً وفضلاً ظاهراً وديناً متيناً. وقد من الله علي بعقد أخوة معه عند قبر سيدنا الفضل بن العباس. وكتبت خطي بذلك وكتب لي أيضاً هو بخطه، ونص ما كتبه لي:

الحمد لله واصل المنقطعين، والصلاة والسلام على من بشر المتحابين في الله بأسنى مراتب المقربين. وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائماً متلازمين، ما حن غريب إلى أوطانه واشتاق للمحبين.

وبعد، فمما من الله به علي من النعم أن قدر لي الاجتماع بحضرة مولانا العالم النحرير المفخم، من جمع شتات الفضائل، وأبرز من يَمِّ، بنات أفكاره فوائد، هي نظم ونثر ورسائل، حضرة الأخ في الله، والمحب لوجه الله، أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي المغربي، كان الله له حيث يكون، ودبرني وإياه في الحركة والسكون، ونفعني بأخوته (يوم لا ينفع مال ولا بنون)¹، آمين، آمين، آمين. الحمد لله رب العالمين. قاله بلسانه وكتبه ببنانه أضعف العباد وأوجههم إلى عفو ربه يوم التتاد، محمد الأشعري الحسيني الشافعي حامداً مصلياً مسلماً.

ومن المزارات العظيمة بالرملة الجامع الأبيض، وهو مشهور الذكر عند الصوفية. وقد ذكر الشعرا² في كثير من كتبه أن جماعة من الأولياء كانوا يأتونه من الأقطار البعيدة للصلاة فيه. وقد زرناه والله الحمد وصلينا فيه. وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة، قد زعموا أن بابها مسدود برصاص، وأن فيها جماعة من الأنبياء. وفي

الأردن في طاعون سنة 13هـ، وقيل في وقعة أجنادين بفلسطين. الإصابة (ج5 ص212).

تاريخ الخميس (ج1 ص116). ذكر الخلاف في مكان وفاته.

¹ - سورة الشعراء - الآية 88.

² - صاحب "الطبقات الكبرى" المسماة بمواقع الأنوار في طبقات الأخيار" و"إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين" و"البحر المورود في المواقيت والعهود" و"مدارك السالكين" وعدة آخر في كرامات الأولياء.

جانبه الغربي مسجد يقال إنه متعبد صالح عليه السلام. وفي شرقيه قبر الحافظ أبي عبد الرحمان النسائي¹ صاحب السنن. وهذا المسجد خارج البلد على حد العمران، وهو خال في أكثر الأوقات مع سعته وبهائه وانشراحه، لا يشك ذو ذوق أنه مأوى الصالحين.

وفي اليوم الثالث من إقامتنا بالرملة ذهبنا إلى مدينة اللد² لزيارة بعض الإخوان هناك. وهي مدينة مليحة فسيحة مجاورة لمدينة الرملة، بينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر، وفيها أسواق ومساجد ومزارات. ومن مزاراتها قبر يقال إنه للمقدام بن أسود³ الصحابي المشهور. ومشهد يقال إنه لعبد الرحمان بن عوف⁴، إلا أن الصحيح أنه مات بالمدينة المشرفة.

ومن الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة أن مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة، وصار اليوم نصفه مسجدا ونصفه كنيسة؛ تسمع أصوات كل من المحليين في الآخر. وزعموا أن سبب ذلك أن المسلمين في وقت فتح البلد دخل بعضهم من ناحية صلحا، وبعض من الناحية الأخرى عنوة. فاجتمعوا في وسط الكنيسة، فصار نصفها مسجدا والنصف الآخر كنيسة. والله أعلم. وأظن أن في "فتوح الشام"⁵ للواقدي أن ذلك وقع في فتح دمشق¹.

1- أحمد بن علي النسائي (ت 303هـ). سبق.

2- بالضم والتشديد، قرية قرب بيت المقدس. معجم البلدان (ج 5 ص 17). وقد ورد ذكرها في حديث رواه الترمذي في كتاب الفتن، حديث 2166-2170. أبو داود - كتاب الملاحم، حديث 3764. وابن ماجه - كتاب الفتن، حديث 4065. كان اسم المدينة القديم "رتن" أيام فرعون مصر تعتمس الثالث الذي احتل البلاد في ق 15م بل الميلاد، وكانت هي العاصمة، حتى أن الفراعنة سموها هذه البلاد رتن، على اسم المدينة حينذاك، وبباب هذه المدينة يدرك عيسى ابن مريم الدجال ويقتله. معجم البلدان (ج 5 ص 15). مجلة عالم الكتب (ع 4 / يونيو 1998).
3- المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، صحابي، أحد السبعة الأوائل في الإسلام، شهدا بدرًا، روى 48 حديثًا (ت 33هـ).

4- أبو محمد الأزهرى القرشي، صحابي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، (ت 32هـ) سبق.
5- فتوح الشام لأبي عبد الله بن عمر الواقدي، وفيه الإشارة إلى فتح دمشق زمن عمر ابن الخطاب صلحا وعنوة زمن خالد ابن الوليد (ص 40 وبعدها).

وعن مسألة الكنيسة، فقد ذكر ابن جبير عند حديثه عن جامعها الأكبر الذي بناه الوليد بن عبد الملك سنة 88هـ، وأنه هو الذي أخذ نصف الكنيسة التي كانت بأيدي النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقي وقسما للنصارى وهو الغربي، لأن أبا عبيدة بن الجراح دخل البلد من الجهة الغربية، فأنتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد عنوة من الجانب الشرقي، وانتهى إلى النصف الثاني وهو الشرقي، فاحتازه المسلمون وصبروه مسجدا، وبني النصف المصالح عليه وهو

وقد صادف دخولنا الرملة نزول بعض أكابر أغواث السلطان بها،
وقدم من إصطنبول في أبهة عظيمة على ما يحكى، وزعموا أنه هو
الذي ربي السلطان في حجره، وهو المتولي الدار التي فيها حرم
السلطان وجواريه. ثم حصل بينه وبين السلطان جفوة، واستحى
السلطان أن يواجهه بمكرهه، فبعثه إلى مصر مصحوبا بجميع ماله، ولم
يرزاه² شيئا. ثم أتبعه رسولا إلى مصر يأمرهم بقتله خفية. فأخذوا جميع
ماله وبعثوه إلى الصعيد، فلم يظهر له أثر بعد ذلك. وقد حكى لنا من
أبهرته أمور مستغربة؛ من ذلك أن له خمسا وثلاثين محفة، في كل محفة
جارية من حضايه، وأزيد من مائة فرس من عتاق الخيل بجميع ما
تحتاج إليه من الآلة، كلها مجللة. وزعموا أنه اكترى من إصطنبول
نحو من خمسين سائسا لخيله بأزيد من أربعين قرشا لكل واحد، سوى
ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال ودخائر وإبل وعبيد وإماء للخدمة.
بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض. وقد سمعت
ونحن بالرملة من يقول إن أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه
الأيام؛ فإن أمير البلد قد أمر بجمع كل سقاء في البلد يستقون للأغا. وقد
أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي
جرعة ماء من جميع السواني التي في البلد، وقد أشغلها كلها بسقي خيله
وإبله وملئ قربه ورواياه.

لـ560/ ولما كان اليوم الرابع ارتحلنا من الرملة صبيحة الأربعاء
عند طلوع الفجر قاصدين إلى القدس الشريف، وطلعنا شعابا وعرة،
فوجدنا بها قوما من أهل تلك الجبال يأخذون الغفر من كل من مر من
تلك الطريق. وكانت على رؤوس أصحابنا مظلات من الدوم أو من
جريد النخل كنا نتقي بها من حر الشمس، فلما رأنا قوم من أهل تلك
الجبال صاحوا بنا من أعلى الجبل باللعن والشتم. فقلنا للمكاري الذي
كان معنا: ماذا يقولون؟ فوجم أن يخبرنا. فلما ألحنا عليه قال لنا: إنهم
لما رأوا ما ظلتم به رؤوسكم ظنوا أنكم نصارى فجعلوا يسبونكم، فإن

الغربي كنيسة بأيدي النصارى إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبوا ذلك فانتزعه منهم
قهرا.... رحلة ابن جببر (ص184). الروض المعطار (ص238).

1- فتحت دمشق زمن عمر بن الخطاب على يد أبي عبيدة صلحا، وعلى يد خالد عنوة في
السنة الثالثة عشرة للهجرة، انظر خبر ذلك مفصلا في: الكامل في التاريخ (ج2 ص293).

2- رزأ فلان فلانا إذا برّه ورزاه ماله أصاب وأخذ منه شيئا، وارتزأ الشيء انتقص. لسان
العرب - مادة رزأ.

هذا إنما يفعله النصارى في هذه البلاد. فأنزلناها عن رؤوسنا ولم نعد إليها من ذلك اليوم. والإنسان يحمي عرضه ودينه.

ولم نزل يومنا سائرين في صعود وهبوط في أرض وعرة، وعلى يميننا ويسارنا قرى ذات كروم، إلى أن وصلنا إلى قرية هي أدنى القرى إلى المدينة، بها عين ماء يجري. فنزلنا بها وتوضأنا وصلينا الظهر وسرنا. ودخلنا مدينة القدس وقت العصر، وصلينا العصر بقبة الصخرة. وأنزلنا حوائجنا أولاً بزاوية المغاربة¹ حتى لقيت الشيخ محمد الصيداوي، نقيب رواق الشيخ منصور الكائن تحت صحن الصخرة المقدسة، وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر كتاباً يوصيه بناء، فأعطانا بيتاً بإزاء الرواق نقلنا إليه حوائجنا، وكان داخل المسجد، فاغتبطنا به لتمكننا من الجلوس في المسجد والصلاة فيه في أي وقت أردنا.

وهذا المسجد المقدس² آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار³. فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة. تحت كل شجرة مصطبة مبنية بالحجر المنحوت على قدر ما تظله أغصان الشجرة. فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة وللقراءة. ويأوي إليها الفقراء المتجردون. [وطوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع وخمسة وستون ذراعاً بالذراع المالكي، وعرضه أربعمائة ذراع بذراع المالكي، وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه فشيء كثير]⁴.

وفي وسط المسجد **قبة الصخرة** ماثلة في الهواء مثمثة الشكل، لها أربعة أبواب. دور القبة كلها نحو من خمسمائة قدم، وحيطان القبة وأرضها كلها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة ونقوش عجيبة. وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء. وأبوابها في غاية العظمة والإتقان. وداخل الأبواب درابيز فيما بين الأساطين على دور

¹- لعل المقصود بهذه الزاوية بعض أوقاف المغاربة التي كانت في البداية داخل المسجد وبعد ذلك انتقلت إلى عقار وديار. انظر نماذج مفصلة لبعض أوقاف المغاربة في كتاب "أوقاف المغاربة بالقدس". د. عبد الهادي التازي.

²- يقول ابن عثمان: أما المسجد الأقصى الذي يصلي فيه إمام الشافعية وهو المسقف الأقصى، وصار اليوم اسم الأقصى علماً عليه بالغلبة.... القدس الخليل في الرحلات المغربية لعبد الهادي التازي (ص 60).

³- سيقدم أبو سالم كعادة وصفا مدققاً لما ستقع عليه عينه (وعلى ما جرت به عادة الحجاج المغاربة فإنهم لا يملون من أداء وصف مدقق لما يشاهدونه في القدس والخليل). المرجع السابق (ص 22).

⁴- ما بين [] في طرة (ح م).

الصخرة. وفي داخل الأساطين الصخرة المقدسة، يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوة. والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة. وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول، وغلظها نحو من ذراعين. وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة، كأنها أماكن أحجار قطعت منها. وقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن بني إسرائيل طويلة جدا وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة، وعجائب هذه الصخرة، والسلسلة¹ التي كانت عندها في عهد بني إسرائيل مرتفعة، وهي واقعة في الهواء² على ما ذكروا، لا يمسكها إلا الله. وأما في عصرنا هذا فقد بني بإزائها ومن تحتها إلى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يصلي فيه الناس. ويدخل الناس إليه من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة، وهو من ناحية القبلة. وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات، وأصلي تحتها ما تيسر.

وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجرٌ يقال إن فيه بعض أثر أعضائه، والناس يتبركون به. ومن وراء القبة قبة لطيفة يصلي فيها الناس. يقال إن منها عُرِّج برسول الله ليلة المعراج. ويحيط بمسجد الصخرة³ صحن كبير مفروش بالحجر المنحوت. وعلى أطراف الصحن بيوت ينزلها المتعبدون، وكذلك تحته، وهي متعددة، وفي قبلة الصخرة من تحت الصحن بغلوة المسجد الأقصى. وهو كله مسقف، وفيه تُصلى الجمعة. وبنائوه من أرفع الأبنية. وفيه موضع زعموا أن فيه

1- أورد محبي الدين ابن عربي خبر السلسلة قال: (...) وجعل سليمان بن داود عليهما السلام سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض يقضي بها بين المخصمين، فالصادق تتدلى إليه حتى يمسكها، والكاذب لا ينالها، حتى وقع المكر بين الناس، فكان سبب رفعها... وكان موضعها القبة التي على يسار الصخرة، بناها عبد الملك ابن مروان، وفي ذلك الموضع لقى النبي ع الحور العين ليلة الإسراء... محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (ج2 ص356). ويقول ابن عثمان المكناسي: وزرنا المكان الذي كان يحكم فيه نبي الله داود عليه السلام وهو أمام قبة الصخرة تحت قبة السلسلة، مكتوب فوق محراب هذه القبة: (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق). القدس والخليل (ص63).

2- يقول ابن عثمان المكناسي: وهل هذه الصخرة معلقة في الهواء أم لا؟ فلم يثبت فيها حديث يرجع إليه في شأنها ولا نقل عن السلف شيء بتعليق أو عدمه، لكن نقل بعض المحدثين أنها معلقة، ونقله أرباب السير وكثير من المؤرخين من غير تكبر، ويكفي هذا في الجزم بالتعليق وهو شيء جازز في العقول. القدس والخليل (ص73).

3- انظر خبر بناء عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة عند ابن عربي. محاضرة الأبرار (ج2 ص366 وبعدها).

صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس¹. وفي ركنه الشرقي في موضع يزار فيه حجر منحوت يقال له **مهد عيسى**. وهناك طاقات وأسعة في جدار المسجد يشرف منها إلى الوادي الذي يقال له وادي جهنم²، وورد في بعض الآثار تسميته بذلك.

وهناك رأس عمود من رخام خارج من جدار المسجد، يقولون إنه رأس الصراط المنصوب على جهنم، وهو لا أصل له. وينزل من ذلك الركن في درج إلى مسجد آخر تحت المسجد الأقصى واسع جداً، مرفوع على أساطين من حجارة منحوتة هي من البناء السلیماني. وزعموا أن ذلك هو المسجد في عهد سليمان، وأن الذي فوقه إنما بني بعد ذلك. وما ذكروه هو الأقرب. وذكروا أنه ممتد كذلك إلى الصخرة، وأن أرض المسجد الآن كلها سطح ذلك المسجد، ولا يبعد ذلك.

وبالجملة، فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولهما من المزارات شيء كثير، وقد ألفت فيه التأليف. /لوا561/ وإنما نذكر من ذلك بعض ما رأيناه وزرناه. فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب، هو في أصل حائط يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به، يقولون إنه الذي ربط به النبي ﷺ دابة البراق ليلة المعراج³، وخبره مذكور في الصحيح.

ومن عجائب صفة هذا المسجد أن ناحية منه شرقيه قد غلب عليها العشب والكأ الیابس؛ فلا يقدر أحد أن يمشي فيها بلا نعل لكثرة شوكة المنكسر بعضه على بعض، وإنما يمر الناس في خط رقيق بين ذلك

¹ - يقول ابن عثمان المكناسي: لما فتح بيت المقدس صلحا على يد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كنس عنه جميع المزابل وغسل الصخرة المشرفة وبنى قطعة من المسجد للصلاة في صدر المسجد، وما زال إلى الآن يدعى بمسجد عمر، وهو يمين المستقبل في المسجد الأقصى.... القدس والخليل (ص72).

² - جاء في الروض المعطار (ص355). (... وجاء عمرو رضي الله عنه، ومعه كعب الأخبار، فقال: يا أبا إسحاق، أتعرف موضع الصخرة التي ببيت المقدس، فقال: أزرع من الحائط الذي يلي واد جهنم، كذا وكذا ذراعاً ثم احفر فإنك تجدها). وهو وادي وراء السور الشرقي الذي به باب الرحمة وباب التوبة، ذكر بعض المفسرين أنه هو المقصود في قوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب). القدس والخليل (ص62).

³ - ورد في حديث الإسراء والمعراج في الصحاح باب فرض الصلوات قوله: (أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء).

الهشيم. وذكروا أن ذلك المحل ربما زرعوا فيه بعض الحبوب في بعض الأحيان، ويستغلونها بالبعل لأن البلد كثيرة الأمطار. وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما ريئت السماء صاحية فيه يوما كاملا صيفا ولا شتاء، ولا بد أن يُرى في السماء غيم. ولا يبعد ذلك، فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في الأرض وأقربه إلى السماء، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بثمانية عشر ميلا¹، وبقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها.

ومن المزارات خارجها جبل طور زيتا² من شرقي المسجد، بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم. وطور زيتا مشرف على القدس كله وعلى غالب تلك البلاد التي حوله. وفي أعلاه مزاراة فيها مكان يقال إن منها رفع المسيح عليه السلام من فوق حجرة هناك. وكان هذا المحل في أيدي النصارى، وسعى شيخ مشايخنا قطب زمانه الشيخ محمد العلمي³ جد شيخنا الشيخ عمر الآتي ذكره في استخلاصه من أيدي النصارى، ونصح لله في ذلك، وتعصب عليه النصارى بأهل الدنيا، وبذلوا في ذلك الأموال، فأعانه الله عليهم حتى أخرجهم من أيديهم. وهو الآن في يد أولاده. وعُمر تحتها مشهدا ورباطا فيه قبره رضي الله عنه.

ومن المزارات التي على جبل الطور قبر العابدة رابعة العدوية⁴ في مغارة تحت الأرض.

1- وقع اختلاف بين المحدثين حول الأقرب إلى السماء هل البيت الحرام أم صخرة بيت المقدس، وفي المسألة يقول ابن عثمان المكناسي: ... نعم صرح بعض المحدثين أن بيت المقدس أقرب أماكن الأرض إلى السماء بثمانية عشرة ميلا. القدس والخليل (ص 75).

2- الطور في اللغة كل جبل أجرد لا ينبت شجرا، وطور زيتا قيل سمي كذلك لأن رأسه شجر زيتون عدي يسقى المطر، وقيل مات به سبعون ألف نبي، وهو مشرف على المسجد، وفيما بينهما وادي جهنم أو وادي سلوان، وفيه صلى عمر بن الخطاب، وفيه ينصب الصراط. معجم البلدان (ج 4 ص 54).

3- محمد بن عمر بن محمد سعد الدين بن تقي الدين، حفيد الأمير موسى العلمي، متصوف من أهل القدس، له ديوان شعر، وكتاب معالم التصديق في معرفة دخول الطريق. (ت 1038هـ). خلاصة الثر (ج 4 ص 78). الأعلام (ج 6 ص 317). ويقول ابن عثمان المكناسي: ... من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش.... القدس والخليل (ص 64).

4- رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل عتيك، البصرية الصالحة المشهورة، تروى عنها أخبار في النسك والعبادة، لها شعر، وقبرها على رأس جبل الطور. وفيات الأعيان (ج 2 ص 285). الطبقات الكبرى للشعراني (ج 1 ص 65). أعلام النساء (ج 1 ص 430). وينقل د. عبد الهادي التازي عن الهروي أن الصحيح أن قبرها بالبصرة، وأما

ومن المزارات **قبر مريم** عليها السلام في كنيسة في أصل الوادي، وهي بأيدي النصارى. فتخرجنا من الدخول إليه، وزرناه من خارج.

ومنها عين سلوان وهي أسفل الوادي، ولم أصل إليها إلا برأي العين، فبعثت من أتانا منها بماء، ووردت آثار في فضلها. وزعم بعض الفقهاء أنه وقعت منه آنية في بئر زمزم بمكة، فذهب إلى القدس فوجدها على باب المحل الذي فيه عين سلوان، وزعموا أنهم استخرجوها من العين؛ فيقولون إن مادتها من زمزم. ويذكرون في ذلك أثراً، وهو بعيد من حيث العادة، أقرب شيء بالنظر إلى أثر قدرة الله تعالى. وليست عينا معينا يجري ماؤها على وجه الأرض، إنما هي مثل حوض ينزل إليه بدرج على ما أخبروا. قالوا: وربما ارتفع ماؤها حتى يجري على وجه الأرض في سنين الخصب.

ومن المزارات **قبر شداد بن أوس¹ وعبادة بن الصامت²** الصحابي³ رضي الله عنهما، وهما تحت سور المسجد الشرقي، بينه وبين الوادي الذي يقال له وادي جهنم. وهناك مقبرة عظيمة⁴. وحول قبرهما في سور المسجد صخرة عظيمة منحوتة طولها نحو من أربعة عشر ذراعاً وعرضها نحو من ذراعين أو أزيد، والله أعلم كم عرضها الداخل في الجدار. وسور المسجد هذا كله من بناء نبي الله سليمان⁵ عليه السلام، بنته له الجن بتسخير الله لهم. وأثر ذلك ظاهر؛ ليس في قوة البشر تعاطي مثل ذلك. وحول باب المسجد الموالي لناحية الوادي موضع يقال إن فيه عرش سليمان، وهو من المزارات، وقد ذكر بعض العلماء أن الدعاء عنده مستجاب، وهو قريب من الباب الذي يقال له باب

التي توجد بجبل القدس فهي رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري، والذي يوجد بجبل طور هو بيتها. رحلة ابن بطوطة (ج 1 هامش 23).

1- شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى، الصحابي، كان ولاه عمر إمارة حمص، كان فصيح اللسان حليماً حكيماً، توفي بالقدس سنة 58هـ، الإصابة (ج 3 ص 195).

2- عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي الورع، أحد النقباء، شهد العقبة وبدرا، وحضر فتح مصر، (ت 34هـ). الإصابة (ج 4 ص 27).

3- في النسختين [الصحابي].

4- ذكر ابن عثمان أنها مقبرة لليهود (ص 62).

5- قال تعالى: (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأسلنا له عين القطر، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه...). سورة سبأ - الآية 12 وبعدها.

حطة¹. وفي خارج المدينة قريبا من غربيتها مزار يقال إنه فيه قبر داود عليه السلام، وكان بأيدي النصارى فاستخلصه منهم أيضا الشيخ العلمي² أو غيره من الصالحين. وغالب مزارات تلك البلاد هي بأيدي النصارى.

فمما بأيديهم بيت لحم الذي فيه مولد المسيح، وهو على نحو فرسخ من المدينة إلى ناحية القبلة، وقد مررنا قريبا منه لما ذهبنا إلى زيارة الخليل عليه السلام.

ومنها قبر يونس بن متى عليه السلام في قرية قرب مدينة الخليل، وقد مررنا قريبا منه أيضا، وزرناهما من بعيد تأثما من دخول متعبد النصارى ولضيق الوقت.

/لو562/ وأما قبر موسى³ عليه السلام فبينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أو أزيد إلى ناحية الشرق، وقد أروني ما يحاذيه من الأمكنة عندما صعدنا إلى الطور، وأخبروني أن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية، ولا يوصل إليه إلا في قوة ومنعة. وكنت كثير الاشتياق لزيارته ولمشاهدة ما يقال هناك من العجائب، وإن لم يرد أثر صحيح في أن ذلك قبره، ولم يشتهر ذلك المكان في العقد القديم ولا في صدر الإسلام، وإنما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك⁴، وأظن ذلك كان في المائة السادسة أو السابعة بإشارة أهل الكشف.

¹ - لعله المكان المشار إليه في الآية التي خاطب بها بني إسرائيل (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطاياكم). سورة البقرة - الآية 58. وحطة: أي قولوا كلمة تحط بها عندكم خطاياكم.

² - محمد بن عمر بن محمد العلمي (ت 1038هـ) سبق.
³ - عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي ربي، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: قال: فلو كنت تم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر. صحيح البخاري - كتاب الجنائز، حديث 1253.

⁴ - يقول ابن بطوطة عند حديثه عن مسجد الأقدام بدمشق (... وبمقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف أيضا بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود)، ويقول د. عبد الهادي التازي محقق الرحلة (... فإن الكثيب الأحمر القريب من بيت المقدس حدد بأنه في الجنوب الغربي من أريحا، حيث قام الملك الظاهر بيبرس ببناء مسجد عام 670هـ، لم يلبث أن أصبح مزارا على أنه قبر النبي موسى وبقي هذا التقليد حتى الآن...). رحلة ابن بطوطة (ج1 ص325 هامش 265).

ومما ذكروا من العجائب هناك أن حول القبر حجرا في حائط لا يزال ترى فيه صور منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك، يشاهده كل من كان في ذلك المكان.

وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريية، وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس فيه عمران إنما يأتيه الوفود في وقت معلوم للزيارة، وعليه بناء متقن عظيم، وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم القيم من القدس فيفتحها. ثم إن الستر الذي على قبره، وكانت له قيمة عظيمة، وجد مبيعا في بعض أسواق الشام وعرفه الناس، فسألوا عن بئعه، فإذا هو أعرابي فقير، فأخذ وأتى به إلى والي البلد، فبعث إلى المشهد، فوجد الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة، فأمر بعقوبة الأعرابي، فأقر أنه هو الذي سرقه. فسأله: كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب؟ فقال: إني أصدقكم في ذلك، فإنه قد أقبل موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال ولا مال لي، جئت إلى المشهد فناديت: يا نبي الله، يا كليم الله، إني فقير ومضطر، وقد أقبل الموسم ولا شيء عندي، فاعطني ما أنفق على بناتي. أو قريبا من هذا الكلام. قال: فمددت يدي أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت يدي على مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر، وأخذت الستر. فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت. وظهر لهم أثر صدقه في ذلك، فأطلقوه ولم يعاقبوه.

واستشرت بعض الإخوان في وجه نتوصل به إلى زيارة المحل المذكور وإلى مدينة الخليل عليه السلام؛ فإن الطريق في تلك المدة قد فسدت ولا يُوصل لزيارتهما إلا مع قوة. وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين، ونحن في غاية القلق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب بمصر. فأشار علي المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرف به؛ فإنه قد يتمكن ذلك على يده. وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد النفاتي¹ التونسي المغربي، قدم من إصطنبول متقلدا لقضاء القدس. وكانت له وجاهة عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي الحسن النفاتي رحمه الله، فترقى بجاه أخيه إلى أن استوطن

¹ - أبو الحسن النفاتي السوسي التونسي الأصل، الينبعي الوفاة، كان أمير الركب وكان قد تحدث عنه أبو سالم في موضع من الرحلة بكرامات حكاها له عنه أخوه محمد قاضي القدس. نشر المثنائي (ج 2 ص 375). شجرة النور (ص 305).

إصطنبول مدة أعوام، وقدم في هذه السنة إلى القدس. وليست له قوة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسم ووجاهة أكسبته ذلك، إلا أنه ينتمي إلى الصلاح بسبب أسلافه، فيظهر الانخراط في سلوكهم. فتوصلت إليه وسلمت عليه، وأكرمني غاية وهش وبش وأظهر المسرة بقدومي، وقال لأصحابه: هينوا له منزلاً ينزل فيه هو وأصحابه، وأجروا له من الضيافة ما يليق به مدة إقامته. فقلت له: إنا قد نزلنا ببيت في المسجد ولا يمكننا التحول منه إثارة لقرب المسجد والصلاة فيه. فأجرى لنا المحتاج له من خبز ولحم، يصلنا كل يوم إلى منزلنا، بل أجرى لنا ما يفضل عن كفايتنا، فجزاه الله خيراً. فأبنت له مقصدي من إرادة الوصول إلى المقامين. فقال لي: أما مشهد الكليم عليه السلام فلا يتيسر في هذه المدة، مع هذا القلق الذي أنتم فيه لشدة الخوف وبعد المشقة، ولا عمران هناك، ويحتاج إلى ذهاب القيم من هنا، وعليه في الذهاب كلفة، ولا أرى لك تحمل هذه المشقة كلها، مع كون المحل ليس موثقاً به أنه قبر الكليم، ولا هو قريب من الوثوق. فقبلت عذره في ذلك، ورأيت أن النية كافية. وتوجهنا إلى المحل بقلوبنا ووجوهنا عندما طلعنا إلى الطور، وزرناه من هناك. والله يتقبل.

قال لي: وأما الخليل عليه السلام فلا بد لكم من زيارته، وسأبعث معكم إن شاء الله من يوصلكم. ولم أزل أتعاهده بالسلام أيام إقامتنا إلى أن تهيأ لنا السفر للخليل على يده، حسبما أذكره إن شاء الله. وقد امتدحته بقصيدة مكافأة له على بره، وحثاً له على إنجاز الغرض المطلوب. فتقبلها بقبول حسن¹. وهي هذه: /لو563/ (الطويل)

لقاضي قضاة القدس قدس سره	علو غدا فوق السما مستقره
تبدى بأفق الغرب من خير عترة	هلالاً به قدما تشرف قطره
فصار بأفق الشرق يسري إلى	ولم ينقطع حتى علا النسر سيره
غدا قمرا فيه يضيء لقاصداً	ولكنه في القدس قد تم بدره
تولى به دون البلاد لنسبة	يرمها لبيب قد تهذب فكره

¹ - إشارة للآية 37 - سورة آل عمران (فتقبلها ربه بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً).

كما قد أتنا في الأحاديث ذكره
تفتق في ذا العصر بالجود نوره
خفي وقد يدريه من شاء غيره
بكل فنون العلم فالعدل أمره
إذا ما تولى الحكم يومن جواره
يقاس بهم زيد الزمان وعمره
أبي الحسن المشهور في الناس
تشرف لم يقبل له الدهر عذره
لأرض بها نور الهدى انشق
قديما من الحكام ينفر سره
أبوه الذي عم الأفاضل بره
فبادر إليه يستبين لك أمره
يخالف فيه سره الدهر جهده
ترى بل به يزداد لله شكره
هو البحر لكن ليس يدرك قعره
غرائز فضل والمعارف دره
ولله في در الكمالات دره
بها يغبط النظم المهذب نثره

وذلك أن القدس أرفع بلدة
وهذا الإمام البحر أرفع عالم
ولله سر في التناسب غامض
فأكرم به من عالم متبحر
فمن ذا سواه اليوم في الأرض
وماذا عجيب فهو من سادة فلا^{١٤}
وقد نال هذا الفضل إرثا أتاه من
فمن حل أرضا كان فيها وما به
لذلك هذا العبد مذ جاء زائرا
تردد في ذا الأمر إذ كان شأنه
فرام انقباضا ثم قال أليس ذا
فليس على نهج الذين ظننتهم
تجده على نهج الإمام أخيه لا
بطبع كريم لا يغيره الذي
هو البدر لكن ليس يكسف نوره
على أنه عذب زلال وموجه
قلله ما أسنى فوائده علمه
فخذها وعض العين عن بنت

فاغض بفضل منك عن عيبيها لها بقبول يشمل العيب ستره
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على مصطفى الله المعظم قدره
تبلغ عبد الله غاية سؤله ويعطى بها أجرا ويغفر وزره

وقد أطنب جلساؤه في مدح هذه القصيدة، وما ذلك منها ببعيد.

وممن لقينته بالقدس رجل يسمى شهاب الدين الحنفي المصري، قدم من مصر إلى القدس قبلنا بمدة، وأقام بالقدس نحو الشهرين. وبلغنا بالرملة وغزة أن عالما من علماء القاهرة ورد على القدس، وأخذ يُدرس الحديث. وبالغوا في الثناء عليه. وذكروا له محلا عظيما في العلوم الشرعية. فاشتقت إلى لقائه لأجل ذلك. فلما وردت القدس ونزلت برواق الشيخ منصور داخل المسجد، وكان هو نازلا بقربه، فبعث إلي بين العشاءين قبل أن أذهب إليه. فدخلت إليه في منزله، ورحب بي وسأل عن أخبار الحجاز. وكنت ألحظه بعين التوقير على قدر ما كنت أسمع، وإن تبين لي من كلامه أن ليس عنده تحصيل، فأحمل ذلك على محامل حسنة. وفي الغد رجعت إليه، ووجدت بعض الحنفية يقرؤون عليه المناسك في فقه الحنفية، فجرى ذكر يوم التروية. فقال: إنه مشتق من الرؤية. فقلت: إن هذا لا يصح، وإنما هو مصدر تَرَوَى من الماء؛ لأنهم كانوا يتروون فيه من الماء لعرفة، لأن عرفة لم يكن بها إذ ذاك ماء، على حسب ما ذكر غير واحد. وأما من الرؤية فبعيد من اصطلاح أهل التصريف. فأبى من قبول ذلك وأصر/لو/564/ على ما عنده. ثم جرى فسخ الحج إلى العمرة، فقال: الإجماع على أنه لا يصح، ولم يقل به أحد من العلماء. فقلت: كيف ينعقد الإجماع على أمر أمر به رسول الله وحض عليه في حجه قبيل موته بقليل! ومع ذلك فمشهور مذهب الحنابلة جوازُه، بل بعض محققهم يراه أولى من غيره، لأمر النبي به في تلك السنة وعدم الترخيص فيه لمن لم يسق الهدى، وتمنى أن يكون فعله. بقوله (لو استقبلت من أمري ما استنبرت ما فعلت، ولولا أني سقت الهدى لأحلت) ¹. فأنكر أن يكون ورد في الحديث أصلا. فقلت له:

¹ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أهل وأصحابه بالحج، وليس مع أحد منهم هدي غير النبي ﷺ وطلحة، وكان علي قدم من اليمن ومعه الهدى، فقال: أهلت بها أهل به رسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ أذن لأصحابه به أن يجعلوها عمرة، يطوفوا بالبيت ثم يقصروا

مثلك في جلاله قدره و غزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا، وهو في الصحيحين تكرر جدا في أبواب عديدة، خصوصا صحيح البخاري؛ فقد أورده مكررا كثيرا بأسانيد مختلفة ومتفقة مطولا ومختصرا. فلج على إنكاره وأعرضت عنه. فعلمت أنه ممن طُبع على قلبه، وتبين لي جهله وغباوته. وأن ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المحصلين بها، فضلا عن المحققين. واستعان على ذلك بما أعطي من الجرأة والتجاسر على الحديث الشريف. وهو رجل صَيِّتٌ لَسِينٌ.

فكان يدرس لهم في صحن الصخرة بين العشائين "الأربعين النووية"¹، ويُطَرِّز مجلسه بحكايات ونقول فقهية. وأعانه أيضا كون ذلك الكتاب كثرت شروحه واتسعت نقول أربابها، وغالب أحاديثه أحكام. فمن كانت له أدنى ممارسة بالفقه لا يعسر عليه تدريسه. وهو قد شد طرفا من فقه الحنفية زعم به أفقه من زفر² أو محمد بن الحسن³. ومع ما عاينت من جهله وغباوته تعاميت عنه وأعرضت، ولم أرد فضيحتة، كما هو شأني في عدم الرغبة في الفضول والدخول في مثل ذلك إلا إن أُلْجِئْتُ.

فلما كان الغد وأراد الله فضيحتة على رؤوس الأشهاد دعانا شيخنا أبو حفص عمر بن عبد الصمد⁴ ابن الشيخ القطب محمد العلمي إلى منزله، وكانت لشيخنا هذا مكانة عظيمة في قلوب الخاصة والعامة، فحضر في داره جماعة من وجوه الناس، وكان هذا المصري ممن حضر لأنه عندهم في مكانة خطيرة. فتفاوضت الكلام مع شيخنا العلمي، وكان ربما سألني عن أشياء من معاني بعض الأحاديث والآيات، وربما

ويحلوا إلا معه الهدى، فقالوا: ننطلق من منى، وذكر أحدنا يقطر، فبلغ النبي ع فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدى لأحلت). رواه البخاري - كتاب العمرة، باب عمرة التنعيم، حديث 1693.

1- نسبة إلى مؤلفها محدث الشام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي (ت 676هـ). سبق.

2- زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، من تميم أبو الهذيل، فقيه كبير من أصحاب الإمام أبي حنيفة. (ت 158هـ).

3- محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبد الله، إمام الفقه والأصول، ناشر مذهب أبي حنيفة، سمع منه وغلب عليه مذهبه، له كتاب "المبسوط" و"الجامع الكبير" و"الجامع الصغير" وعدة (ت 189هـ). لسان الميزان (ج 5 ص 121). شذرات الذهب (ج 1 ص 321).

4- شيخ صوفي (ت 1073هـ). خلاصة الأثر للمحبي (ج 3 ص 212).

تكلم المصري أيضا. ثم إنه قال لي في خلال الحديث قاصدا بذلك انتقاصي لما رأى من إقبال الشيخ عليّ: لقد راجعت صحيح البخاري فما وجدت فيه ما ذكرت بالأمس أنه فيه. فقلت: لعلك نظرت في غير محله؟ فقال: ليس ذلك فيه قطعا، وصمم، ولا ورد في شيء من الأحاديث. فقلت لشيخنا: أخرج لنا ما حضر عندكم هنا من كتب الحديث. فأخرج البخاري وكتاب "المواهب"¹. فأخذت الجزء الذي فيه الحج من كتاب البخاري، فسررت عليه حديثا في ذلك، ثم آخر ثم آخر، وأقرر له وللحاضرين دلالة الحديث على فسخ الحج إلى العمرة، وأنا أسرد عليه الأحاديث وأقول له: أكفاك أم أزيد؟ إلى أن وجم وسكت. وأخذت كتاب "المواهب" وقرأت عليه ما نقل من أقاويل العلماء في معنى الأحاديث، وأنه لم يأخذ به من أرباب المذاهب الأربعة إلا ابن حنبل، وغيره حمله على أنه خاص بتلك السنّة لبيان جواز العمرة في أشهر الحج، مستندين في الخصوصية إلى حديث رواه النسائي² في ذلك. فلم يقم من ذلك المجلس إلا مدحورا³. إلا أنه لجرائته أظهر عدم المبالاة. ولم يقيم في البلد بعد ذلك المشهد إلا يوما أو يومين، وخرج راجعا إلى مصر. ولما دخلت مدينة الخليل وجدته فيها، فخرج وأدركته بغزة. ثم اجتمعت به في خان يونس. وألجأ الأمر إلى أن كان عديلي في شقة شقذف؛ ركبت فيه أنا وهو إلى الطرينة، فحملته على خلقه وعاملته معاملة أنه فقيه إمام، إلى أن افترقنا بدمياط على خير.

ولما كان صبيحة يوم الخميس ثاني يوم دخولنا دخلنا إلى الشيخ إمام الصوفية وابن إمامها في تلك الديار الشيخ **عمر العلمي** وهو حفيد العالم الغوث الشيخ **محمد العلمي**. وجده هذا هو شيخ شيخنا العالم العلامة سيدي **أبي بكر ابن يوسف السكتاني**⁴، تلقى عنه الذكر وألبسه

1- "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" في السيرة النبوية، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري (ت 923هـ) سبق.

2- سنن النسائي بشرح السيوطي - باب إباحة فسخ الحج بعمرة لمن لم يسق الهدى (ج5 ص176). وعن الحارث بن بلال بن الحارث عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله ع فسخ الحج لنا خاصة أم لمن بعدنا؟ قال: بل لكم خاصة. سنن أبي داود - كتاب المناسك، حديث 1543. قال الله تعالى في سورة الأعراف - الآية 18 يخاطب الشيطان (قال اخرج منها مذموما مدحورا).

3- الدَّخْرُ: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والاذلال والابعاد.

4- المراكشي (ت 1063هـ)، من أعلام المغرب المشاركين في علم الحديث، زاهد متمسك بالسنة. اقتفاء الأثر (ص115). والهامش رقم 86 منه.

وأجازه، وكان يثني عليه كثيرا، ويقول: ما رأيت أعبد منه مع علمه وورعه.

وممن أخذ عنه أيضا الشيخ المقرئ، وهو الذي أشار على الشيخ أبي بكر بلقائه والأخذ عنه. وسأذكر التعريف بهذا الشيخ آخر الترجمة.

ثم إن الشيخ عمر عزم علينا إلى داره بعد عصر يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر، فأخذت عليه العهد، ولقنني وشد المنزر في وسطي وأقعدني، وأقامني ثم أقعدني قائلا: اجلس مريدا، وقم خادما للفقراء، واجلس قريبا لهم. ووهب لي الفوطة التي شد بها وسطي. وأجازني وكتب لي إجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك. ونص الإجازة سأذكرها بعد هذا.

/لو565/ وقد كتبت له قصيدة بعد ذلك أمتدحه بها، وهذا نصها:
(الطويل)

جزى الله عنا كل خير أبا حفص	إمام الهدى من للكمالات ذا قنص
سليل إمام كان قطب زمانه	ومنزله في خاتم الفصل كالقص
فكم من مريد جاءه وهو ناقص	فكم له حتى غدا ليس ذا نقص
ولم لا وقد ولاه ذلك جده	وطهره مما يشين من الغمص
فكل كمالات المشايخ جمعت	له فهو فيها واحد الفضل
فأنوار أهل الفضل من شمس	يمد الجميع وهو للكل كالقرص
سبرت بلاد الغرب والشرق جلها	وأعملت فيها غاية السبر
لئن حاز قوم بالقياس فضائلا	فقد حزتها يا سيدي أنت بالنص
فلم أر فيها مثل أخلاقه التي	يكاد لها المحزون يعلن بالرقص
فحسبي فإني لا أطيق أعد ما	حباه به الرحمان منها ولا

هو البحر والأخلاق فيه جواهر وما كنت في إخراجها محسن
كفاني فخرا أن لي منه نسبة كستني حلا أغنت عن التاج^{الذ}
تقربني من كل خير أومه ومن كل شر أتقي أبدا يقصي^{القه}
أصلي على المبعوث للناس رحمة أجل صلاة للكمالات تستقصي

ومن أصحاب شيخنا عمر محبنا وأخونا في الله الشيخ محمود السالمي والشيخ قاسم إمام. وقد عقدت معهما عقد أخوة في الله، وتكفلا لي بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة. ووهب لي أخونا الشيخ محمود السالمي ديوان الشيخ محمد العلمي، وفيه من جيد القصائد المحتوية على قصائد الصوفية وأمداح خير البرية ما لا يحصى كثرة. ووهب لي جملة من رسائله. وسأذكر بعضها إعلاما بمقامه وحاله.

وشيوخنا عمر هو القائم مقام جده في تربية المريدين، وخليفته في إقامة وظائف الدين وترتيب مجالس الذكر. ويجلس للذكر كل ليلة مع جماعة كثيرة من أصحابه بين العشائين بباب الصخرة. وكان أبوه عبد الصمد توفي في حياة والده، وبقي ولده هذا في كفالة جده إلى أن توفي، فصار هو الخليفة من بعده. وقد شملته عناية جده، وظهرت عليه آثار بركته، والله الحمد.

وهذا نص الإجازة التي كتبها لي رضي الله عنه، وقد نقلتها مع طولها تبركا بها.

/لو566/ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي رفع للفقراء منزلة وقدر، وأعزهم في الدين دنيا وأخرى. وأيدهم بالتوفيق في الأقوال والأفعال سرا وجهرا، وأزال من قلوبهم حسدا وضرا. وحماهم من الشيطان، فأنكب منهم خائبا صفرا. فمن أحبهم نال من الله الكريم أجرا، وصار له بين الأنام عزا وفخرا. فهم أولياء الله تعالى، بذكرهم تكسى الأكوان عطرا، ليس لهم إلا حب مولاهم ذكرا. إذا نزلوا أرضا مجذبة أصبحت من وطء أقدامهم خضرا، بهم يرحم الله العباد ويسقي ماحل البلاد قطرا. فسبحان من خصهم بهذه العطايا وسقاهم كؤوس المحبة تترا. أحمدته سرا وجهرا، وأشكره على نعم لم نحط بها حصرا. وأسأله

التوبة والمغفرة، وأن يجعلها لنا ذخرا. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. إله قهر العباد قهرا، وأسبغ عليهم نعمه وأجزل لهم أجرا. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أرسله رحمة شاملة بالبشرى. وصلى الله عليه وسلم على روحه الطيبة الزكية صلاة دائمة غرا، وعلى آله الذين فازوا بالسعادة الكبرا. وعلى أصحابه الذين نصرُوا الدين نصرا. خصوصا على أفضلهم أبي بكر الصديق الذي حاز السبق فنال مرتبة غرا. وعلى عمر الفاروق الذي بهر بسطوته أهل الكفر بهرا. وعلى عثمان ذي النورين الصابر على البلاء صبيرا. وعلى علي بن أبي طالب الذي كان للعلوم بحرا. وعلى الستة الذين كُمل بهم العدد عشرا. وعلى سائر الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، دائما يقرأ.

وبعد، فهذه سلسلة أهل الكمال من الأقطاب والأوتاد والأنجاء والأبدال، فهم أحباء الله تعالى في حضرة قدسه، المخصوصون بالطفاف كرمه وأنسه. طريقهم أشرف الطرق وأعلاها، ومطلبهم أعز المطالب وأعلاها. فهم في الحقيقة أهل الكشف والأسرار، المشاهدون للأنوار في حضرة الجبار. ومددهم منه مع ذلك على أقسام، بحسب ما منحهم ذو الجلال والإكرام. فلذلك قسمهم أقساما وفرقا، وأخذ عليهم عهدا قديما وموثقا. ومنحهم بعنايته ورحمته، ونظر إليهم بعين كرامته ومحبته. وحماهم من الأغيار، ووقاهم من الأقدار. ورعاهم بحسن رعاية، ونقاهم من الحظوظ البشرية. ورفعهم إلى حضرته العلية، وسقاهم بكأس محبته الهنية. فطاب كل منهم بنشوة شرابه، وسما إلى حضرة أحبابه. ولذّهم بسماع الخطاب، وزال عنهم الشك والارتياب. فأورثهم بذلك البلاد، وأقامهم لمصالح العباد. وجعل منهم غوثا وأقطابا، وأبدالا وأوتادا. ونقباء وأنجاء، ورجالا. فالأبدال أربعون؛ أقرهم بالشام سؤاحا وجؤابا. والنقباء سبعون أقامهم بمصر حفاظا ورقابا. والأنجاء ثلاثمائة استخلفهم بالغرب للقيام بالحرب، فانتصبوا في طاعته انتصابا. والأوتاد سبعة أركزهم في الأقاليم السبعة. فلا يزالون لمصالح العباد طلابا، والغوث واحد جعلت له مكة بابا. [فسبحان من اصطفاهم، ومن الكدر صفاهم،

وقربهم وطهرهم واجتباهم. وبقية الرجال بالعراق، قد شربوا من كأس المحبة ما صفا وراق. ولبسوا القناعة جلباباً¹.

وَمَنْ عَلَيْهِم بفتح الباب، وكل منهم دُعي فأجاب. فترى منهم الداهش والحيران والولهان، والصاحي والسكران. فمنهم من سقي بكأس الوصال، ومنهم من غلب عليه الحال. ومنهم من استغرق في ذات الأحد، فما شاهد في الدارين غير الصمد. ومنهم رجال الحضرة، الذين أطلعهم على عجائب القدرة. فمن اقتدى بهم نجا من نار الجحيم، ومن تبع طريقهم هُدي إلى صراط مستقيم. وكيفهم عزا وشرفا قوله تبارك وتعالى في كتابه المكنون (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)². فمن أجَّلهم ذو الكرامات والأحوال، التي شهدت له بها الأكابر من فحول الرجال، الفرد القطب الرباني، سيدنا ومولانا المحمدي، الشيخ حسن الراعي القطناني. فهو الذي سارت بأمداده الركبان، وثبت أنه يمحو ويكتب في الديوان. فسبحان من تفضل بمنه وكرمه عليه، وأنقذه من الرعي، وأحسن بفضله وجوده إليه. إذ أصله من فلاح شهبه من قرى حوران، فجاء إلى قرية قطنا، ورعى بها المعز بخير قدر له وحن. فبينما هو ذات يوم في المرعى، وإذا ثلاثة رجال خيالة إلى نحوه تسعى. ففر الرعاة بين يديه، وثبت هو إلى أن وصلوا إليه. فإذا هم الأقطاب السادات، الذين تتشرف بوجوههم الأزمنة والأوقات، وتُقضى ببركتهم عند الله الحاجات. القطب الرباني، الهيكل الصمداني، سيدنا ومولانا عبد القادر الكيلاني. والقطب العارف الذي أجاب الداعي سيدنا ومولانا الشيخ أحمد بن الرفاعي. والقطب العارف بربه القادر، سيدنا ومولانا عدي بن مسافر. فقرأوا عليه السلام، وطلبوا منه قرى الكرام. ولم يكن له من المعز سوى عنزة فريدة، فأحضرها، وحلبها ببركتهم على مرات عديدة. وكان السعد له هناك داعي، فحلبها ووضع اللبن أمام الأستاذ الشيخ الرفاعي رضي الله تعالى عنه/لو567/ فقالوا: هو لك يا أستاذ. فقال: وله منكم الإمداد. فقالا له: افعل ما تريد، وله من كل خير مزيد. فأخذوا عليه العهد والميثاق، وأمدوه إلى أن علا على أهل عصره وفاق. وثقلوا له في اللبن. وقال له: خذها يا حسن، فإن شئت شربها لك وحدك، أو مخفية لك ولذريتك ومحبيهم بعدك؟ فقال: بل

¹- في طرة (ح م).

²- سورة يونس - الآية 62.

مخفية. وسرها لي ولجميع الذرية الإناث والذكور وسائر أولاد الظهور، فشربها.

وقد ظهرت منه الكرامات والأحوال، وغارت منه فحول الرجال. وكان في زمنه رجل بالأحوال مشهور، يعرف بالشيخ أبي بكر، وهو من قرية يعفور. فلما بلغه خبر الشيخ حسن المذكور، قال: لا بد أن يُظهر شيئاً من الأمور. فقال له: أمرك على طاعة، فأمُر بما شئت في هذه الساعة؟ فقال له: يا حسن، تقد في بيت ست قناديل متوالية، وأنا أنفخ وأطفئها من هذه الزاوية. ففعل فنفخ الشيخ فيها وأطفأها، وأخرج ليلها وأخفى سناها. فقال الشيخ حسن لامراته: اصعدي السطح واركضي عليه في ست مواضع، فعادت القناديل تشعل ونورها بإذن الله ساطع.

ومنها أن البلاد بجميعها كانت بيديه، فلما ظهر الشيخ حسن تغيروا عليه. فاشتكى عليه للأولياء والسادات والأقطاب والأنبياء. وكانت القرى بوادي برداء، فأرسلوا يُقسمون عليه بأن يكف عنه الأذى والردى. وأن لا يدخل إلى بلاده ليلاً تحول أصحابه عن اعتقاده. فجاء لقرية بعيدة وحرك إحدى يديه. فما أحس أهل تلك البلدة إلا وهم بين يديه من نساء ورجال، وتركوا ما كانوا فيه من الأشغال. وهم مدهوشون حيارى، كأنهم من ذلك المحرك سكارى. إلى غير ذلك مما لا يحصى من الكرامات الظاهرة، والأحوال الشهيرة المتواترة.

ولما كانوا مع الله تعالى بهذا الشأن والتأييد الصادق والبرهان أحب أن يندرج في سلك أهل هذه الطريقة الغراء، وأن ينتظم في عقد أصحاب هذه الحقيقة الزهراء. مولانا الشيخ الصالح العالم، العامل الناجح، المحدث المحقق، والعلامة المدقق. زبدة أهل الفضل والصلاح، ومعدن الحلم والسماح. فخر المتقين السالكين، وعين أرباب اليقين. الشيخ عبد الله أبو سالم بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، كان الله له ولياً. فقدم بعزم صادق، وقلب بحب السادة الرفاعية واثق. وطلب من مولانا وسيدنا الشيخ الإمام، العالم النحرير الهمام. صاحب المعارف الربانية، والعوارف الصمدانية، والأنفاس الزكية المرضية، والأحوال السنية البهية. ذو المنار الأسنى، والسيرة الحسنى. سراج الدنيا والدين، مربى المريدين، وكهف الصلحاء الواردين. المعمر بمدد الله تعالى العلي المبين. سيدي عمر ابن سيدنا ومولانا الإمام العارف، قدوة أهل الخير والمعارف. ألواتق بالواحد الأحد الفرد، سيدي عبد الصمد. ابن سيدنا

ومولانا قطب العارفين، وعين أعيان الجهابذة المحققين من فضله كالعلم المشهور، شمس الدين والدنيا سيدي الشيخ محمد العلمي القدسي الرفاعي. قدس الله تعالى أسرارهِ الطاهرة، ونفعنا بعلومهِ المتكاثرة، الإجازة بسلوك أهل طريق الله تعالى. فأخذ عليه العهد والميثاق، ولا حظه فكان ممن سما مجده وفاق. وكان ممن انتقل من حال إلى حال، واستحق الخلافة بين الرجال. فأجلسه على السجادة، وأذن له أن يتصرف في طريقهم المنيرة على العادة. وأمره أن يتمسك مع الله سبحانه وتعالى بالأدب والافتقار، والتواضع والذل والانكسار. مستوثقا بالقواعد الشرعية والطريقة المحمدية الشريفة المرعية. ملازما على الصلوات المفروضة، بالخشوع والآداب والمسنونات، منتهيا عن جميع المحظورات. وأن لا يفعل كبيرة ولا يصر على صغيرة. وأن يفشي السلام، ويطعم الطعام، ويستعين بالصبر والصيام، والصلاة بالليل والناس نيام. محافظا على الخضوع والخشية، والطاعة والورع والزهد والقناعة. والاستقامة في نفسه، ليستقيم به من صحبه من أبناء جنسه. وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والغيبة والنميمة في مجلسه لا تذكر. وأن يوقر الشيخ الكبير /لو568/ ويرحم الطفل الصغير. وأن يعفو عن ظلمه، ولا يشتم من شتمه. ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يؤذي من يؤذيه. وأن يرى نفسه دون كل جليس، وأن يكون للفقراء والغرباء نعم الأنيس. وأن يصفح للإخوان عن الزلات، ولا يأخذهم بالهفوات. وأن يسعى في مصالح إخوانه الفقراء، ويقضي حوائجهم على حسب ما يرى. وأن يعاهد الفقراء ويرببهم، ويسقيهم اللبن ويحسن إليهم. وأن يحري¹ في شعورهم المقرض، ويظهر لهم أن ترببتهم لها لا يكون بغير الله تعالى. وينهاهم عن العمل بسوء الأغراض، وأن يقبل ويرد من غير اعتراض. وأن يخلف ممن فيه الأهلية لذلك، وأن يُنقَب ممن هو بطريق الفقراء سالك. وأن يمص السم من الملسوعين، ويدوس ظهور الموجوعين، ويرد اللقوة للمصابين، وأن يفعل ذلك كله وهو بالله سبحانه وتعالى يستعين. وأن يلبس الخرقة السوداء، ويلبسها من أراد، كما كان يفعل الأستاذ. لما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ (دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء)². وعن الحسن رضي الله عنه

¹- حَرَيَّ الشَّيْءَ يَحْرِي حَرْيًّا، نقص بعد زيادة.

²- صحيح مسلم - كتاب الحج، حديث 2418.

أنه قال: كانت عمامة رسول الله ﷺ سوداء، وكانت رايته المسماة بالعقاب سوداء. إلى غير ذلك.

وأن يُقام الوقت بحضرته في أي مكان أراد، ويسلك بذلك طريق أهل السداد. وأن يُضرب بين يديه بالدف مثل أهل الهمم، وأن يُحمل على رأسه إذا سار العلم. ثم طلب من مولانا المشار إليه، نظر الله تعالى بعين عنايته إليه. أن يمه بسلسلة الطريق، لتكون فرجا له من كل مضيق. فأخبره أنه صحب بها وأخذها من أجل هذه الذرية القطبانية، وأكمل شيوخ الطريقة الرفاعية. سيدنا ومولانا الشيخ حسن، وسيدنا ومولانا محمد القطنانيين نسبا الرفاعيين طريقة، المصحب كل منهما آباه وأجداده، المتصل ذلك بحضرة سيدنا قطب العارفين، سيدي أحمد الرفاعي قدس الله تعالى أسرارهِ الطاهرة، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركات مواهبهِ الزاهرة.

وأخبره أنه صحب بها وتلقاها وتلقنها من حضرة جده وشيخه ومرشده شيخ الطريقة، ومعدن السلوك والحقيقة. عمدة العلماء العاملين، وإمام الزاهدين السالكين. الشيخ العارف العلامة، والعالم المحقق الفهامة. العلم الفرد في الأفاق، من طاب نشره وصفا ذكره وفاق. شيخ الإسلام والمسلمين، وحجة الحق على المريرين. العارف الرباني، المحقق الصمداني. سيدي الشيخ محمد ابن مولانا شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، وعمدة علماء الأعلام، المكرم سراج الدين عمر العلمي المقدسي. وهو صحب بها وأخذها عن جميع ذرية الأستاذ الكبير، لا سيما الشيخ موسى ذي المقام الخطير، وهو صحب بها مولانا المذكور أيضا أجل هذه الذرية، وأكمل هذه الطائفة الرفاعية. القطب الرباني، سيدي الشيخ حسن القطناني. وهو صحب بها والده الشيخ عبد الله، وهو صحب بها والده الشيخ طعيمة، وهو صحب بها والده الشيخ محمد أبا كرش، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الله، وهو صحب بها والده الشيخ يوسف الذي رد المركب بيده الشمال، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الله المدفون بقب إلياس، وهو صحب بها والده الشيخ عبد الهادي، وهو صحب بها والده سيدنا ومولانا القطب الرباني الشيخ عبد الرحيم القطناني، وهو صحب بها الشيخ الكبير الغوث الرباني سيدنا ومولانا الشيخ حسن القطناني، وهو صحب بها سلطان الأولياء والعارفين وقُدوة السالكين والمحققين، ذي الكرامات الكثيرة والأحوال الشهيرة، التي

صحت له الإرادة، وثبت أنه يمحو الشقاوة، ويثبت السعادة بإذن الله تعالى، ذي القدرة والإرادة. موصل كل عرجاء بالسليمة، وملحق كل عوجاء بالمستقيمة. من ذلت له الأسود والأفاعي، سيدنا ومولانا العارف الكبير والأستاذ الشهير أحمد بن الرفاعي، رضي الله تعالى عنه وعنا به. وهو صاحب بها الشيخ علي القاري الواسطي. وهو صاحب بها الشيخ أبا الفضل بن كامخ، وهو صاحب بها الشيخ علام بن بركان، وهو صاحب بها الشيخ علي البارباري، [وهو صاحب بها]¹ /لو569/ الشيخ علي العجمي وهو صاحب بها أبا بكر الشلبي، وهو صاحب بها، سيدنا ومولانا صاحب الأمداد المحمدية، وسيد الطائفة الصوفية، أرباب المقامات العلية، والأحوال المرضية، أبا القاسم الجنيد البغذادي، وهو صاحب بها الولي الكبير سيدي سري الدين السقطي، وهو صاحب بها سيدنا العارف الجليل والأستاذ النبيل أبا محفوظ معروف الكرخي.

وهو صاحب بها مولانا الشيخ داود الطائي، وهو صاحب بها الولي الكبير سيدي الشيخ حبيب العجمي، وهو صاحب بها سيد التابعين سيدنا ومولانا الحسن البصري، وهو صاحب بها الإمام الهمام زوج البتول وابن عم الرسول صلى الله تعالى وبارك عليه وزاده فضلا لديه، البحر الزخار والفارس الكرار، باب مدينة العلم والعرفان، وبواب حضرة القرب والرضوان. آية الله في خلقه، ونقمتة على منكري حقه. كاشف المشكلات ومحل المعضلات عن الأئمة العابدين، ورابع الخلفاء الراشدين. مظهر العجائب ومفرق الكتائب، فارس المشارق والمغرب. أبا الحسن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وعنا به، وأعاد علينا من بركاته. وهو صاحب بها ابن عمه نبي الثقلين، وجد الحسين، وأفضل العالمين وشرف الكونين، وحياة الدارين، نبي الرحمة وكاشف الغمة، زين من وافى للقيامة، ونال المقام المحمود والوسيلة والكرامة. سيد الأولين والآخرين، حبيب رب العالمين. سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. وبارك عليه وعلى سائر إخوانه السادات الأنبياء والمرسلين. وآل كل وصحبه أجمعين، وسائر عباد الله الصالحين. والحمد لله أولا وآخرا ظاهرا وباطنا. نسأله سبحانه الهداية والتوفيق لمناهج هذه السادات الكرام، أهل المجد والاحترام. لنندرج في طريقهم، ونعد من

¹- ما بين [] عبارة مكررة في (ح م).

حزبهم وفريقهم. بحول الله تعالى وقدرته وجوده ورحمته. متوسلين بسيدنا وحبينا المختار ع في نيل ذلك، إنه تعالى القادر على ذلك، آمين.

انتهت الإجازة البهية على يد أضعف البرية، محمود السالمي القدسي، راجيا دعوة بظهر الغيب من أستاذنا الشيخ الكبير المجيز، ومولانا وشيخنا المُجاز. حفظهما الله تعالى، آمين. وذلك آخر صفر الخير سنة 1074هـ.

الحمد لله الذي اختار من عباده من شاء لنفسه وقربه إليه، وأجلسه على بساط أنسه، وسقاه من كؤوس محبته، فأصبح هائما ببهاء جمال قدسه. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو لكل طريقة عنوان، المرسل بأشرف معجزة وأبهر برهان. وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان، ما تعاقب الملوان.

وبعد، فقد شهد وحضر ما في هذه السلسلة الفخيمة والإجازة الكريمة. الصادرة من أهلها لمن هو أهلها ومحلها. الإمام المحدث المحقق، والنبراس الوهاج المدقق. كان الله له وليا، وبه حفيا. والمرجو أن لا ينساني وأهلي وأولادي من دعوته المجابة، في خلواته وجلواته وأحواله المستطابة. قال ذلك بفمه وحرره بقلمه، أفقر البرية عبد الباقي بن عبد القادر بن الأستاذ الكبير الشيخ محمد العلمي. أمدنا الله بمدده، المدعو بأحد العلمية، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهما وإليه. شهد بذلك نقيب الحضرة العلمية، والفقراء الرفاعية، بالقدس المحمية، النقيب يحيى بن شيبانة، عامله الله بغفرانه، آمين.

/لو570/ الحمد لله الذي أمد من اعتمد عليه، وفوض أموره كلها إليه. ولازم بابه بالافتقار، فبلغ بفضلته تعالى غاية الأوطار. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي من اعتمد جأه الشريف ما خاب، وعلى آله الكرام والسادة الأصحاب.

وبعد، فقد حضر وشهد بما في هذه الإجازة الكريمة، والسلسلة المستقيمة. الواقعة في عين الصواب بالصواب، الصادرة بالحق المستطاب. راجيا من حضرة مولانا وشيخنا المجاز أن يشملني بدعواته الكريمة، ولا يُخلِّني من خواطره المستقيمة، سيما عقب إيراد الأحاديث الكريمة الجلية، والمسائل الفقهية الجميلة. وإني الفقير إليه سبحانه علي بن عمر بن عبد الصمد بن القطب الرباني سيدي الشيخ محمد العلمي

الرفاعي القطناني، قدس الله سره، آمين. شهد بذلك النقيب أحمد بن حسن الراجواني نقيب الجلسة العلمية، وقارئ الفاتحة بها، لطف الله به رب البرية. شهد بذلك الفقير إلى رحمة ربه الغني، الفقير قاسم بن عبد المعطي الملتمس من مولانا الشيخ المجاز صالح الدعوات، وأن لا يخليه من خامر خاطره في المجالس السنيات. فإنه تشرف بصحبته بأنه ملازم له على الدعاء بالقدس الشريف.

الحمد لله. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا، وقرة أعيننا، محمد الحامد المحمود، وعلى سائر الأنبياء الكرام أهل الفضل والجود. وعلى آل كل وصحه ما تعاقب الجديان، واستقبل الفرقدان، وأضاء النيران.

وبعد، فيقول الفقير كاتب أصل هذه الإجازة الكريمة محمود السالمي القدسي: إني شملتني بركة من الله سبحانه بحضور ما وقع في هذه الإجازة الكريمة، وبالإجماع بمولانا وشيخنا المجاز الإمام العلامة، الذي لأصناف الفواضل والفضائل حاز، سيدي المحدث المحقق أبو سالم عبد الله العياشي حفظه الله. وكان به حفيا وله وليا، وحافظا وناصرًا وواقيا وراجيا. أن لا ينساني من دعواته الكريمة في خلواته وجلواته، ومجالس حديثه ورواياته. وإني أيضا لا أنساه. وكيف وهو شيخي في الحديث الشريف، المبجل المنيف. فأكرم بها من إجازة صادرة بالحق من الحق. والله تعالى ولي الهداية والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

شهد بذلك الفقير إلى الله سبحانه الخلاق عبد الرحمان بن الحاج أحمد الدقاق، لطف الله به وبسائر الرفاق.

الحمد لله. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، وزاده فضلا وشرفا لديه. وبعد، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه العلي علي الحوراني، خليفة الأستاذ ولي الله تعالى سيدي محمد العلمي قدس الله سره. وقد وقفت على هذه الإجازة السنية، والسلسلة المرضية. فرأيتها صادرة بالحق والصواب من أهلها ومحلها إلى من هو أحق بها وأهلها. وإني راج منه أن لا ينساني من دعائه وأنفاسه. حفظه الله تعالى ولطف به وبلغ مراده على أكمل حال، آمين، آمين.

شهد بذلك نقيب السجادة الفقير يحيى بن المهدي لطف الله تعالى به. شهد بذلك الفقير إلى ربه الكريم علي الكردي أحد الفقراء العلية.

للو571/ الحمد لله الذي رتق الغياهب، بجلال الخشية ونور المواهب، عن سماء قلوب من شاء واختار من عباده العلماء العاملين، وأشرق لهم نجوم الكواكب بأرض بحر المطالب، فكانوا بضياؤها مهتدين. منحهم بنفحات عبير طيبها لا ينكر، بل هو من كل طيب أشهر، وعوارف معارف در جوهرها من الشمس في الظهيرة أظهر. سقاها من رحيق شرابه المختوم، وأودعهم خزائن سره المكتوم. وجعلهم من أهل حضرته، ونظمهم في عقد محبته، نصبهم لشرف طاعته. فتراهم لها مسرعين، ورفع قدرهم بأنواع العبادات، فترملوا بها مجدين مجتهدين، وعلى قدم الإخلاص ملازمين، ومن الحول والقوة متبرئين. ليس لهم مقصد سواه، ولا مطلب إلا إياه. جذبهم بسابق الفضل إليه، ودلهم به عليه. والصلاة والسلام على بحر الإمداد، وعين الهداية والإرشاد. سيدنا ومولانا محمد زين العباد والعباد، وعلى آله وأصحابه السادة القادة الأمجاد. وعلى تابعي هديهم الأنور، وسننهم الأزهر. صلاة وسلاما دائمين ليوم البعث والمنشر.

وبعد، فلما قدم من الحج الشريف، والمعبد المنيف. الشيخ الصالح والعالم الناجح. الفاضل المحقق، والكامل المدقق. عمدة المحدثين، وقوة السالكين. مولانا الشيخ أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي شكر الله سعيه، وأمد به بما يسره ويرضيه. لزيارة البيت المقدس، والمعبد الذي على التقوى مؤسس. حصل معه بركة الاجتماع ونظر الاطلاع، والتشرف بأنوار علمه وعمله. فكان من حسن السلوك إلى الله تعالى على قدم أكمل، ومنهاج لمراقي رتب المجد والكمال هو به أخرى وأجمل. أجزته بما أجزت به وتلقيته من السادات والكرامة والأئمة الفخام. وجعلته خليفة يخلف وينقب، ويلقن الأذكار والأوراد. راجيا أن يكون نفعا للطالبيين، وموصلا للسالكين، وكهفا للغرباء والواردين. سائلا فضله سبحانه أن يمن لنا وله بفيض الإمداد، ودوام العناية والرشاد. والتوفيق في الأقوال والأفعال، وتحقيق حقائق واردات الأحوال. وأوصيه وإياي بتقوى الله في السر والعلن، ومراقبته سبحانه وتعالى فيما ظهر وبطن. فإن أكرم الخلق لدى الملك الحق المُتَّقُونَ. وأن لا ينساني وأبنائي وإخواني وأحبائي من صالح دعواته في أوقات طاعته، وخلواته وجلواته. لا سيما عقب إيراد أحاديث سيد الأنام، ومصباح الظلام، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام. والله سبحانه وتعالى يمن

بالقبول، إنه خير مأمول ومسؤول، بجاه نبيه محمد الرسول ع. وزاده شرفا وكرما لديه، آمين، اللهم آمين. كتب ذلك العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير. خادم السادات الصوفية، بالقدس البهية السنية. عمر بن عبد الصمد بن محمد العلمي الرفاعي، عفا الله عنه وعن والديه، وأحسن في الدارين إليهما وإليه، وللمسلمين أجمعين، آمين. وكان تحرير ذلك نهار الاثنين المبارك من شهر صفر الخير، من أربع وسبعين في العشرة الآخرة وألف.

لو572/ ذكر التعريف بجده الإمام الهمام قطب الأنام الشيخ محمد العلمي

وقد ألف رحمه الله تعالى رسالة لطيفة ذكر فيها مبدأ أمره وتنقلات أحواله ومشايخه في الطريق. فرأيت ذكرها بتمامها أوعب وأتم فائدة. وهي هذه، وسماها "رسالة معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير في الطريق" ونصها:

[بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي. الحمد لله المنعم البر الجواد، الجاذب منه إليه من أحب وأراد. وصلاته وسلامه المتواليان بالإمداد على من أتانا بالخير] ¹ لو573/ والإسعاد والهداية والإرشاد، أفضل العباد وأشرف العباد. وعلى آله السادة والأمجاد وأصحابه الهادين إلى سنن السداد. وعلى تابعي طريقهم، وحزبهم وفريقهم إلى يوم البعث والتناد.

وبعد، فيقول العبد الفقير، المعترف بالعجز والتقصير، خويدم السادة الفقراء، محمد بن عمر العلمي، من جناب مولاه الكريم منتمي. ورد على خاطر الفقير وارداً إحسان، أحببت أن أخبر به الأبناء والإخوان، أن يكونوا من حضرة الكريم المنان، على بصيرة وإيقان، إذا سئلوا عن كيفية دخول الفقير إلى طريق الإلاه المولى إلى الصدق والجاه. من أضافه بفضل وكرمه إليه، وأخذ منه ودله عليه. فأضحى فريداً في الأنام، لا يعرف إلا الملك العلام. مشغوقاً بوجوده عن شهوده. قال سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)². ويروى في بعض كتب الله المنزلة: ابن آدم خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء كلها

¹- ما بين [] مكررة في (ح م).

²- سورة الذاريات - الآية 56.

من أجلك، فلا تشغل بما خلق لك عما خلقت له. ابن آدم أنا بركَ اللازم، فالرّم بركَ.

ومن كلام السادات: جذبة من جذبات الحق توازي أعمال الثقلين من أعمال الجوارح. وقال جل جلاله (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)¹.

وهذا أوان الشروع في المقصود بعناية الملك المعبود. ولا بأس بذكر بعض من اجتمع بهم الفقير، من سادات هذا الطريق، الذين هم من أرباب الأحوال والتحقيق. ولا بأس أيضا بذكر شيء من بعض المبشرات الموليات لسبل العناية والمسرات، كما أخبر به بعض الصلحاء من المنامات، لأنها جزء من أجزاء النبوة². ولذلك تحرك جأش العبد إلى متابعة الأكياس، الذين خفوا بنفائس الأنفاس. ولتظهر آثار الفتوة والتقوى، على من رآها أو رُئيت له في عالم السر والنجوى. والله الموفق إلى الهداية والصواب، ومنه المبدأ وإليه المرجع والمآب.

فأول شيء أتحف به العبد في حالة المراهقة، أنه مرض مرضا شديدا قل أن يرجى البرء من مثله. وكان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم في شهر رمضان المعظم قدره في شهور عشر الثمانين بعد التسعمائة. فبينما الفقير/لـ574/ في شدة تلك الحال وما يكابد فيها من الأهوال، في حالة بين النوم واليقظة، إذ دخل عليه رجلان عظيمان، فتخيل للفقير أنهما حلقا رأس الفقير وفرقاه، وجاء له بدهن بنفسج، ودهن به جبينه وأنفه، ومضى أحدهما، وجلس الآخر عند رأس الفقير، وقال لي: لا ترفع رأسك إلى المساء. وربما كان دخولهما فيما بين الصلاتين، والله سبحانه أعلم. فأخذت الفقير منه هببة، وامتلأت أمره. ووضعت اللحاف على وجهي. فكنت إذا ضاق نفسي أرفع اللحاف برفق عن وجهي. فنظرت إليه فإذا هو ذو شبيبة لطيفة، وعليه صوف أخضر في غاية ما يكون من اللطف والحسن. فأجرى الله على لساني أن أسأله عن اسمه الكريم، وعن اسم رفيقه، فذكر أنه خليل الرحمان ع، وأن رفيقه سيدي الشيخ علي بن عليل الشهير بابن عليم، قدس الله تعالى سره العزيز.

¹ - سورة آل عمران - الآية 74.

² - إشارة إلى الحديث النبوي: الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءا من النبوة. صحيح مسلم - كتاب الرؤيا، حديث 4205. ابن ماجه - كتاب تعبیر الرؤيا - حديث 3885.

ثم أخذتني ببركته شبه سِنَّة نوم إلى قريب المغرب، فاستيقظت عرقانا، وَمَنْ الله تعالى علي بالعافية، فعلق قلبي حب هذه السادة. وصار يخطر لي إذا أحياني الله تعالى وكبرت أن أنقطع عند سيدي الشيخ علي بن عليل، لما كنت أسمع عنه وعن مكانه الشريف، وأنه على شاطئ البحر بمكان حسن. ثم مَنْ الله تعالى علي برجل من كبار الصالحين، من أرباب الأحوال والكرامات والتمكين. صحبته مدة من الزمان بالقدس الشريف، يقال له الشيخ حسن الكركي، وكان خليفة لسيدي الشيخ عمر العقيلي الدمشقي، وسيدي الشيخ عمر المذكور خليفة للعارف الرباني سيدي الشيخ علوان الحموي، والشيخ علوان خليفة لحضرة قطب الزمان السيد الشريف الحسيب النسيب علي بن ميمون، نفعا الله بهم أجمعين. فلازمت سيدي الشيخ حسن المذكور مدة مديدة في ابتداء حال الشيبوبة بمسجد بيت المقدس بجامع المغاربة، لأن والدي رحمه الله تعالى كان يجتمع به كثيرا. وكانت الفقراء يَشْكُونُ له الخواطر. وكان يقول لإخواني السادة الكبار: ليتكم لو كنتم مثل هذا الشاب. وكان قبل ذلك قدر الله تعالى علي المرحوم سيدي وشيخي الوالد بالتوجه إلى دمشق الشام، لأمر إرادة الله تعالى غصبا عليه بعد انقطاعه بمسجد بيت المقدس. ثم قدر عليه بالتوجه إلى ديار السلطنة ببلاد الروم، وأخذ المدرسة النورية والفتيا بمدينة بعلبك الحمية. فتبعه الفقير إلى هناك. ثم قدر عليه بالتوجه إلى ديار الروم، فتوجه الفقير معه في خدمته. ودخلت في طريق المدرسين بدمشق المحروسة. وكان في يد الفقير حصّة في قرية شرقي دمشق يقال لها خمير، فاجتمعت فيها برجل من السادات أرباب الأحوال الظاهرة والكرامات المتكاثرة، يقال له الشيخ جمعة من قرية عذراء. وكان من جملة كراماته إذا نذر له إنسان نذرا يأتي إليه ويقول له: يا سيدي، وما نذرك؟ فيقول له: الشيء الفلاني، كنت نذرت لما كنت بالمحل الفلاني؟ وحصل لك الشيء الفلاني؟ فيُصدقه ويرفع له نذرة. فلما بلغ الفقير عنه مثل ذلك ورأيت سمته وصلاحيته ظاهرة، سألت عنه الأخوة لله تعالى، فتخاويت معه، وزاد به شوقي لمحبة الصالحين.

ومنهم رجل يقال له الشيخ علي اللؤلؤي، وكان يدعى بأبي الفقراء، وكان من كبار رجال الشام، والله أعلم أنه كان من الأبدال. وله أحوال كثيرة ومحبة ورحمة زائدة للفقراء رحمه الله تعالى. وكان أولا مصاحبا

لسيدي الشيخ شهاب الدين ولد شيخ الإسلام بدر الدين الغزي رحمهما الله تعالى. وكان هذا الشيخ من أهل العلم. وابتلي بمحبته الصلحاء والفقراء، فكان أكثر ما يجالسهم، وينفق عليهم ما يقدره الله تعالى من الخير. فلما توفي رحمه الله تعالى جاء وصحب الفقير. وكان قبل صحبتة عند الفقير رجل من الصالحين اسمه الشيخ خليل بن قزمون القدسي رحمه الله تعالى، وكان ممن نوره الله تعالى ظاهرا وباطنا. وكان يخبر كثيرا أن أهل الله لا بد وأن يأخذوا الفقير إلى طريقهم. وكان أيضا بجوار الفقير بدمشق المحروسة امرأة كبيرة سالحة حبشية. وكانت كثيرة الاعتقاد لحضرة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز، فأخبرت الفقير - وكانت بجواريته بدمشق المحروسة - [أنها]¹ رأت ذات ليلة في المنام أنهم أخذوا الفقير ووضعوا فوق رأسه علمين، إلى غير ذلك.

ثم إن الفقير رأى في ليلة جمعة أنه بجامع بني أمية، وأن حواليه جماعة، وأنه استفتح بهم الذكر، فجاء إليه شخص وقال له: اصبر، ما حالك. أو لعله قال: إلى أن تستدعي الناس. فحصل خجل للفقير من كلامه. فبينما الفقير كذلك وإذا بالوقت قد قام واتسع المجلس، وإذا برجل صار يتواجد في المجلس ويرتفع عن الأرض، فإذا عاد إلى الأرض نبت العشب تحت أقدامه قدر شبر، أو نحو ذلك. فقال الفقير عند ذلك للرجل: هذا شيخي، فلما أراد الفراغ من المجلس وجاء إلى جانب الحائط الشمالي ضم الشيخ قدس الله سره العزيز العبد الفقير إلى صدره الشريف وقال له: أَجَزْتُكَ بجميع ما يجوز لي. وأخذ الفقير وسار به إلى جهة باب العنبارية، فاستقبلنا رجلاً ذو شبيبة بهية، وعليه صاية بيضاء، وتصافح مع الفقير، ولم أعرفه. وسار بي الشيخ رحمه الله ونفعنا به إلى قرية قطنا، وأخذ يريني أشياء، ويذكر لي أشياء. فاستيقظت وقد وعيت ذلك. ولم أكن قبل هذا أعرف هذا الشيخ رحمه الله، ولا دخلت تلك القرية. فلما أصبحت وجلست في محل الجلوس مع الإخوان، وجاء بعضهم ذكرت لهم ذلك، وكان بمنزل الفقير رجل من قرية سقيا، من أعمال دمشق المحروسة من جماعة المشايخ، فلما سمع ذلك من الفقير وصفة الشيخ المذكور، قال: هذا سيدي الشيخ حسن أبو علي، وجميع ما ذكرته صحيح كذلك.

¹ - ناقصة في (ح م).

ثم تشاغل الفقير عن مثل ذلك بما هو فيه من/لـ576/ أحوال خدمة العلم الشريف وأحوال الدنيا. فبعد مدة رأيت في المنام أيضا أنهم أخذوا الفقير إلى قرية قطنا، وأن رجلا جالسا إلى جانب قبة مرتفعة وبيده شد أحمر وهو يرمي بطرفه إلى الفقير لأتمسك به وأطلع إليه. فلما استيقظت وأصبحت ذكرت لبعض الإخوان، ووصفت الرجل الذي كان بيده الشد، فذكر لي أنه والد سيدي الشيخ موسى، واسمه الشيخ محمد عين رحمه الله تعالى.

ثم بعد مدة رأيت أن خمسة رجال دخلوا على الفقير، ثلاثة جاؤوا من جانب الأيمن، واثنان جاؤوا عن يسار الفقير. والفقير يشبه حالة الجالس. فجلس أحدهما إلى جانب الفقير، وصار بمنزلة المتكئ على فخدي الأيسر، وبقي الواحد قائما وبيده بند أو شيء يشبه ذلك، وطرفه بيد واحد من الثلاثة الواقفين عن يمين الفقير، وهو بيد الثلاثة. من شدة هيبتهم ما علمت حقيقة ذلك، ووضعوه على ظهر الفقير، وصاروا يحركون الفقير به حركة لطيفة. وإذا بي كأني أسمع من يقول لي: هذا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله تعالى سره العزيز. وكأني به وهو يقول لي عن الشيخ الذي على فخدي: الزم هذا الراعي. وكأني بالشيخ الراعي يأمرني بلبس الخرقة السوداء، والبسنيها. ولا أعلم حقيقة أي ذلك كان من هيبتهم وجلالتهم. فلما استيقظت خطر ببالي أن الراعي سيدي الشيخ أحمد البدوي قدس الله تعالى سره العزيز، لما يحكى عنه أنه رعى الجمال لبنت بري قدس الله تعالى سرهما العزيز. فلما أصبحت ذكرت ذلك للإخوان بارك الله فيهم، فقال لي بعضهم: الراعي الشيخ حسن القطناني جد هذه السادات الموجودين الآن بقرية قطنا، أدام الله تعالى مردهم وكثر عددهم.

ثم بعد مُضيّ مدة من ذلك، بينما الفقير ذات يوم عند سيدي الشيخ الوالد رحمه الله تعالى بمحلة العمارة بدمشق، وإذا برجل من أصحاب الفقير جاء وقال للفقير: الشيخ القطناني في المنزل، فظن الفقير أنه سيدي الشيخ حسن الذي رأيته أولا. وكان بيت الفقير قريبا من باب ثوما الغربية. فلما أتيت المنزل رأيت شابا لطيفا حسن الهيئة والمنظر ومعه بعض جماعة من فقرائهم. فسلمت عليهم وجلسنا. فقال سيدي الشيخ للفقير في أثناء مصاحبتة: إن لم تجيئوا جنناكم، ما في المحبة من عار. وجلس مدة أيام بلياليهن يقيم الأوقات والأوراد بالمنزل عند الفقير. ثم

دعاني وأجلسني بين يديه، فأخذت العهد عليه، وكل شيء أمر به للفقير امتثلته منه لما تقدم لي قبل ذلك، وهو سيدي الشيخ موسى ولد الشيخ محمد عين قدس الله تعالى روحهما. وأخبر الفقير بأن مدده بالأكثر من سيدي الشيخ حسن والد سيدي الشيخ علي المذكور.

ثم إن الشيخ موسى أخذ الفقير وتوجه به/لـ577/ لقرية يقال لها سقيا من قرى دمشق، كان بها في زيارة الأستاذ سيدي الشيخ حسن رحمه الله تعالى مع بعض جماعته. وحصلت أيضا الإجازة بالخلافة من الأستاذ بعناية الملك الجواد، لأنه أول من رآه الفقير في منامه وجميع طائفته وغيرهم من صلحاء عصره الكائنين بدمشق المحروسة، يعترفون بعلو شأنه، وبما أولاه به مولاه من فيض بره وإحسانه. وإن كانت طائفته جميعهم بعناية الله تعالى أرباب أحوال، النساء منهم والرجال والكبار والأطفال. وبذلك جرى مددهم من العلي المتعال، وهم مشهورون بذلك ومعروفون عند أهل تلك المسالك (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء)¹.

ثم توجه بعد ذلك سيدي الشيخ موسى لمحروسة صيدا، وكان قبل ذلك فتح الله تعالى على يده خيرا كثيرا بتلك الديار لتربية المحبين. فاخترمته المنية، ودفن هناك خارج بابها على شاطئ البحر، بمكان كان يشير بدفنه فيه إلى جانب قبر رجل من السادات يقال له سيدي الشيخ أبو الريش. فعمل له مدفن، وجعلت عليه قبة، ويعمل عنده به مخي في يوم من أيام الجمعة، رحمه الله تعالى وقدس سره العزيز بمنه وكرمه، آمين.

فصل في ذكر من حصل منهم الإجازة للفقير من السادات الكرام والأئمة القادة للأنام، وذلك عِلم الله تعالى من غير طلب من الفقير، وإنما ذلك فضل من الله تعالى العلي الكبير. قال بعض السادات، شعر :
(البسيط)

من أين لي من أين لي إن لم مولاي مولاي فالتوفيق من قبلي
٢ ٢

¹- سورة آل عمران - الآية 74.

وقال سبحانه وتعالى: (قل بفضل الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا، هو خير مما يجمعون)¹.

فمنهم سيدي وشيخي والذي كان رحمه الله تعالى وأولاه بالعفو والرضوان، اجتمع بكثير من عباد الله الصالحين، وممن جمع الله له بين الشريعة والحقيقة. كان يُكتب له في برائته: مفتي ومدرس. وكانت الفقراء يَشْكُون له الخواطر ويرببهم. وكان من جملة دعائه للفقير: وهبك الله تعالى التصديق كما وهبه لأبيك. أجاز الفقير بما أجز به من الأشياء والأسياذ أرباب العناية والإمداد.

ومنهم سيدي الشيخ أحمد ذو الأحوال الظاهرة والكرامات الباهرة، وله شهرة شهيرة في غالب البلاد عند السلاطين وغيرهم، من أفاضل العباد، الشهير نسبه الكريم بابن عبدو القصيري الخلوتي صاحب الأسماء، أخبر أنه أخذ عنه حين مجيئه لزيارة القدس الشريف.

ومنهم الشيخ الرباني سيدي الشيخ حسن الكركي تقدم أنه أخذ عن سيدي الشيخ عمر وسيدي الشيخ عمر عن سيدي علوان وسيدي الشيخ علوان عن سيدي الشريف العارف الصمداني والعالم الرباني سيدي الشيخ علي بن ميمون المغربي قدس الله أسرارهم العزيز، وأعاد علي وعلى المسلمين من بركاتهم آمين.

ومنهم الشيخ النبيل خليفة المحب الشريف بدمشق المحروسة سيدي الشيخ عبد القادر ابن سوار رحمه الله تعالى، تفضل في حالة ابتداء دخول الفقير إلى هذا الطريق الشريف إلى محل الفقير/لـ578/ بدمشق المحروسة، فهنئنا للفقير بذلك. وعقد الأخوة مع الفقير وأجازه بالمحبي الشريف، وكان من جملة من صحبه من الإخوان الأعز الأخ الصالح المعروف بين الإخوان بالشيخ محمد القبان الصعيدي، صيرفي القلوب. وله من المكاشفات والأحوال شيء كثير، منها كان في بعض ما عرض له من المكاشفات يخبر بعض الناس بما وقع له من ابتداء أمره إلى ذلك الحين وإلى غير ذلك.

ومنهم المرحوم الأخ في الله تعالى سيدي الشيخ علي اللؤلؤي، وكان يشار له أنه من الأبدال بدمشق. وكان نفعه متعديا لكثير من الأنام.

¹ - سورة يونس - الآية 58.

وتقدم ذكره أيضا. ويقال إن الست زينب الكبرى بنت سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه هي التي كَنَتْهُ بأبي الفقراء. ومما حصل للفقير منها قدس الله تعالى سرها ونور ضريحها في بعض الزيارات، أن غلب على الفقير حالة نوم في النهار فتمدد الفقير تجاه بابها الداخل وتوجه بقلبه إليها، فبينما هو في حالة بين النوم واليقظة فإذا بها طالعة من محلها الشريف، ويدها الكريمة عمامة كبيرة تشبه عمامة العلماء، غير أن محل شكلتها باق، ولم يوضع في محله. وعليها حلتان حرير من المختم؛ الفوقانية ياقوتية بأكمام إلى خلف، والسفلى بيضاء، وهي تتهادى بين خادمتين، وكل واحدة منهما آخذة بيدها من تحت إبطها. ودفعت العمامة للفقير فلبسها. وكان ذلك في بدء دخول الفقير في الطريق. ومن المشهور عنها أن ما يُعطى أحد ولاية بأرض الشام إلا من بابها الشريف.

ومنهم الشيخ الجليل الرباني سيدي الحسيب النسيب الشيخ محمد الصمادي القادري والد سيدي الشيخ مسلم، رحمهما الله رحمة واسعة. وكان من أعيان المشايخ المشهورين في غالب الأوقات في الأحوال والكرامة. فمن بعض كراماته الظاهرة مع الفقير، حين توجه لزيارته في بعض الأعياد مع شيخ الإسلام ابن العم مفتي دمشق المحروسة الشيخ محمد العلمي رحمه الله تعالى، ومع فخر المدرسين شمس الدين الصمادي القدسي، ومع الأخ في الله تعالى الشيخ العلامة الشيخ محمد السروري وبعض المحبين رحم الله الجميع، فلما انتهى المجلس من عنده وصافحه السادات المذكورون، وتأخر الفقير لصغره عنهم لتقبيل يده الشريفة، فأخذ الفقير إلى صدره وضمه إليه، وجعل يقبل بين عيني الفقير من هنا ومن هناك، يفعل ذلك مرارا بتلهف وشوق. فتعجب الفقير من ذلك، حيث إن المشايخ المشار إليهم لم يفعل مع أحد منهم شيئا من ذلك. ولعله دعا للفقير بدعاء همهمة، ولم أفهمه منه. فقدس الله تعالى سره وسر آبائه وأبنائه وأتباعهم إلى يوم الدين، آمين.

ومنهم سيدي الشيخ الصالح العالم العلامة الشيخ تاج الدين بن داوود القرشي رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وذلك أن الفقير كان بأهله ببيت المقدس بمحلة المغاربة من مدة تزيد على خمس وعشرين سنة، ولعله في ختام الألف، والوقت كان مقاربا لأذان العصر، 579/ فإذا بباب منزل الفقير يدق، فنزل الفقير إلى الباب، فرأيت سيدي الشيخ

المذكور، ومعه نقيبہ الشيخ محيي ابن قاضي عصفور. فتلقاها الفقيه وطلع بهما لمحل جلوسه مع الإخوان. فإذا بالشيخ قدس الله تعالى سره رفع صوفا محبرا أخضر عن كتفيه،/لو580/ وألبسه للفقيه، وقال: عملت هذا لنفسي، فرأيت سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله تعالى سره العزيز، وكان الشيخ خليفة له في طريقته، وقال لي: ألبس هذا الصوف لفلان يعني الفقير، وها أنا فعلت ما أمرت به. فقرأ الفاتحة، ودعا بما ألهمه الله تعالى. ولعل أخذته العبرة عند ذلك. فجزاه الله أحسن الجزاء، إنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

ومنهم السيد الجليل والعارف النبيل الأخ في الله سبحانه وتعالى، الشيخ عبد القادر الشهير نسبه الكريم بابن قضيب البان. كان قدم لزيارة بيت المقدس مجردا ومعه أخوه سيدي الشيخ عثمان، ومعهما جماعة من الصالحين. وكان ذلك في التاريخ المذكور أو قريب منه، والله أعلم. فقدر الله تعالى بالاجتماع معه في بعض المرات بالمسجد الأقصى بالخلوة التي بقرب الأقصى العتيقة. وكان الشيخ المذكور أطال الله تعالى بقاءه لابسا صوفا لطيفا أهده له بعض المحبين، وكان على الفقير جبة صوف سوداء، فقال: يا أخي، تلبسني هذه، وتلبس مني هذا. فخلع الفقير الجبة وخلع الشيخ حفظه الله تعالى الصوف وألبسه للفقيه، ولبس من الفقير الجبة المذكورة. وكان أخي الفقير قبل ذلك. وفي هذا التاريخ أيضا قدم الشيخ الصالح الفاضل الكامل الشيخ موسى المصري الشعراوي لزيارة القدس الشريف، وأخي الفقير، واجتمع مع الفقير ببلد الله الحرام، وهو الآن ببجيلة حفظه الله.

ومنهم العارف الرباني الشيخ النبيل القدوة الجليل الشيخ أحمد بن سليمان. كان من أجلاء المشايخ بدمشق المحروسة، رحمه الله تعالى وقدس روحه. أخبرني الفقير في مجلسه بزأوته أن بينه وبين سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه - أعاد الله تعالى علي وعلى المسلمين من بركاته أمين - أربعة أيد في المصافحة، وأن يده الخامسة. وحصلت المصافحة معه مرارا، والله الحمد رحمه الله تعالى.

ومنهم سيدي الشيخ محمد بن عبد الهادي نسيب الشيخ عبد القادر بن سوار، وكان من كبار الصالحين، وأجل أرباب التمكين، حصلت معه الأخوة والمحبة الأكيدة، والإشارات بالبشارات العديدة. وكان قادريا رحمه الله تعالى وسلفه، وجعل البركة في ذريته.

ومنهم شيخ السادات الغراء بدمشق المحروسة، وكان من المعمرين بالتقوى والدين سيدي الشيخ حسن الصلتي. أخبر الفقير ومن كان في مجلسه من السادة المشايخ بجامع كريم الدين بالقرب من باب الله بدمشق المحروسة أنه اجتمع في حال شبابه لما زار بيت المقدس سيدي الشيخ أبي العون الغزي، المدفون بمحروسة الرملة، وأنه لف له المنزر على رأسه، وربما أن الشيخ حسن رحمه الله تعالى جاوز المائة والله أعلم.

ومنهم سيدي الشيخ علي بن سيدي الشيخ عمر العقيقي، وربما أنه وصل إلى هذا السن أو أكثر.

ومنهم سيدي الشيخ نجم الدين، لو 581/ كان إماما بقلعة دمشق المحروسة، ولعله عمر نحو مما تقدم. وكان يخبر للإخوان والفقير، إذ ذاك كان صغيرا، أنه كان في صغره يخدم سيدي الشيخ العارف الصمداني سيدي عبد القادر بن حبيب الصفدي قدس الله تعالى سرهما العزيز.

ومنهم سيدي الشيخ العارف بالله تعالى أبي البركات البزوري. تخاوى مع الفقير بديكانه بسوق البزورية بدمشق المحمية. ورأى الفقير في المنام أنه قطب الشام، وكان مشهورا بالكرامات والأحوال قدس الله تعالى سره العزيز. ولعله كان في السن نحو ممن تقدم ذكرهم. وكان من أصحاب سيدي الشيخ محمد بن عراق، قدس الله تعالى سرهما العزيز.

وبالجملة، فَنَعَمْ الله تعالى على هذا العبد الفقير في هذا الطريق المنير لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى. ولكن شيخ القلب في الحقيقة سيدي الشيخ حسن والد سيدي الشيخ علي القطناني، وهو الذي لف المنزر للفقير، وألبسني عباءته التي كانت على رأسه الشريف من مدة تزيد على خمسة عشرة سنة، ونصب لي الأعلام. ورسوله الذي كان في اليقظة سيدي الشيخ موسى المدفون بشاطئ البحر بمحروسة صيدا، قدس الله تعالى سرهما وأعلى درجاتهما لديه، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم. وتنتهي طريقتهما إلى سيدي الشيخ الكبير ذي الأحوال الشهيرة، والبركات الكثيرة، جدهما المعروف بالشيخ حسن الراعي قدس الله تعالى أرواحهم. ويقال: إنه بينما هو ذات يوم في المرعى وإذا بثلاثة من السادات لنحوه تسعى، فإذا بهم سيدي القطب الرباني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني والقطب الراعي سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي،

والقطب العارف بربه القادر سيدي الشيخ عدي بن مسافر. فأتاهم بشيء من حليب الغنم، ووضع بين أيديهم بفضل مولى المنعم. وكان له للخير هناك داعي، وكان قريبا من سيدي الشيخ أحمد بن الرفاعي. فأخذ عليه العهد وثقلوا له في اللبن. فجاء ببركاتهم من الله تعالى بجزيل الفضل والمنى. أعاد الله تعالى علي من بركاتهم والمسلمين أجمعين إلى يوم الدين، آمين.

فصل في ذكر بعض السادة المشايخ الكرام الأئمة العلماء الأعلام الذين أخذت¹ عنهم ما تيسر من العلم الشريف وانتفعت من فوائدهم الجليلة، تبركا بذكرهم، وأيضا جاها لجليل قدرهم، واستجلابا للدعاء لهم رحمهم الله تعالى، أجمعين آمين.

[فأولهم سيدي وشيخي والذي رحمه الله تعالى أجمعين آمين]
2. /لو582/ أخذت عنه كثيرا من الفقه، قراءة وسماعا وكشفا للفتاوى، ومطالعة لدروس من كان يقرأ عليه، وذلك نحو من خمسة عشر درسا في علوم متفرقة، كل بحسب مطلبه. وأخذت عنه الحديث الشريف، وقرأت وسمعت عليه كثيرا من كتب النحو، وشيئا من الصرف والأصول وغير ذلك من العلوم.

ومنهم شيخ الإسلام العالم العامل الورع الزاهد المحقق الكامل الشيخ شمس الدين محمد الخريشي الحنبلي المقدسي. قرأت وسمعت عليه كتب كثيرة في النحو وغيره، ولازمته مدة مديدة، أحضر دروس الإخوان في النحو، وفي كثير منها يفيدنا من علوم كثيرة. وحصل لي منه نفع كثير رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ومنهم شيخ الإسلام مفتي دمشق الشام ابن عم والدي وخالي سيدي الشيخ شمس الدين محمد العلمي الحنفي. خدمته في قراءة بعض كتب النحو من شروح ألفية ابن مالك رحمه الله تعالى، وفي غالب مختصر المعاني والبيان. وكنت أسمع كثيرا من دروسه وأبحاثه المفيدة من غالب العلوم بالتحريير وحسن التقرير رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخ الإسلام والمحدثين بدمشق الشام الشيخ شمس الدين محمد ابن داود القدسي. أخذت عنه شيئا كثيرا من النحو من شرح مُلأ جامي رحمه الله تعالى على الكافية، ومن الحديث ومن المعاني والبيان، بقراءة غالب "عقود الجمان"³، وغير ذلك من دروسه التي كان يبدأ فيها من آخر الليل إلى أواخر النهار، مشحونة بالفوائد الجمّة، والفوائد المهمة رحمه الله تعالى.

1- أي الشيخ محمد العلمي الذي يترجم له حفيده عمر العلمي.

2- ما بين [] مكررة في (ح م).

3- "عقود الجمان في المعاني والبيان" لجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي (ت 691هـ). كشف الظنون (ج 2 ص 1154).

ومنهم شيخ الإسلام مفتي الأنام إمام العلوم الخريز ذو البيان والتحرير، الشيخ تقي الدين بن غالي الحنبلي، قرأت عليه في النحو "مغني اللبيب" لابن هشام بطريقته قراءة التحقيق. مع حضور دروس له كثيرة بمدينة بعلبك. وكان يفتي بها على المذاهب الأربع قبل أن يلي الفتيا بها سيدي الشيخ الوالد رحمهما الله تعالى. ومع ذلك كان بها جماعة من العلماء الأعلام، لا سيما من الشافعية والحنابلة.

ومنهم الشيخ الحافظ العلامة الحبر الخريز الفهامة سيدي الشيخ علي المغربي المالكي، صاحب الأخلاق المرضية والأيدي السخية. قرأت عليه غالب "ألفية ابن مالك" حفظا وحلا، مع غيرها من العلوم والقراءات. توفي بالقدس الشريف بباب الرحمة رحمة الله تعالى عليه.

ومنهم شياخي الذي قرأت عليه القرآن الشريف سيدي الشيخ حسن الشهير بابن حسين. حفظت عليه نحو من ربع كتاب الله العزيز، ونحو ربع كتاب "الكنز" و"ملحمة الإعراب" ¹لو583/ و"الأجرومية" ². ولعل كان ذلك وسن الفقير ثمان سنين أو تسع، والله سبحانه وتعالى أعلم، رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين والمسلمات أجمعين.

والقصد بذكرهم التبرك والترحم عليهم، والحمد لله رب العالمين.

¹- منظومة في النحو لأبي محمد قاسم بن علي الحريري (ت 516هـ). كشف الظنون (ج5 ص1817).

²- لمحمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله الأجرومي النحوي (ت 723هـ).

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

ص 248	البقرة 285	أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه.....
ص 180	البقرة 17	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً...
ص 253	البقرة 222	ولا تقربوهن حتى يطهرن
ص 253	البقرة 221	ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ص 240	البقرة 172	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ص 337-333	آل عمران 74	قل إن الفضل بيد الله
ص 247	آل عمران 169	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً.....
ص 247	النساء 69	فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين
ص 251	النساء 164	وكلم الله موسى تكليماً
ص 239	النساء 110	ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله
ص 270	المائدة 35	اتقوا الله وابتهغوا إليه الوسيلة
ص 250	الأنعام 125	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
ص 177	الأنعام 112	يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً
ص 252	الأعراف 157	النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة
ص 170	الأعراف 118	وبطل ما كانوا يعملون
ص 153	التوبة 40	إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا
ص 151	التوبة 40	ثاني اثنين إذ هما بالغار
ص 246	التوبة 25	وضاقت بهم الأرض بما رحبت
ص 323	يونس 62	ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ص 338	يونس 58	قل بفضل الله وبرحمته
ص 226	يونس 64	لهم البشرى في الحياة الدنيا
ص 250	يونس 99	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً
ص 232	يوسف 58	فعرّفهم وهم له منكرون
ص 176	الكهف 62	أتنا غداً نلحقهم فمهلكهم
ص 197-188	مريم 98	تسمع لهم ركزا
ص 250	الأنبياء 23	لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
ص 206	الحج 78	فنعم المولى ونعم النصير

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

ص 240	المؤمنون 51	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
ص 252	النور 16	ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ...
ص 250	النور 21	ولولا فضل الله عليهم ...
ص 243	الشعراء 128	أتنبون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
ص 303	الشعراء 88	يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتلا الله بقلب سليم
ص 250	السجدة 13	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ص 284	الأحزاب 47	وكان أمر الله مفعولا
ص 249	سبأ 17	جزيناهم بما كفروا
ص 214	الجاثية 24	قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحیی
ص 249	الأحقاف 14	جزاء بما كانوا يعملون
ص 332	الذاريات 56	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون
ص 248	النجم 2	ما ضل صاحبكم وما غوى
ص 249	القمر 35	كذلك نجزي من شكر
ص 263	الحشر 21	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
ص 247	الصف 8	يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله
ص 203	الملك 3	فارجع البصر هل ترى من فطور
ص 175	المرسلات 42	وفواكه مما يشتهون
ص 188	الأعلى 5	غذاء أحوى
ص 276	العلق 19	واسجد واقترب

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث
220	أتدرون ما هذا؟ ...
248	أتيت على موسى ليلة ...
294	إذا أحب الله عبداً أحبه في خلقه
259	إذا أمن الإمام فأمنوا ...
262	إذا بلغ عبدي أربعين سنة عافيته من البلاء الثلاث...
260	إذا خرج الحاج من بيته ...
227	أعطيت الشفاعة ...
270	أعوذ بعفوك من عقابك ...
211	أكرموا المهاجرين الأولين ...
226	إن الله استقبل بي الشام ...
240	إن الله تبارك وتعالى طيب ...
168	إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين
247	إن لله ملائكة سياحين في الأرض ...
212	إن لم تجدني فأت أبا بكر...
239	إن منكم قوماً يتعبدون ...
248	الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ...
238	إنك مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا يوحى إليك
235	إنه كان يبغض عثمان ...
249	إني لخاتم النبيئين وإن آدم سجد لي في طينته
212	إنني بكتف حتى أكتب لأبي بكر ...
229	أيكم أصبح اليوم صائماً؟ ...
150	أيه الناس قد أصبتم خيراً.....
214	حرم الله علينا بكت من خشية الله على النار
183	حرم عضاة وج
223	خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع
233	ذنبان لا يغفران وتعجل لصاحبهما العقوبة ...

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

236	الرطب تأكلنه وتهديه ...
261	سأخبرك بما هو عوض من ذلك ...
270	سجد لك سوادي وخيالي ...
270	سجد وجهي للذي خلقه ...
251	سيكون قوم يقولون لا قدر ...
240	شر البرية عند الله منزلة ...
133	شهود رمضان في مكة يزيد في الإيمان
263	ضع يدك على رأسك فإن جبريل ...
238	عرضت علي أجور أمتي ...
241	عليكم بالسنا والسنوات ...
221	عليكم بهذه الحبة السوداء ...
210-133	عمرة في رمضان تعدل حجة
168	فانطلقت مهموما ولم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ...
237	فناء أمتي بالطعن والطاعون ...
142	فيما بين زمزم والمقام هنا تسكب العبرات
249	كنت وآدم منجدل تحت طينته ...
146	لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت أن يصلي في أي وقت شاء
227	لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق
223	لا يزداد الأمر إلا شدة ...
258	لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر له ...
229	لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله
270	اللهم اغفر لي ذنبي كله ...
211	اللهم ألف بين قلوبنا ...
317	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ...
250	ليس أحدكم ينجيه عمله ...
260	ليلة القدر في العشر البواقي ...
226	ما سألني عنها أحد قبلك
248	ما من أحد يسلم علي ...

239	ما من عبد أذنب ذنبا ...
262	ما من عبيدين متحابين في الله ...
247	ما من نبي يموت فيقوم من قبره ...
221	ما هذا يا بلال؟ ...
240	ما يبكيك يا معاد؟ ...
222	ماذا تذكرون؟ ماذا تذكرون؟ ...
234	الملحمة العظمى وفتح القسطنطينة ...
228	من أذهب الله عز وجل كريمته كان ثوابه على الله ...
222	من أشراط الساعة ...
225	من أعطي حظه من الرفق ...
262	من أكل طعاما ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني ...
260	من أهل بحجة أو عمرة ...
241	من توضأ كما أمر وصلى كما أمر ...
260	من جاء حاجا يريد وجه الله ...
236	من حسن عبادة المرء حسن ظنه ...
214	من حفظني في أصحابي ...
235	من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ...
215	من ربى صبيا حتى يقول لا إله إلا الله ...
262	من سعى لأخيه المؤمن في حاجة ...
258	من سمع المؤذن فقال أشهد أن لا إله إلا الله ...
215	من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا ...
260	من صام يوم عرفة غفر له ...
260	من صلى خلف المقام ركعتين ...
259	من صلى سبحة الضحى ركعتين ...
248	من صلى علي عند قبري سمعته ...
261	من عدد في البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر له ...
292	من عرف نفسه فقد عرف ربه ...
261	من علم ابنا له القرآن ...
261	من قاد مكفوفا أربعين خطوة ...

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

260	من قام رمضان إيماناً واحتساباً ...
228	من قبض يتيماً من بين المسلمين ...
259	من قرأ إذا سلم يوم الجمعة ...
261	من قرأ سورة الحشر غفر له ...
228	من كان ذا وصلة لأخيه المسلم ...
213	من كنت مولاه فعلي مولاه ...
231	من مكارم الأخلاق التزاور في الله ...
204	منهومان لا يشبعان ...
230	المؤمن واهي راقع ...
168	النظر إلى البيت عبادة
234	نعم القوم الأزد نقية قلوبهم ...
220	هذا كتاب من رب العالمين ...
231	هذان سيدا كهول الجنة
234	هل بقي من والديك أحد؟ ...
237	هل قرأ معي منكم أحد أنفا؟ ...
214	هنيئاً للمتحابين في الله جنات عدن
233	والذي نفسي بيده ليازر الإيمان ...
213	يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك ...
230	يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن به ...
237	يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ...
258	يا عباس يا عماء ألا أعطيك ألا أمنحك ...
236	يا عثمان هذا جبريل عليه السلام ...
231 - 223	يصيح صائح يوم القيامة ...
210	يكون قوم في آخر الزمان يخضبون بهذا السواد ...

فهرس الأعلام البشرية

اسم العلم	رقم الصفحات
إبراهيم اللقائي	285
إبراهيم المتبولي	298
ابن القصار	143
ابن خلكان	154
ابن فرحون	166
ابن قلاقس (الشاعر)	154
ابن كثير (المقري)	180
ابن ماهك الفاسي	173
ابن هشام (صاحب المغني اللبيب)	345
أبو إسحاق إبراهيم الميموني الشافعي	193
أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون	149-150
أبو البركات البزوري	342
أبو الحسن الطبري	193
أبو الحسن النفالي	314
أبو الريش	338
أبو العباس المقري (صاحب النفح)	290-291-292-293
أبو العون الغزي	342
أبو القاسم القشيري	244
أبو بكر الصديق	151
أبو بكر بن يوسف السكتاتي المراكشي	319
أبو حفص عمر بن عبد الصمد	318
أبو حنيفة	296
أبو زيان (حفيد أحمد ابن يوسف الملياني)	283
أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي	181-197-303-324-330-331
أبو عبد الرحمان النسائي	304
أبو علي الحسن بن علي الدقاق	245
أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الله الواعظ الأندلسي	251
أبو مهدي (وأبو محمد) عيسى الثعالبي	133-139-142-143-144-147- 149-150-154-156-169-189- 192-194-198-203-209-257
أحمد البدوي	336
أحمد العجين الطرابلسي	140
أحمد القصري (الملقب بالسبع)	198
أحمد بن المبارك الملحق بالتواتي	192

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

أحمد بن سليمان	341
أحمد بن عبدوا لقصيري الخلوتي	338
إسماعيل النابلسي الحنبلي	289
الأشعري (أبو الحسن)	244-249-263
أم سلمة (أم المؤمنين)	183
الأوزاعي (الإمام)	297
البلوي (أبو الحجاج يوسف المالقي)	300
تاج الدين الأنصاري المالكي	269
تاج الدين المالكي	193
تاج الدين بن داود القرشي	340
تاج الدين بن عثمان النقشبندي	157
تاج الدين عبد الوهاب السبكي	263-264
تقي الدين الفاسي	171
تقي الدين بن غالي الحنبلي	345
جعفر ابن أبي طالب	190
الجلال السيوطي	149-150
الجنبلاتي	300
الجندي المفضل بن محمد	173
حجازي (محمد بن عبد الله الأكراري)	180
حسن ابن حسين	345
حسن ابن زيد (السلطان)	179
حسن الراعي القطناني	323-324-326-327-337-342
حسن الصلتي	341
حسن العجمي	144-201
حسن الكركي	334-339
حسن المغربي (كبير حجاج أهل غزة)	285-286-287-288
الحطاب (الإمام)	143-171
الحكيم الترميذي (الحافظ)	269
حواء (أمناء)	154-156
خليل بن قزمون القدسي	335
خير الدين الرملي	299
داود عليه السلام	312
رابعة العدوية	311
زبيدة بنت جعفر بن منصور	173
زفر بن الهديل العنبري	318
الزنجبيل (الشيخ)	155
زيد (الأمير)	162
زيد (السلطان)	140
زين العابدين الطبري الحسيني	189-193

300	سالم بن محمد السنهوري
182-194	سعيد المقرئ (حفيد محمد المقرئ)
191	سعيد بن إبراهيم قدورة
179	سلطان المصري
298	سلمان الفارسي
134	سليم (أغا)
141	سليمان (أغا)
309-312	سليمان عليه السلام
292	السنوسي محمد بن يوسف
145	الشافعي (الإمام)
245	شاهر شاه ظفرلنك السلجوقي (الملك)
311	شداد بن أوس
304	الشعراني (صاحب الطبقات)
340	شمس الدين الصمادي القدسي
344	شمس الدين محمد الخرشي
344	شمس الدين محمد بن داود القدسي
180	الشمس العلقمي
316	شهاب الدين الحنفي المصري
193-266	شهاب الدين الخفاجي الحنفي
304	صالح (نبي الله)
179	الصغير بن المنيار التادلي
298	صلاح الدين بن أيوب
184-154-257-270	عائشة (أم المؤمنين)
311	عبادة بن الصامت
135	عبد الرحمان
291-292	عبد الرحمان ابن الغصين
191	عبد الرحمان الثعالبي
151-176	عبد الرحمان المكناسي
330	عبد الرحمان بن أحمد الدقاق
304	عبد الرحمان بن عوف
162	عبد الرحيم البرعي
193	عبد العزيز الزمزمي
182	عبد العزيز بن الحسن الحفصوي
175-179-181	عبد العزيز بن حسن بن عيسى التواتي
217	عبد العظيم المنذري
156	عبد القادر (الشافعي)
289-290-292-294-295-307	عبد القادر ابن الغصين
323-335-336-341-343	عبد القادر الكيلاني
339	عبد القادر بن سوار

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

341	عبد القادر بن قضيب البان
138	عبد الكريم
183	عبد الله (ولد النبي محمد ص)
180-181	عبد الله بن عباس (ترجمان القرآن)
166	عبد الله بن عمر (ابن الخطاب)
179	عبد الواحد بن عاشر
298	عبد الوهاب الشعراني
281	عبيد بن الحارث
284	العجين الطرابلسي
343-323	عدي بن مسافر
334	علوان الحموي
330	علي الحوراني
163	علي العنابي التونسي
330	علي الكردي
335-339	علي اللؤلؤي
345	علي المغربي المالكي
193 -167	علي بن الجمال الشافعي
191	علي بن عبد الواحد الأنصاري الفيلاي
334	علي بن عليل الشهير بابن عليم
342	علي بن عمر العقيمي
334-339	علي بن ميمون
334	عمر العقيلي الدمشقي
310-321-325-329-332-340	عمر العلمي
175	عمر المدني
295	عمر المشرفي
142	عمر بن الخطاب
135	عنزة بن أسد
309-310	عيسى عليه السلام
303	الفضل بن العباس
321	قاسم إمام
329	قاسم بن عبد المعطي
180	قالون (المقرئ)
144	قايت باي السلطان
193	القشاشي
268	لسان الدين ابن الخطيب
133	مالك (الإمام)
171	المحب الطبري
162	محسن (أبو زيد الأمير)
303	محمد الأشعري

340	محمد السروري
340	محمد الصمداتي القادري
320-321- 310-312-318-319 326-331	محمد العلمي
144	محمد الغدامسي
339	محمد القبان الصعدي
306	محمد الميداوي
314	محمد النفالي
299	محمد بن أبي الوفاء الأشعري
318	محمد بن الحسن بن قرقد الشيباني
183	محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب
300	محمد بن تاج الدين الرملي
244	محمد بن رشيد السني
341	محمد بن عبد الهادي
193-194	محمد بن علاء الدين البابلي المصري
336	محمد عين
157	محمد مخبر
321-328-329	محمود السالمي
185-186	محيي الدين بن عربي
311	مريم (عليها السلام)
340	مسلم بن محمد الصمداتي
156	مصطفى الحنفي
304	المقداد بن أسود
319	المقري
135-144-280	الملا إبراهيم
338-342	موسى (الشيخ)
312	موسى عليه السلام
297	هاشم بن عبد المطلب
305	الواقدي (أبو عبد الله)
171	الواقدي السهمي
329	يحيى بن شيبانة
192	يوسف باشا (والي الجزائر)
312	يونس بن متى

فهرس الأماكن

الصفحات	المكان
151	أبو قيس
167	الأحساء
282	الأزلم

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

150	الأزهر
293	الإسكندرية
282	إصطبل عنتر
298-305-306-314	اصطنبول
142-283	إفريقية
282	أكرى
179	أوكرت
142	باب إبراهيم
280	باب الشامي
139-144	باب الصفا
142-149	باب حزورة
312	باب حطة (القدس)
144	باب علي
137-138-281	بدر
138-283-288	برقة
138	البزوة
192	بسكرة
187	بطن محسر
334-345	بعلبك
192	بلاد الزاب
312	بيت لحم
282	بئر الدويدر
288	بيرين
154-171-172	التنعيم
174	تهامة
179	تيجورارن
138	ثنية هرشا
304	الجامع الأبيض
334	جامع المغاربة ببيت المقدس
192	جبال زواوة
153-174	جبل أكرى
139	جبل الحزورة
168	جبل حراء
310	جبل طور
174	جبل نجد
133-139-141-154-155-157-162-163-165	جدة
190-191	الجزائر
163-171-172-173	الجعرانة
156	الحبشة

174-175-195-199	الحجاز
155	حدة (القرية)
155-163	الحديبية
280	الحديدة
135	الحرّة الغربيّة
282	الحضيرة
282	الحوراء
298	خان أزود
306-319	خان يونس
138	خليص
334	خمير (قرية)
151	الخدمة
139	دار الندوة
283	دار أم السلطان
293-305-339-334-335-337-341	دمشق
319	دمياط
281	الدهناء
135-280	ذو الخليفة
138	رابع
288	الرابية
139-143-144-151	رباط الموقف
133-157-288	الرجبية
305-306-316-342 -297-298-300-303-304	الرملة
136-280	الروحاء
174-288-290-293-313	الشام
167	الشبيكة
282	شق العجوز
144	الصفاء
137-281	الصفراء
338-342	صيدا
133-151-153-163-171-173-174-175-176-177-179-181-182-185	الطائف
139-155	طوى
283	ظهر الحمار
138-283-288	الظهران
338-342	عذراء (قرية)
167	العراق
173-317	عرفة
138-283-288	عسفان

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

298	عسقلان
284-285-286-289	العقبة
186	عقبة اكدا
167	العيدروس
138-287-288	العين
311	عين سلوان
283	عيون القصب
151	غار جبل ثور
284-285-288-289-290-295-296-297-298-316-319	غزة
288	الفارح
179	فاس
280	الفريش
303	فلسطين
149-150-179-180-194-198	القاهرة
306-307	قبة الصخرة
311	قبر رابعة العدوية
311	قبر شداد بن أوس
311	قبر عبادة بن الصامت
311	قبر مريم عليها السلام
312	قبر يونس بن متى
284-296-298-299-301-306-311-312-314-316-329-334	القدس
138	قديد
175-185	قرن الثعالب
192	قسنطينة
147	الكعبة
282	كفافة
304	اللد
187	المأزمين
187	مجمع
166-172	المحصب
133-134-135-139-142-144-157-166-176-209-280-304	المدينة
314-315-318	مدينة الخليل
173	مزدلفة
138	مستيرة
175-183	المسجد الأعظم بالطائف
134-298-307-308-309	المسجد الأقصى

139-142-143-144-145-146-147-148-151-162-167-178	المسجد الحرام
187-188	مسجد الخيف
137-280	مسجد الغزاة
138	مسجد الغمامة
167	مشهد السيد
157-174-193-199-280-284-286-290-291-292-293-314-316-319	مصر
284	معان
283	مغارة شعيب
157-179-194-293	المغرب
147	مقام إبراهيم
138-139-140-143-144-145-146-150-- 133-134-151-152-153-154-155-162-163-164-165-166-167-168-169-171-172-173-177-181-183-188-189-208-293	مكة
284	الملتزيم
281	المنهل
282	منهل النبط
173-187	منى
283	المويلح
137	النازلة
175-185	نجد
286	النقب
187	نمرة
245	نيسابور
174-184-292	واد نعمان الأرك
281	وادي النار
309-310-311	وادي جهنم
282	الوجه
133	اليمن
281	ينبع

فهرس الأبيات الشعرية

القفية	الشاعر	البحر	الصفحة	عدد الأبيات
إسعاده	أبو سالم	الكامل	208	5
أنب	أبو سالم	الطويل	302	13
الإيقان	تاج الدين السبكي	الكامل	264	45
باهر	-----	مجزوء الرجز	289	2
تكمده	-----	الطويل	242	1
الثعالبي	أبو سالم	الطويل	195	25
حلاهما	أبو سالم	الطويل	134	6
الدنيا	أبو سالم	الطويل	267	5
الثنائي	أبو عمران موسى	الكامل	254	53
صرما	أبو بكر عياش	البسيط	233	2
فندا	-----	البسيط	301	2
قلبي	-----	البسيط	338	1
قنص	أبو سالم	الطويل	320	14
الكواعب	أبو سالم	الطويل	189	17
لاحقها	رجل من الخوارج	الكامل	243	3
المتأذب	علي ابن أبي طالب	الكامل	224	15
متكدر	أبو سالم	الطويل	157	2
مستنقره	أبو سالم	الطويل	315	26
مقيم	-----	مجزور الرجز	295	4
مكاني	أبو سالم	الكامل	294	8
المناصب	أبو مهدي الثعالبي	الطويل	197	11
مولا هم	أبو سالم	المتقارب	194	2
النجبا	-----	الرجز	302	2
والأدبا	عبد الملك الأصمعي	البسيط	216	10
وقبا	محمد مخبر	البسيط	158	76
وكفى	أبو سالم	الرمل	157	4
يتقدرا	-----	الطويل	242	1
يهدى	أبو سالم	الطويل	206	23

فهرس الكتب الواردة في المتن المحقق

الصفحات	صاحبه	الكتاب
150-189	أبو سالم العياشي	إتحاف الأخلاء بأسانيد المشايخ الأخلاء
345	أبو عبد الله الأجرومي	الأجرومية
318	محيي الدين النووي	الأربعين النووية
209	تقي الدين الفاسي	الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً
292	أحمد المقرئ	إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة
150-189	أبو سالم العياشي	اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر
300	أبو الحجاج البلوي	ألف با في المحاضرات والألغاز
345	ابن مالك	الألفية
169	ابن رشد الحفيد	بداية المجتهد ونهاية المقتصد
267	الترمذي	جامع
276	الحافظ ابن حجر	الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة
209-217	أبو الحسن الخلعي	الخلعيات
267	ابن أبي الدنيا	الدعاء
269	الحكيم الترمذي	الدعاء في سجدات القرآن
267	ابن ماجه	سنن
267	أبو داود	السنن
267-304	النسائي	سنن
260	القاضي عياض	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
171	تقي الدين الفاسي	شفاء الغرام تاريخ بلد الله الحرام
244	أبو القاسم القشيري	شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة
209	عيسى الترمذي	الشمائل النبوية والخصال المصطفوية
318-319	البخاري	الصحيح
267	مسلم	الصحيح
292	محمد السنوسي	العقيدة الصغرى
143	ابن القصار	عيون الأدلة
305	الواقدي	فتوح الشام
186	محيي الدين ابن عربي	الفتوحات المكية
268	الفيروز آبادي	القاموس المحيط
292		القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه
191-200	عيسى الثعالبي	كنز الرواة المجموع من درر المجاز وياقوت المسموع
143	سحنون	المدونة الكبرى
292	محيي الدين بن عربي	المسامرات
259	ابن وهب	المصنف
332	محمد العلمي	معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير إلى الطريق
209	الطبراني	المعجم الصغير

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

345	ابن هشام	مغني اللبيب
244	ابن رشيد السبتي	ملء العيبة بما جمع من طول الغيبة بمكة وطيبة
345	أبو محمد قاسم	ملحمة الإعراب
268	الخطاب	المناسك
294	ابن الحاج الضرير	المنظومة في العقائد
318-319	شهاب الدين القسطلاني	المواهب اللدنية بالمنح المحمدية
268	ابن الخطيب	نفح الطيب في أخبار الأندلس الرطيب
269	الحكيم الترمذي	نوادير الأصول

فهرس المخطوطات والمصادر والمراجع والمجلات

القرآن الكريم برواية ورش.

1- المخطوطات:

- 1 - إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء لأبي سالم العياشي:
- ضمن نسخة ماء الموائد (ح م) رقم 182.
- ضمن نسخة ماء الموائد (خ ع) رقم 406.
- 2 - الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش لأبي محمد عبد الله بن عمر بن عبد الكريم بن أبي بكر العياشي: (خ ع) رقم 1433 د.
- 3 - البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلانية لأبي الربيع سليمان بن محمد الحوات: (خ ع) رقم 1454 د.
- 4 - الثغر الباسم في جملة كلام أبي سالم لمحمد بن حمزة بن أبي سالم العياشي: (خ ع) رقم 304 ك.
- 5 - جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر لمحمد بن أحمد ابن المسناوي الدلاني: (خ ع) رقم 579 ج.
- 6 - ماء الموائد نسخة بقلم مؤلفها أبي سالم العياشي: (ح م) رقم 182.
- 7 - ماء الموائد: (خ م) رقم 156.
- " " " " " " " " " " رقم 2715 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 478 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 629 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 1335 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 6141 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 5108 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 5135 (خ م)
- " " " " " " " " " " رقم 4828 (خ م)
- 8 - ماء الموائد: (خ ع) رقم 406 ق.
- " " " " " " " " " " رقم 5227 (خ ع) ك.
- " " " " " " " " " " رقم 583 (خ ع) ك.
- " " " " " " " " " " رقم 227 (خ ع) ك.
- " " " " " " " " " " رقم 3576 (خ ع) د.
- " " " " " " " " " " رقم 3743 (خ ع) د.
- " " " " " " " " " " رقم 2966 (خ ع) د.
- " " " " " " " " " " رقم 2871 (خ ع) د.
- " " " " " " " " " " رقم 84 (خ ع) ج.
- 9 - هداية المالك العلامة إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه السلام للهشتوكي (خ ع) رقم 190 ق.

2 - المصادر والمراجع:

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

1. أبو سالم العياشي المتصوف الأديب لعبد الله بنصر علوي منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1996م.
2. إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس لعبد الرحمان بن محمد العلوي المكناسي ابن زيدان. تحقيق عبد الهادي التازي. ط 2 - 1990م.
3. إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد. تحقيق وتقديم فهيم محمد الشلتوت. مكتبة الخانجي للطباعة والنشر - دار الجيل للطباعة القاهرة.
4. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء لمحمد الخصري. تح وتع عبد الغني نكه مي. دار الكتاب النفيس ط 1 1411هـ.
5. الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 2 - 1973م.
6. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي. دار المعرفة - بيروت - لبنان.
7. أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني لحسن الشاهدي. دار عكاظ - 1990م - الرباط.
8. أدب الرحلة عند العرب لحسيني محمد حسين. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - ط 2 - 1983م.
9. أدب الرحلة والتواصل الحضاري. سلسلة ندوات رقم 5. جامعة المولى إسماعيل - مكناس - 1993.
10. أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي لأحمد أبو سعد. دار الشرق الجديد - بيروت - ط 1 - 1961م.
11. أدب الفقهاء لعبد الله كنون - دار الكتاب اللبناني - بيروت.
12. الأدب المغربي لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق عفيفي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - 1960م.
13. أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقري. صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة.
14. الاستبصار في عجائب الأمصار. وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب لكاتب مراكشي من كتاب ق 7هـ. نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد - دار النشر المغربية - الدار البيضاء - 1985.
15. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري. تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب - 1956م - البيضاء.
16. أطوار العلاقات المغربية العثمانية لإبراهيم شحاتة حسن. قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510م - 1947م) الإسكندرية - 1981م.
17. الأعلام لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين - بيروت لبنان - ط 5 - 1980م.
18. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم. المطبعة الملكية - الرباط - 1975م.
19. أعلام الجغرافيين العرب لعبد الرحمان حميدة. دار الفكر - دمشق - ط 1 - 1984م.
20. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار الثقافة - بيروت - ط 5 - 1981م.
21. اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر لأبي سالم العياشي. تحقيق ودراسة نفيسة الذهبي. منشورات كلية الآداب - الرباط - ط 1 - 1996م.
22. النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر في أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد الطيب القادري. دراسة وتحقيق هاشم العلوي القاسمي. دار الآفاق - بيروت - ط 1 - 1981م.
23. أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب لأحمد بن محمد المكناسي من القرن العاشر الهجري إلى النصف الأول من القرن الحالي. مطبعة المهديّة - تطوان - 1963م.

د. خالد سقاط

24. إيلغ قديما وحديثا لمحمد المختار السوسي. محمد بن عبد الله الروداني. المطبعة الملكية - 1966م.

ب

25. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي. مكتبة المعارف - بيروت - ط 6 - 1985م.
26. البيان والتبيين للجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي مصر - مكتبة المتن - بغداد - ط 2 - 1960.

ت

27. تاج المفروق في تحلية علماء المشرق لخالد بن عيسى البلوي. تحقيق وتقديم حسن السائح. فضالة - المحمدية.
28. تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة.
29. تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان. دار المعارف - مصر.
30. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام لشمس الدين الذهبي. تحقيق جماعة. مؤسسة الرسالة - ط 1 - 1988.
31. تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1979م.
32. تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الفكر - بيروت - 1979م.
33. تاريخ الدولة العثمانية لروبير مانتريان. ترجمة البشير السباعي. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - ط 1 - 1993م.
34. تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م ليونان محمد لبيب ومحمد مزين. دار النشر المغربية - الدار البيضاء - 1982م.
35. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك للقاضي عياض السبتي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
36. التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لأبي يعقوب يوسف التادلي المعروف بابن الزيات. تحقيق أحمد التوفيق. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط - 1984م.
37. التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد. تقديم وتحقيق محمد بنشريف. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - ط 2 - 1982م.
38. التعريفات للجرجاني. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الغرب العربي - لبنان - ط 2 - 1992.
39. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. دار المعارف النظامية - الهند 1425هـ.
40. التيسير في أحكام التيسير لأحمد سعيد المجيلدي. تقديم موسى إقبال - الجزائر - 1971م.

ج

41. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير حسن الدين السيوطي. دار الفكر - بيروت - ط 1 - 1981م.

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

42. الجغرافيا عند المسلمين لجمال الفندي. دار الكتاب اللبناني. ومكتبة المدرسة - بيروت - ط 1 - 1982م.
43. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد ابن القاضي. دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط - 1973م.

ح

44. الحركة العياشبية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17 لعبد اللطيف الشاذلي. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط - أطروحات ورسائل 10 - ط 1 - 1982م.
45. الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لمحمد حجي. مطبعة فضالة - المحمدية - 1988م.
46. الحكم لابن عطاء الله السكندري. تقديم وتحقيق أحمد عز الدين خلف الله. المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.
47. الحلة السيرة لابن الأبار. تحقيق حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر - ط 1 - 1963.
48. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد الأصفهاني. المكتبة السلفية.
49. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية لمحمد الأخضر. دار الرشاد - دار البيضاء - 1977م.

خ

50. الخطط المقرية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريري. مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط 2 / 1987

د

51. دائرة المعارف الإسلامية - دار الفكر
52. درة الحجال في أسماء الرجال لأبي العباس أحمد ابن القاضي. تحقيق محمد أحمد أبو النور. مكتبة العتيقة تونس - دار التراث الإسلامي - القاهرة.
53. الدرر في اختصار المغازي والسير لأبي عبد البر يوسف النمري. تحقيق شوقي ضيف. لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة - 1994م.
54. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية - الهند -
55. دليل مؤرخ المغرب الأقصى لمحمد بنسودة. دار الكتاب - الدار البيضاء - ط 2 - 1960م.
56. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون. تح محمد أحمد أبو النور. دار التراث - القاهرة.
57. ديوان ابن عربي أبي بكر محيي الدين الحاتمي. مطبعة بولاق - 1855م.
58. ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب. تحقيق وتعليق علي سالم النشار. منشأة المعارف - الإسكندرية - ط 1 - 1961م.
59. ديوان الإمام علي بن أبي طالب. جمع وترتيب عبد الكريم كرم.
60. ديوان البوصيري. تحقيق محمد سيد كيلاني. مطبعة البابي الحلبي - مصر - 1973م.

61. دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد ابن عسكر الشفشاوني. تحقيق محمد حجي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر - 1977م.

ذ

62. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن يسام الشنتريني. تحقيق إحسان عباس. دار الفكر - بيروت - 1978م.
63. ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. تأليف أبي المحاسن الحسيني الدمشقي. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
64. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد المالك المراكشي. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة - بيروت - 1965م.

ر

65. الرحلات المغربية والأندلسية مصدر [] صادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين. دراسة تحليلية مقارنة، لعواطف محمد يوسف نواب. مكتبة الملك فهد الوطنية - ط 1 - 1417هـ.
66. رحلة ابن بطوطة: تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي. تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية - سلسلة التراث - 1997م. في خمسة أجزاء.
67. رحلة التجاني، تونس - طرابلس لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد. تقديم حسن حسني عبد الوهاب. الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس 1981م.
68. رحلة التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي. تحقيق عبد الحفيظ منصور. الدار العربية للكتاب - 1975م.
69. رحلة ابن جبير لأبي الحسين محمد ابن جبير الأندلسي البننسي. دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري.
70. رحلة ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع من طول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة. (ج 2 - 3 - 5). تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. الشركة التونسية للتوزيع - 1981م.
71. رحلة ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع من طول الغيبة في الوجهة الوجيهة مكة وطيبة. دراسة وتحليل أحمد حدادي. رسالة مرقونة بكلية الآداب ظهر المهرارز - فاس - 1981م.
72. الرحلة العياشية - ماء الموائد لأبي سالم العياشي. مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الطبعة الحجرية المصورة بالأوفسيت - 1977م. وضع فهارسها محمد حجي.
73. رسائل أبي علي الحسن بن مسعود العبدري اليوسي. تحقيق فاطمة خليل. دار الثقافة - ط 1 - 1981م..
74. الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري. تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي. دار الجيل - بيروت.
75. الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان - ط 2 - 1984م.
76. روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس لأحمد بن محمد المقرئ. المطبعة الملكية - الرباط - ط 2 - 1983م.

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

77. ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي - القاهرة - ط1 - 1980.

ز

78. الزاوية الدلالية ودورها الديني والعلمي - لسي لمحمد حجي. المطبعة الوطنية - الرباط - 1964م.
79. زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة - بيروت - ط4 - 1972.

س

80. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة المكتب الإسلامي - دمشق - ط1 - 1399هـ.
81. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني - الطبعة الحجرية.
82. سنن الترمذي. تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان - ط3 - 1983م. دار الفكر - لبنان.
83. سنن الدارمي. دار الفكر - بيروت.
84. سنن أبي داود السجستاني. تعليق أحمد سعد علي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط1 - 1952م.
85. السنن الكبرى للنسائي. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1991م.
86. سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة العلمية - بيروت.
87. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي. دار الفكر - بيروت - ط1 - 1930م.
88. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد الذهبي. مؤسسة الرسالة - ط3 - 1985م.
89. السيرة النبوية لأبي محمد عبد المالك بن هشام بن أيوب الحميري. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل - بيروت - ط1 - 1991م.
90. السيرة النبوية لأبي الفداء الدمشقي. ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

ش

91. شجرة النور الزكية في طبقات المالكيين - بن محمد مخلوف. دار الفكر.
92. شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمان البرقوقي. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1980م.
93. شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي. تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي - بيروت - ط2 - 1983م.
94. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.
95. الشعر الدلائلي لعبد الجواد السقاط. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - ط1 - 1985

ص

د. خالد سقاط

96. صحيح البخاري. تخريج وشرح ووضع الفهارس مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير - دمشق - ط 4 - 1990م.
97. صحيح مسلم. دار الكتاب المصري - القاهرة.
98. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي. دار الكتب العلمية - بيروت.
99. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر لمحمد الصغير الأفراني. المطبعة الحجرية - فاس.
100. صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني. تحقيق محمد حجي. دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1988م.

ط

101. طبقات الأولياء لسراج الدين عمر بن... تحقيق نور الدين شديبه. دار المعرفة - بيروت ط 2 - 1986م.
102. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي. تح نور الدين شديبه. مكتبة الخانجي - القاهرة ط 3 - 1986م.
103. طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي. قراءة وشرح محمود محمد شاكر. مطبعة المدني - مصر.
104. طبقات الفقهاء للشيرازي. دار القلم - بيروت.
105. الطبقات الكبرى لابن سعد. دار صادر - بيروت - لبنان - 1985م.
106. الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار لأبي المواهب ابن علي الشافعي المعروف بالشعراني. دار الجيل - بيروت - ط 2 - 1988م.

ض

107. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للمسلمين محمد السخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

ع

108. العبر في خبر من غبر لشمس الدين... تحقيق صلاح الدين المنجد. مطبعة حكومة بيروت - 1984م.
109. عبقرية اليوسي لعباس الجراري. دار الثقافة - الدار البيضاء - ط 1 - 1981م.
110. عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمان الجبرتي. تحقيق وشرح حسن محمد جوهر وعبد الفتاح السرنجاوي وإبراهيم سالم. مطبعة لجنة البيان العربي - ط 1 - 1958م.
111. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي. تحقيق مفيد محمد قمiece. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
112. علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب. تأليف جماعة وتقديم شاكر الفحام. المجمع اللغة العربية - دمشق.

غ

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

113. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري. دار الكتب العلمية - بيروت - ط 2 - 1980م.
114. غريب الحديث لابن الجوزي. دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1985م.

ف

115. فتح الباري - شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني. دار الفكر.
116. فتوح البلدان للبلاذري. مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1978م.
117. فصوص الحكم لأبي بكر محيي الدين ابن عربي. تعليق أبو العلا عفيفي. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط 2 - 1980م.
118. الفقيه أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي - نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة. للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1989م.
119. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي. دار التراث - القاهرة.
120. فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر لعبد الله المرابط الترغي. رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب - ظهر المهرارز - فاس - 1982م.
121. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي - 1986م.
122. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني. تحقيق عبد الرحمان اليماني وعبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
123. فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الكتبي. تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

ق

124. القدس والخليل في الرحلات المغربية - ابن عثمان المكناسي نموذجاً. جمع وتحقيق عبد الهادي التازي. منشورات - إيسيسكو - 1997م.
125. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب محمد بن أبي الحسن ابن عباس المكي. دار صادر - بيروت.

ك

126. الكامل في التاريخ لعلي ابن عبد الله - سيباني المعروف بابن الأثير. دار الكتاب العربي - بيروت - ط 6.
127. كتاب سيبويه. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. دار الجيل - بيروت - ط 1 - 1991.
128. كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي بن علي التهانوي. دار صادر - بيروت.
129. الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري. دار الرشاد الجديدة.
130. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على الألسنة للعجلوني. تصحيح وتعليق أحمد القلاس - دار التراث - القاهرة.
131. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة. دار الفكر - 1982م.

ل

132. لسان العرب لابن منظور الإفريقي. دار صادر - بيروت.
133. لسان الميزان لابن حجر العسقلاني. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ط 2 - 1971م.

م

134. ماء الموائد. العياشي. الرحلة. ليبيا. وبرة. تحقيق سعد زغول عبد الحميد، محمد عبد الهادي شعيرة، محمود حسن عطية السعران ونبيلة حسن محمد. منشأة المعارف بالإسكندرية - 1998م.
135. مؤرخو الشرفا لليفي بروفنسال، تعريب عبد القادر الخلافي. دار المغرب - الرباط - 1977م.
136. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير. تحقيق محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - 1990م.
137. مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري - منتصف القرن العاشر الميلادي لهاشم العلوي القاسمي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - 1995م.
138. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار لمحيي الدين ابن عربي. دار صادر - بيروت.
139. المحاضرات في الأدب واللغة لأبي علي اليوسي. تحقيق محمد حجي وأحمد إقبال الشرقاوي. دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1982م.
140. محمد بن سليمان الروداني من أعلام المغرب في القرن الحادي عشر الهجري لأحمد بوزيد. منشورات عكاظ - 1990م.
141. محيط المحيط لبطرس البستاني. مكتبة لبنان - 1987م.
142. المختار من كتاب: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي. اختيار محمد محمود صبح. مراجعة أحمد أحمد بدوي. دار القاهرة للطباعة.
143. مختصر تفسير ابن كثير. اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني. دار الفكر - لبنان.
144. المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود. دار النصر للطباعة - القاهرة.
145. مدغرة وادي زيز، إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث لأحمد عبد اللوي علوي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - 1996م.
146. المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس - دار صادر - بيروت.
147. المدينة المنورة في رحلة العياشي. دراسة وتحقيق محمد أمحزون. مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، دار الأرقم للتوزيع والنشر - الكويت - الطبعة الأولى - 1988م.
148. مسند الإمام أحمد بن حنبل. دار الفكر.
149. مشارق الأنوار على صحاح الآثار لعياض بن موسى اليحصبي السبتي. تحقيق أحمد يكن البلعمشي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1982م.
150. المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - الجزء الأول. لمحمد المنوني. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط - 1983م.

ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) الرحلة والرحالة

151. المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث - الجزء الثاني. لمحمد المنوني. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط - 1989م.
152. المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية. تحقيق مجموعة. مراجعة طه حسين. دار العلم للجميع - بيروت.
153. مظاهر الثقافة المغربية لمحمد بن أحمد بن شقرون. دار الثقافة - 1985م.
154. معجم الأمثال لأبي الفضل أحمد ابن إبراهيم النيسابوري الميداني. تقديم وتعليق نعيم حسن زررور. دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1988م.
155. معجم البلدان لياقوت الحموي. تح فريد عبد العزيز الجندي - دار الكتب العلمية ط 4 - 1994م.
156. معجم الصغير للحافظ سليمان بن أيوب اللخمي الطبراني. دار الفكر - ط 2 - 1981م.
157. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة. دار العلم للملايين. بيروت - 1968م.
158. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. تحقيق وضبط مصطفى السقا. عالم الكتب - بيروت - ط 3 - 1983م.
159. معجم المصطلحات الصوفية لأنور أبي خزام. مكتبة لبنان - ط 1 - 1993م.
160. معجم المؤلفين، تراجم مصنف الكتب العربية لعمر رضا كحالة. مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
161. المعيار الجديد الجامع المغرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب للمهدي الوزاني. قابله وصححه عمر بن عباد. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
162. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي. تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1981م.
163. المغرب لابن سعيد. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف - مصر.
164. المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات. دار الرشد الحديثة - الدار البيضاء - ط 3 - 1993م.
165. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) لأبي عبيد الله البكري. دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
166. مقتطفات من رحلة العياشي (ماء الموائد) لحمد الجاسر. م دار الرفاعي الرياض ط 1 - 1984م.
167. مقدمة ابن خلدون. دار الجيل - بيروت - لبنان.
168. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لأبي عمرو الشهرزوري. شرح وتعليق صلاح بن محمد بن عويضة. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط 1 - 1995م.
169. ملخصي رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي لحمد الجاسر. منشورات دار الرفاعي - ط 1 - 1982م.
170. مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا لعبد العزيز الفشتالي. تحقيق ودراسة عبد الكريم كريم. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية - المغرب.
171. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع للسجلماسي. تقديم وتحت غلال الغازي. مطبعة المعارف ط 1 - 1980م.
172. المنزع اللطيف في التلميح بمفاخر مولاي إسماعيل بن شريف. مطبعة إديال - الدار البيضاء - ط 1 - 1993م.
173. الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بن عبد الله. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية - المغرب - 1975م.
174. الموطأ للإمام مالك. دار الآفاق الجديدة - بيروت. دار الرشد الحديثة - الدار البيضاء - ط 3 - 1985م.

ن

175. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله بن. دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 2 - 1975م.
176. نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير بن الحاج ابن عبد الله الوفرائي النجار المراكشي الوجار. تصحيح هوداس - ط 2 - مكتبة الطالب - الرباط.
177. نساء الصحابة لعبد العزيز الشناوي. مكتبة التراث الإسلامي - عابدين - القاهرة.
178. نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان لمحمد بن قاسم بن زاكور. تحقيق محمد حجي وأحمد إقبال. المطبعة الملكية - الرباط - 1967م.
179. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد الطيب القادري. تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق. نشر وتوزيع مكتبة الطالب - الرباط - ط 1 - 1982م.
180. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني. تحقيق إحسان عباس. دار صادر - بيروت - 1988م.
181. نكت الهميان في نكت العميان لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي. دار المدينة.
182. نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التتبيكتي. تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة. منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ط 1 - 1989م.

هـ

183. هدية العارفين - أسماء المؤلفين - لمصنفين من كشف الظنون لمحمد باشا البغدادي. دار الفكر 1980م.

و

184. الوافي بالأدب العربي في المغرب - لمحمد بن تاويت. دار الثقافة العربية - الدار البيضاء - ط 1984م.
185. الوافي بالوفيات للصفدي باعتناء س. ديدرينغ. 1972م.
186. وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 2 - 1983م.
187. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لنور الدين علي بن أحمد السمهودي. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط 3 - 1981م.
188. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة - بيروت - لبنان.

ي

189. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - منصور عبد المالك الثعالبي النيسابوري. شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 2 - 1983م.
190. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة للبشير ظافر الأزهرى. مطبعة العروة الوثقى القاهرة 1907م.

3 - الأطاريح:

الرحلة العياشية ماء الموائد لأبي سالم العياشي (ت1090هـ) تقديم وتحقيق خالد سقاط مرقونة
خ.ك. الآداب ظهر المهرار فاس (1999-2000م)

المجلات:

- دعوة الحق، العدد 2 - نونبر - سنة 1958م.
- دعوة الحق، العدد 3 - دجنبر - سنة 1958م.
- دعوة الحق، العدد 4 ، يناير - سنة 1959م.
- مجلة تطوان - العدد 8 - سنة 1963م.
- مجلة الثقافة المغربية - العدد 2-3 - سنة 1970.
- مجلة كلية الآداب - الجزائر - تاريخ وحضارة المغرب - العدد 8 - يناير سنة 1970م.
- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جدة - مجلد 5 - سنة 1985م.
- المناهل، العدد 3 - السنة 2-3 - سنة 1975م.
- المناهل، العدد 5 - سنة 1976م.
- المناهل، العدد 18 - السنة 7 - سنة 1978م.

فهرس الموضوعات

أ	تقديم الدكتور عبد الله بنصر العلوي.....
3	المقدمة.....
11	مدخل: فن الرحلة الحجازية.....
	القسم الأول: الدراسة
19	الفصل الأول: البيئة والرحالة أبو سالم.....
91	الفصل الثاني: الرحلة ماء الموائد ومكانتها بين الرحلات.....
113	الفصل الثالث: مصادر ومراجع ودراسات حديثة وأبحاث ومقالات حول الرحلة العياشية ومؤلفها.....
	القسم الثاني
131	تحقيق إقامته بمكة.....
277	تحقيق إقامته بالقدس.....
345	الفهارس.....